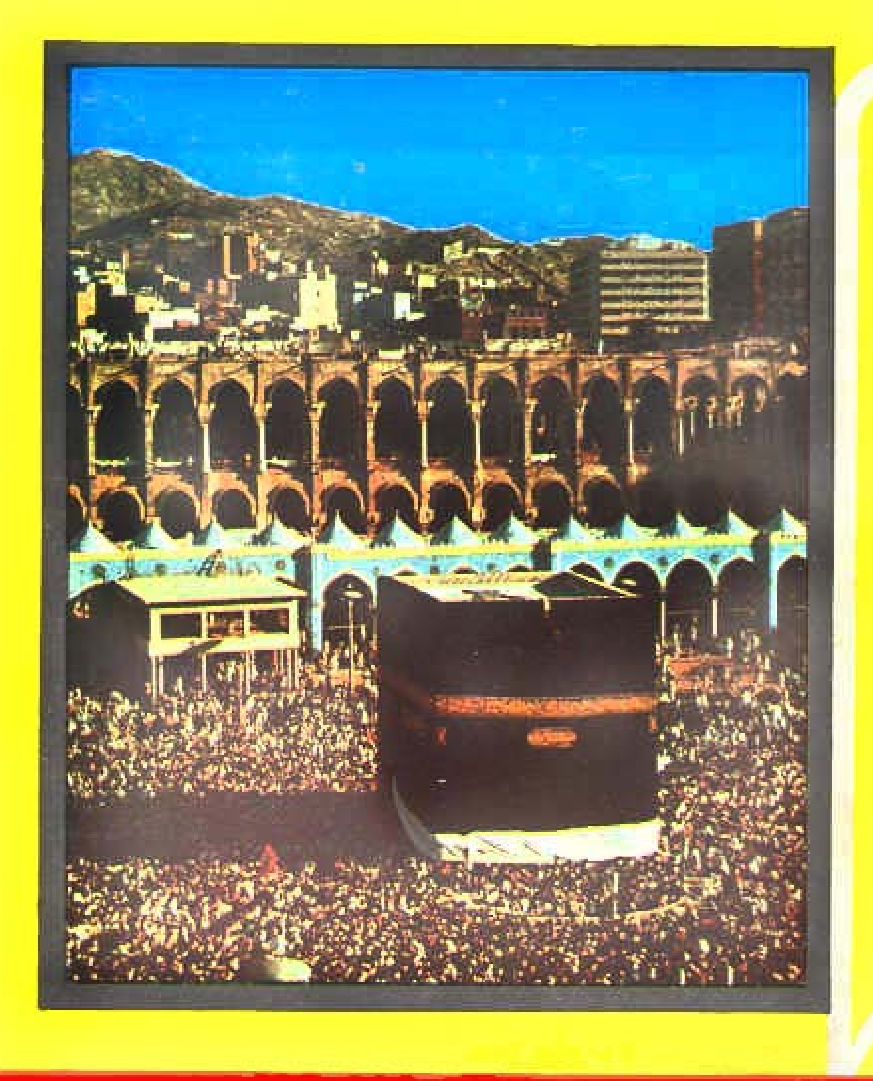


دعوة الحق

تمرنا وتقيتنا

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية



الكتاب المنزل عن مقاصده وتوجيهاته

أدب الصحراء وأدبائها

عن الظاهرة الجزائرية

أزمة فكر
أزمة نقد وشعر

العدد الثالث • السنة الثامنة عشرة • ربيع الثاني 1397 - أبريل 1977 • ثمن العدد 3 دراهم

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثالث
السنة الثامنة عشرة
ربيع الثاني 1397
ابريل 1977
ثمن العدد: 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي:

مجلة «**دعوة الحق**» — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب: 375 — الرباط — المغرب
الهاتف: 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما، والشرفي 100 درهم فأكثر.

السنة عشرة أعداد. لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة.

تدفع قيمة الاشتراك في حساب:

مجلة «**دعوة الحق**» رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه:

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص.

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس العدد 3 السنة 18

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

قدرنا وقضيتنا

● من السذاجة ان يتصور المرء ان القوى الدولية المناهضة للاسلام تغفل عن الدور العظيم الذي ينهض به المغرب فى سبيل تدعيم استقلاله والحفاظ على تماسكه وتوازنه وبناء كيانه الاقتصادي واستكمال تجربة الشورى والعدالة الاجتماعية . فما عهد العالم فى هذه القوى الغاشمة المتمثلة فى عدة معسكرات وتيارات واتجاهات الا التآمر ضد الاسلام ، والكيد لابنائه ، والتطاول على سيادة شعوبه ، وعرقلة مسيرتها، وخلق فتن واضطرابات وحروب تبدد الجهد وتبذر المال وتشتت الشمل وتورث الضغائن والاحقاد .

ان المغرب الذي يبني اقتصاده بارادته الحرة ويرسي قواعد الديمقراطية التي تتخطى الاطار الشكلي الاصطلاحي الى المضمون الاسلامي المغربي وينفتح على العالم المعاصر دون تبعية او ولاء فكري او سياسي لهذا المعسكر او ذاك ، لجدير بان يكون مثالا رفيعا للنظام الاسلامي فى منطلقاته ومقاصده واهدافه وتطلعاته اعتبارا لجملة مميزات اساسية لا نجد لها مثيلا فى دول العالم سواء من حيث الاستقرار والمناعة او من ناحية عراقة النظام وشعبيته الحقيقية غير المفتعلة ووجاهة وصحة ومرونة ومتانة العقيدة التي يستمد منها عناصر وجوده وبقائه واستمراره.

ان الاسلام فى المغرب ليس ديكورا أو شعارا للاستهلاك المحلي وكسب ثقة الشعب ، ولكنه عقيدة ونظام وسعي دائم للوصول الى درجة التمثل الكامل لحقائق ومعطيات المنهج الاسلامي فى جوانب الحياة المتعددة وتطلع مستمر الى الاستمداد والاقتباس والاقتداء والاهتداء ومحاولة متواصلة لاقامة حكم الله ابتغاء مرضاته والخروج من دائرة التخلف باتباع الاسلوب الملائم لمناخنا الفكري والسياسي والثقافي والمنسجم مع مقتضيات الاصالة المغربية المؤمنة .

ان الاخذ بالاتجاه الحر المستقل يثير حفيظة الفئة الضالة الطامعة فى مغربنا العظيم ، فلا تلبث ان تتحرك دواليبها وبيادقها فى كل مكان فى اتجاه معاكس لارادة شعبنا المستمدة اساسامن ارادة الله . وما مضاعفات قضية الصحراء المستعادة وما ترتب عنها من ملابسات الا عينة من هذا المكر العالمي الحاقد ضد قيم الخير والسلام . وما الازمة المفتعلة التي يثيرها تلامذة الاستعمار فى المنطقة الا شكلا من أشكال التآمر وأسلوبا من أساليب التخريب الذي يراد به الفت فى عضد المغرب والنيل من هيبته التاريخية ومكانته الحضارية واقحامه فى معمعة رهيبة لا يعلم مصيرها الا الله واولو العلم من المؤمنين .

والحمد لله ان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله من هذه الصفوة المختارة التي وهبها الله تعالى العلم والفهم والادراك والقدرة الهائلة على التفكير والتحليل والاستنتاج فلا تخفي عليه ابعاد المخططات الاستعمارية ولا يغفل لحظة عن الصراع المحتدم الدائر بين القوى العالمية ولا يضعف امام التحديات الشرسة ولا يرضى بالامر الواقع المفروض بالحرب والمكيدة والاحتلال ولا يقبل التفريط فى شبر واحد من الارض التي اختاره الله ـ سبحانه وتعالى ـ للذب عن حياضها والدفاع عن حوزتها والابقاء على الاسلام فى ربوعها مشرقا مزدهرا موطد الاركان . فما ان استوعب طبيعة ما يبيته الاستعمار فى الصحراء واحاط بتفاصيل المؤامرة التي كانت تستهدف اقامة كيان مزيف تتخذه القوى المناهضة للاسلام والعروبة قاعدة لنشر الالحاد والردة والفسوق وشتى الوان العمالة والخيانة ، حتى سارع حفظه الله الى اعلانه التعبئة الجماعية تمهيدا لتنظيم المسيرة الخضراء المظفرة .

القوى الدولية كانت ترمي الى هدفين اثنين :

- اولا : تمزيق المغرب .
- ثانيا : اقامة دولية ماركسية شيوعية فى الصحراء .
- — لماذا تمزيق المغرب ؟
- — ولماذا دولية ماركسية شيوعية فى هذه المنطقة من افريقيا؟

ان المغرب بنظامه العتيد وعراقته وحضارته ومناعته الذاتية يمثل محورا استراتيجيا من محاور العالم العربي والاسلامي . ولقد حاول الاستعمار استخدام أساليب اخرى لتمزيق المغرب فلم يفلح ولم تزده محاولاته الا اقتناعا بلا جدوى تلك الاساليب ابتداء من فرض الحماية ومرورا بالظهير الاستعماري الشهير بالظهير البربري ونفي جلالة المغفور له محمد الخامس والاسرة المالكة وانتهاء بالمؤامرات الخائنة فى أوائل الستينات والسبعينات .

وهي سلسلة طويلة من التآمر والكيد والتطاول والطمع والابتزاز حركتها قوى دولية رهيبة اختلفت وجوهها وتباينت اشكالها واتفقت اهدافها وتلاقت مطامعها ؛ جربت كل وسيلة سافلة واسلوب خسيس فلما لم ينفعها ذلك فى شيء ولم يسقط المغرب كما كانت تتوهم وظل ابدا الدهر عزيز الجانب وطيد الاركان شامخ البنيان وحصنا حصينا للاسلام والعروبة ، استبدلت سلاحها القديم بسلاح جديد يلائم طبيعة عصر الوفاق وتقسيم مناطق النفوذ فى العالم فكانت ان القت بكل ثقلها فى الصحراء المغربية لتضرب ضربتها القاصمة التي لم تتم .

وابان الصراع فى المنطقة عن وجهه الحقيقي . وبدا واضحا للعيان ان محور الازمة لا يرتكز - كما يدعي قوم من بني جلدتنا - على خرافة تقرير المصير واسطورة الشعب الصحراوي واتهام المغرب - بطلانا وعدوانا - بالاحتلال دون حياء او خجل . ولكنه يقوم اساسا على قاعدة آيديولوجية عقائدية فكرية .

ومن هنا تتضح الحقائق الواحدة تلو الاخرى ...

● لقد كانت القوى الدولية الحاقدة على الشعوب العربية والاسلامية تسعى الى ضرب الاسلام فى المغرب وغرب افريقيا عموما بتمزيق المملكة الى شطرين وايقاف الزحف الاسلامي المبارك المنطلق من بلادنا الى القارة الافريقية وخلق كيان عميل وخائن ومستعد لتنفيذ مخططات الاستعمار فى كل حين .

لماذا ؟ ...

لان المغرب تخطى ستة آلاف كيلومتر وحارب فى الجولان والسويس واعطى الدم والمال والسلاح فكان لا بد أن تنتقم الصهيونية ..

لماذا أيضا ؟ ...

لان عاهل المغرب رفع شعار البعث الاسلامي واقام فى رباط الفتح مؤتمر القمة الاسلامي ، ودعا الى تغيير مناهج التعليم وتنقيتها من الالحاد والكفر والتبعية الفكرية .

لمـــــاذا ثالثـــا ؟ ...

لان جلالة الملك الحسن الثاني يعرف قدر نفسه ـ ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه ـ ويقدر ضخامة المسؤولية ويخشى الله فى الســـر والعلن ويقصد وجهه ـ جل جلاله ـ فى كل امر من امور الدولة صغـــر ام كبـــــــر .

وقبل هذا وذاك ، فان اشد ما يخيف هذه القوى الحاقدة المتآمرة قوة النظام فى المغرب واصالة الحكم ..

فنحن وحدنا نسير على وتيرة واحدة منذ ثلاثة عشر قرنا ..

وفى المغرب وحده رئيس الدولة وملك البلاد هو أمير المؤمنين ..

وشعبنا وحده من بين شعوب العالم يمزج الولاء السياسي الوضعي بالبيعة الشرعية الخالدة ، التي لا تخضع لظروف الزمان والمكان وتقلبات المناخ السياسي وتغير الاجواء الاقتصادية ، ولكنها خالدة خلود الانسان المغربي ، وخلود عقيدته الاسلامية ، فلم نعرف عقيدة الا الاسلام ، ولم نعرف نظاما الا الملكية الدستورية المرتكزة على عقيدة الشعب الذائدة عن حماه المدافعة عن قيمه ومثله ومقدساته ، ولم نعرف قط عبر تاريخنـــا الطويل الا الوحدة تحت ظلال القرآن والعرش من المولى ادريس الى جلالة الحســـن الثانـــــي .

هذا الامتداد الزمني والعمق الفكري والرسوخ السياسي يكســـب المغرب مناعة قوية وحصانة شديدة وطابعا مميزا .

وحينما تحرك العاهل الكريم لتحرير الصحراء كان تحركه فى الوقت ذاته موجها نحو انقاذ الاسلام ودحر الالحاد وضرب المعسكر المعـــادي للامة الاسلامية فى الصميـــم .

وحين يمضي المغرب اليوم بقيادة ملكه المؤمن فى مسيرة الشورى والعدالة الاجتماعية واثقا من نفسه غير هياب فانما يقطع الطريـــق على الخصوم ومرتزقة الفكر وسماسرة المذاهب ودعاة التخريب وحملـــة مشعل التشويش والتضليل والتزييف .

وحينما يصر العاهل الكريم على ربط قضية التنميـــة فى المغرب بالبعث الاسلامي ويمزج بينهما فى كل خطاب وكلمة وتوجيه فمن أجل ان يؤكد للعالم اجمع ان مغرب الاسلام والعروبة لا يزال رائدا قائدا ذائـــدا صـــامـــــدا .

● ان الحاضر بمشاكله وتعقيداته وازماته وصراعاته جـــزء لا يتجزأ من الماضي باصالته وحضارته وتراثه وثقافته وتاريخه ، واذا كانت شعوب افريقية تنبش عن ماضيها وتفتعل تراثها افتعالا فى الوان مـــن الفلكلور الشعبـــي لا تعبـــر فى الواقع عن جوهر الامة ومعدنها الاصيل ،

فما احرانا اليوم وقد كنا بالامس القريب اساتذة العالم ورواد حضـــارة انسانية شاملة ان ناخذ بناصية اسلامنا وعروبتنا ونستمـــد منهما روح الاصرار والتحدي والمقاومة والصمود .

ان من يدعو الى بتر الصلة بماضي هذه الامة يرتكب اثما لا يغتفـــر ويبين فى ذات الوقت عن انفصاله وانسلاخه عن جذور وطنه .

ولو عرف المنكرون للحق الاسلام لآمنوا به .. ولمـــا استغلـــت اليهودية العالمية نظرياتهم لتخريب العالم .

وازمة المسلمين اليوم انهم ياخذون ولا يعطون ويتلقون الضربات والنكمات وهم قاعدون ، ولو تحركوا وانفتحوا على العالم وقدموا بضاعتهم لكان لهم شان واي شان ...

وسيكـــون باذن الله ...

ولو صدر العرب والمسلمون مع بترولهم وثرواتهم وخيرات بلادهم اسلامهم العظيم لكان لهم رصيد مزدوج : المال والنفوذ الفكري والسياسي والثقـــافـــــي .

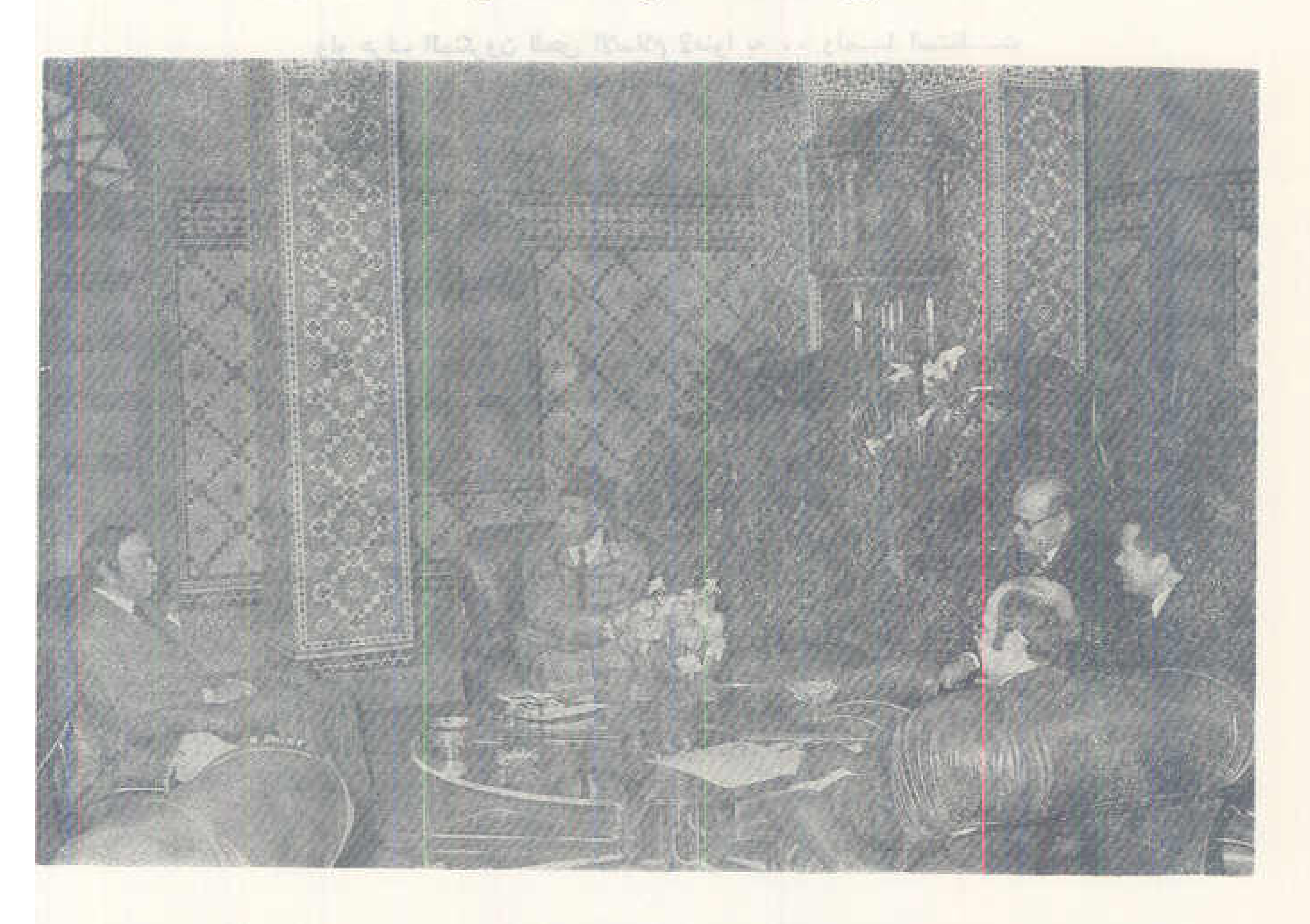
ان الوقوف على جبهة الاسلام والجهاد بسلاح الاسلام يوفران علينا جهودا ضخمة واموالا طائلة .. ويشهد الله ان عبده أمير المؤمنين الحسن الثاني لم يتنكب قط هذا الطريـــق ..

ومن هنا ياتي هذا التاييد والدعم والفوز المتلاحق المواكب لجميع خطواتنا ... أمس واليوم وغدا ان شاء الله ...

فالاسلام ـ اذن قدرنا وقضيتنا ... فى رحابه نزداد قوة وحرية واستقلالا ونفوذا وتمكينا فى الارض ...

دعوة الحـق

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يعين الدكتور فاروق النبهان مديراً لدار الحديث الحسنية.



● تفضل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله فعين الدكتور محمد فاروق النبهان مديرا لدار الحديث الحسنية خلفا للاستاذ مولاي مصطفى العلـــوي .

والدكتور النبهان مثقف اسلامي بارز وأستـــاذ جامعي ممتاز ، سبق له ان عمل استاذا فى جامعتـــي الرياض والكويت واصدر مجموعـــة من المؤلفـــات الاسلامية المعمقة التي ابانت عن مقدرة عليا فى البحث والدراسات الاسلامية المعاصرة . وهـــو من ابنـــاء مدينة حلب بسوريا الشقيقة . وقد شارك مرارا فى الدروس الحسنية التي تنظم بحضرة صاحب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني فى شهر رمضان من كل سنة ، والقى محاضرات على جانب كبير من الاهمية العلميـــة .

ان رغبة جلالة الملك الحسن الثاني ايده الله فى النهوض بمستوى الدراسات الاسلامية العليـــا وتشجيع جلالته واهتمامه الواسع بدار الحديـــث الحسنية جزء لا يتجزأ من الرسالـــة العظمى التـــي يضطلع بها مولانا الامام فى اخلاص وتفان وصدق مع ربه ومع نفســه ومع شعبه المؤمن الوفي ●

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يوضح ملامح المغرب الجديد فى خطاب العرش :

هنا بناء صرح المغرب الجديد لمدى أجيال وقرون

● قال جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله فى خطاب العرش يوم 3 مارس المنصرم : « ان الدول الاسلامية أحرى الدول وأولاها بالديمقراطية لان لفظ الجماعة فى نصوص الكتاب والسنة التي تقوم عليها حياة المسلم المؤمن ، فارادة الجماعة مستمدة من ارادة الله ، ولهذا فان النظام الديمقراطي سيعلمنا الخضوع لارادة الجماعة ، وسيقي بلادنا ان يصبح امرها بين ايدي اقلية متعسفة تنفرد برايها وتفرضه على الجماعة بالاكراه والبغي » . وتعتبر هذه الفقرة من الخطاب الملكي السامي بمثابة تلخيص مركز للنظرية السياسية فى الحكم التي يؤمن بها المغرب ويتحرك ـ بوعي كامل وحضور دائم ـ فى اطارها . وقد اوجز جلالة الملك معضلة العصر واوجد لها حلا من تراثنا الحضاري ، ذلك ان « فرض الامر بالاكراه والبغي » مشكلة الانظمة المتنكبة لطريق الحق والعدل والمشروعية ، باعتباره مدخلا الى الارهاب السياسي والفكري واحتقار الانسان الذي كرمه الله تعالى .

بهذا المعنى الواضح تناول جلالة العاهل شؤون البلاد وقضايا العصر فى خطاب عيد العرش الذي وافق هذه السنة ذكرى ميلاد رسول الله الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم .

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

فى مثل هذا اليوم من كل عام نلقاك وتلقانا على عهد ألفنا تجديده وتوكيده منذ ستة عشر عاما ملأنا حقيقتها بكل قصد وطيد وكل عمل مجيد ، وفي غمرة افراحنا وافراحك وبهجة احتفائنا واحتفائك بهذا اليوم الذي اردناه نحن واياك ان يكون موسوما معلوما يهدي الى اجل معاني الوفاء واكمل آيات الاخلاص وأدل دلائل الائتلاف دأبنا على عادة مخاطبتك بما ينير لك السبيل ويريك القريب والبعيد من المطامح والاهداف ويظهرك على ما هيأ الله من يانع القطاف ويفتح لأمانيك الابواب على اوسع الرحاب .

وها نحن نتوجه اليك اليوم ، بخطاب فى هذه الذكرى السادسة عشرة لتلاقينا على الصدق والصفاء مستظلين بظلال عيدين تواردا مقترنين على ميعاد متملين لمسرة تواصلهما متيمنين بطالع توافقهما

احدهما عيد المولد النبوي الشريف الذي تتوهج به فى نفوسنا ذكرى أقدس الدعوات واعظم الرسالات واقوم الهدايا ، واعز ما نعتز به ، من انبلاج نور الشريعة ، واشراق وجه السنة ، والآخر عيدك الوطني الذي اتخذناه موعدا للاحتفال بما وثق الله بيننا وبينك من أواصر وانعم به علينا من فضل التآزر والتناصر ووفقنا له من مقاصد متناسقة واعمال متكاثفة متلاحقة .

واذا كانت عناية الله قد أضفت علينا من آلاء اجتماع الكلمة والتئام الصف واتحاد العزم والمشيئة ما كفل لمساعينا المختلفة ما نشدناه بثقة مطمئنة وايمان راسخ من حميد الآثار وجميلها فى متعدد ميادين التفكير والتدبير ، فان هذه العناية الموصولة قد امدتنا ، وليس العهد ببعيد باسباب استرجاع ما كان مفصولا من أراضينا يوم أتاحت التالق الاصيل من مزايانا والمكين من فضائلنا واسمحت بحادث انسانك الاشم ملأ الدنيا وشغل الناس ورصع الغر من صفحات التاريخ كحادث مسيرتنا الخضراء ، ولم يمض على استقرارنا بارض الصحراء الا مدة قصيرة حتى بادرنا الى تنظيم أقاليمنا الجديدة وشرعنا انطلاقا من هذا التنظيم ومما اخذناه على أنفسنا من عهد فى بذل رعايتنا لترابنا المستعاد وارض الاباء والاجداد ورعايانا ساكني الصحراء من كل حاضر وباد .

وهكذا طفقنا بحمد الله نواصل على اتساع ساحة البلاد جهودنا التي نصرفها قياما بما علينا من واجب الرعاية لجميع أراضي ترابنا الوطني ولجميع افراد شعبنا حيث ما كانوا من انحاء مملكتنا ، لا نؤثر بالحدب اقليما على اقليم ولا نخص بالاهتمام جانبا على جانب .

لقد قر عزمنا واستحكم ، على مد الوسائل والاسباب الكفيلة بارساء ما يعتلج فى طول مغربنا الجديد وعرضه من حاجات ومتطلبات حتى صار من أوجب الواجبات ان ينتظم المغرب كله من أقصاه الى أقصاه ذلك الداب الذي التزمنا بان يؤثر احمد التاثير ويفضي احسن الافضاء الى انتشار النور والازدهار والرخاء واليسار ومضاهاة الجنوب للشمال وموآزاة الشرق للغرب .

بيد ان تحقيق هذه الاهداف المتسمة بسمة الطموح والموصوفة بصفة التحدي يضع على عاتقها مزيدا من التكاليف ويضيف اعباء حديثة الى اعبائنا القديمة ، ذلك ان اقاليمنا فى الصحراء يتطلب ما وطدنا العزم على انجازه بها من مشاريع ان يتوافر لدينا رصيد من مال نستطيع بفضله آن نجهز ما هو مفتقر الى تجهيز ونقيم المدارس والمستشفيات ونشق الطرق ونربط الاطراف بمختلف أنواع المواصلات ونجري الماء فى انابيب الري والارتواء ، ونمهد للفلاحة سبل النماء والازدهار ونعني بالتنقيب عن المعادن والاستثمار ، ولنضطلع بهذه الاعمال كلها على النحو الذي نبتغيه ونرتضيه ، أهبنا بك شعبي العزيز ان تسهم آسهاما يدل على مالك من اهتمام بالصحراء المستعادة ومالك من تضامن مع سكانها اخوتك الاشقاء ، فطلبنا منك ان تقرض الدولة حظا من مالك وقسطا من وفرك يرتفع قدره الاجمالي الى مائة مليار سنتيم تخص بها مختلف وجوه النمو فى أقاليمنا بالصحراء .

ومرة أخرى سارعت الى تلبية النداء ، وأبنت عن كريم طباعك وسجاياك وأدليت بالبرهان على انك واع أقوى ما يكون الوعي مدرك واسع الادراك لابعاد ما ندعوك اليه من خطوات ، مستعد لكل عمل بناء متاهب لكل مسيرة غراء فاقبلت على صناديق الايداع اقبال المؤمن الثابت الايمان ، بجميل عواقب اقباله وبادرت مبادرة الحريص على بلوغ وطنه عزيز أوطاره وآماله ، فأتت مسيرتك هذه طيب ثمراتها ونالت صناديق الدولة فى ظرف وجيز ما أربى على مطلبها المنشود ويسر وسائل الشروع فى الوفاء بالوعد الموعود .

وهكذا استطعنا شعبي العزيز بفضل اهتمامنا واهتمامك وجهودنا وجهودك ، أن نبث على امتداد صحرائنا المصالح اللازمة لانطلاق الاعمال فى كل مجال من مجالات التجهيز والوقاية والعلاج ، والتكوين والاعداد ، والتثقيف والتنقيب والانتاج الفلاحي وتربية المواشي ، وغرس الاشجار ، فانشانا ببوجدور وحدة لاعذاب ماء البحر ، واخذت مصالحنا فى استخدامها وفق ما رسمناه لها من غايات ، كما أخذت فى حفر كثير من الآبار وكسح الرمال المتراكمة على محاور الطرق الكبرى واستصلاح المحطة الكهربائية فى مدينة العيون ، وجهودنا الآن مصروفة الى القيام بدراسة مشاريع كبرى كتشييد الطرق واحداث ميناءين احدهما فى العيون والآخر فى بوجدور وتوليد الكهرباء ، وجلب المياه ، وليس بخاف عليك شعبي العزيز ، اننا قرنا تجسيدا للوحدة

المستعادة في أجزاء ترابنا الوطني مد خط للسكة الحديدية بين مدينتي مراكش والعيون ، وقد فرغت مكاتب دراسة هذا المشروع الضخم من أعمالها وقدمت عروضا تعكف عليها الآن مصالحنا المختصة بالنظر الفاحص .

وحينما كنا نولي عناية كبيرة لكل ما يتصل بهذا النمط من التجهيز كنا مهتمين بالغ الاهتمام بتوفير أسباب الوقاية والعلاج لرعايانا بالصحراء وتوطيد هذه الاسباب وتوسيع شبكتها وتكوين ممرضين من سكان أقاليمنا الجديدة ووضع المشاريع لتكثير عدد الاسرة بالمستشفيات والمستوصفات وتنظيم الطب المتنقل حتى تمتد فاعلية الوقاية ويتسع نطاق الاستفادة من العلاج .

وفي أثناء هذا كله ، كان تعليم أبنائنا وبناتنا ، في الصحراء مناط الرعاية ومعقد الاهتمام لتامين المعرفة الابتدائية والثانوية لهم ، وتيسير قاعات الدرس ، وسد الحاجة الى المعلمين ، ونشر المطاعم المدرسية في جميع الاقاليم ، وبذل المنح للمستحقين ووضع الخطط لبناء أكثر ما يمكن من المدارس واستيعاب أوفر عدد من التلاميذ وتنظيم الضروري من الداخليات .

وسنظل موالين لاهتماماتنا لمجال التثقيف والتكوين والاعداد حرصا منا على أن تزود أقاليم الصحراء نفسها ، وغيرها من أقاليم مملكتنا ، بالكفاية من الاطارات الخليقة بالاسهام في جميع ميادين الرقي الذي تتوق اليه البلاد .

ولم تنسنا هذه المجالات التي اردناها متحركة نشيطة تعج بصالح التدبير او مستهدفة ما تتطلع اليه من تغيير وتطوير مجالا آخر نعقد به واسع الآمال ، ذلك هو مجال الزراعة وتربية المواشي وغرس الاشجار ، وقد بادرنا فور استرجاعنا الصحراء الى مباشرة تجربة لانتاج القمح والشعير بذلنا لها البذور والآلات الفلاحية ، فاسفرت على محمود النتائج ، ثم واصلنا التجربة على مساحة الف هكتار ، وانا لنرجو أن تفضي هذه التجربة وشقيقتها الخاصة بالمواشي والاشجار الى ما نتوخاه من نمو للصحراء ، وثراء للافراد والجماعات وتبدل لملامح الارض ووسامة لطلعتها .

اما استغلال ثروتنا من الفوسفاط ، وتنقيبنا عن المعادن الاخرى الكامنة في بطون الارض ، فان جهودنا فيما يتصل بهما جهود دائبة مبذولة باستمرار ، وجدير بالذكر أن ثروتنا من الحديد في اقاليم صحرائنا تحتل من حيث الاهمية حسبما أدت آليه الابحاث الحالية المكانة الثانية بعد الفوسفاط ، وعلى الرغم من أن أعمال التنقيب في صحرائنا المستعادة ما زالت في أوائل عهدها فان بعض المناجم كمنجم - صفريات - لتسمح بالامل الكبير فيما يتصل بتعدينها واستغلالها .

ومن جهة اخرى فان مناجم الاحجار النفطية المكتشفة بمنطقة طرفاية ممتدة فيما يبدو الى اقليمي العيون وبوجدور .

وان الرجاء لمعقود باستخدام هذه الثروة من الاحجار كمصدر للطاقة ومنبع للغاز الصالح في صناعة الحديد عن طريق الاختزان المباشر ، وتمتاز ثرواتنا بالصحراء بميزة ذات شان كبير الا وهي وقوعها قريبا من سواحل البحر .

اننا نوزع اهتمامنا العظيم ، شعبنا العزيز ، على هذه المجالات كلها وعلى غيرها في مختلف انحاء صحرائنا تحتل من حيث الاهمية حسبما ادت اليه يقوم على طريقنا حاجز واثقين بأن الله عقد الخير بناصية مسعانا وكتب الاشراق لمغربنا الجديد .

واذا كنا قد وقفنا مستثنين هذا الوقوف عند طائفة من شؤون صحرائنا فانما قصدنا الى أن نوضح أن مفهومنا للسيادة الشاملة لجميع أطراف البلاد مفهوم يمتلىء بمشاريع وأهداف مرسومة ومدروسة وسياسة جلية المعالم ظاهرة القسمات تتولى عزيمة جادة وهمة طماحة تحويلها بالانجاز والتحقيق الى واقع ملموس وحقيقة بارزة وخير مستفاد .

وأن من دواعي الاسف الشديد ، أن تتمادى بعض دول قارتنا منحرفة عن الطريق السوي معرضة عن الموضوعية منقادة الى حكم الشهوات والاهواء مغتنمة كل فرصة سانحة لمحاولة خلق المصاعب لبلادنا والاعتداء على حقوقنا وسيادتنا ، ولو كان في ذلك خرق سافر للمبادىء المتفق عليها ، والمواثيق المبرمة الصريحة .

وكثيرا ما واجهنا المواقف العدائية والمحاولات التعسفية التي ظهرت على مسرح العديد من المستويات بالصرامة التي احبطتها وردتها على اعقابها خاسرة ، وآخر هذه المحاولات مناورة قامت

بها خلال اجتماع مجلس وزراء الخارجية الافارقة المنعقد منذ أيام قليلة بعاصمة الطوغو ثلة ضاحلة تعمدت لسبب مكشوف الاعتداء على بلادنا والاستخفاف بسمعتنا وحرمتنا ، فلم يسعنا ازاء المخالفات المتكررة والانتهاك المتجدد لميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، وازاء التهم الملفقة الكاذبة، الموجهة لبلادنا وبلاد صديقة ، وبعد أن طم الماء وبلغ السيل الزبى أبينا الا ان نتخذ قرارا بالكف عن المشاركة فى أعمال اجهزة المنظمة ريثما تستقيم الامور ويفيء الجائرون عن القصد المنكبون عن الجادة الى محجة الصواب وسواء السبيل .

وان من بواعث الدهشة والاستغراب ان يتصدى للقيام بمثل هذه المحاولات والمناورات عدد قليل بين عدد كثير يسعى الاولون سعيهم الاثيم ويكتفي الآخرون بالمشاهدة والسماع والامساك عن الكلام .

اما موقفنا نحن حيال ما تتخذه بعض دول منظمة الوحدة الافريقية من أشنع المبادرات فأوجز واصدق ما يوصف به انه موقف تنديد واستنكار واباء ورفض لما يصم النفس ويقدح فى الضمير .

اننا — شعبي العزيز — من المؤسسين الاولين لمنظمة الوحدة الافريقية المسارعين الى التفكير فى احداثها والتيسير لاسباب وجودها فقد انعقد على عهد والدنا محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه ، أول مؤتمر للدول الافريقية بالدار البيضاء سنة 1961، ويعز علينا ان يعبث العابثون ويستخف المستخفون بصرح المنطقة الذي أردناه وطيد الاركان ومحكم البنيان وتعمد اليه معاول المفسدين بالتضليل والتقويض .

فاذا أضفت الى هذا — شعبي العزيز — أننا تولينا رئاسة هذه المنظمة ، بعد انشائها ، وأجرينا اعمالها طيلة تسييرنا واشرافنا فى مجال التفاهم والوئام منطلقين من الروح التي سادت المؤتمر المنعقد بالرباط حز فى قلبك — ولا ريب — أن تضل الاحلام خلال يسبغ الاعتداء على وطنك زورا وبهتانا واستغربت ان تعلو أصوات طائفة موجهة مقتادة باخس خطام وأملنا وطيد أن يهيب أشقاؤنا رؤساء الدول الافريقية لتدارك الفساد المستشري فى المنظمة بالاصلاح وينقذوا هذه المؤسسة المهددة بالاندثار والانهيار بتقويم الاعوجاج وتصحيح الاوضاع .

هذا وان بلادنا ستظل عاملة على تقوية وتعزيز اواصر المودة والتعاون ، الرابطة بينها وبين الاشقاء الافارقة الذين يقدرون عاطفة المودة ويدركون ما يعود به التعاون المخلص من عظيم العوائد وجميلها .

وننتقل شعبي العزيز بعد هذا الاستدراك الذي كان لا بد منه الى الموضوع الثاني الذي يرتكز عليه هذا الخطاب .

شعبي العزيز :

لقد كانت الصحراء خلال العام المنصرم قطبا طافت حوله الخواطر واحدقت به الافكار ، الا انه لم يكن بالقطب الوحيد الذي اتسعت له الرعاية وانتشر على جوانبه الاهتمام،ذلك اننا عنينا بشان من شؤوننا الوطنية ، مشدود الى قلبنا بأوثق الصلة ، واخذنا نعد العدة ، ونمهد السبيل لجعله حقيقة من حقائقنا التي لا جدال فيها ولا مرآء وهذا الشأن هو احلال الديمقراطية ، بأوسع وأصح معانيها وتنظيم الملكية الدستورية ، على أحسن القواعد واثبت الدعائم .

انك تعلم — شعبي العزيز — أن بلادنا ، خاضعة منذ سنة 1972 لدستور تطبق بعض مقتضياته وبعضها الآخر ، مرهون تطبيقه باقامة جميع المؤسسات ، التي تنص عليها احكام الدستور وحرصا منا على أن تكفل للمجالس البلدية والقروية وهي قاعدة الهرم اختصاصات واسعة ومسؤوليات كبيرة وجهنا الجهود الى اعداد نص جديد تسطر فيه هذه الاختصاصات والمسؤوليات فلما فرغنا من وضعه وأصدرناه فى الصورة التي توخينا أن تكون مطابقة لرؤيتنا أتحنا للمنتخبين أن يختاروا احرارا فى اختيارهم ، اعضاء يمثلونهم فى المجالس الجماعية وتم بعد هذا الاقتراع اقتراع آخر لتاليف المجالس الاقليمية وستتلو هذه الاجراءات اجراءات لاحقة بعد المراحل التي يحددها الدستور رامية الى انتخاب مجلس النواب .

وبجميع هذه الانتخابات وغيرها ، مما سيسفر عن اقامة المؤسسات الدستورية ، ستكون بلادنا ان شاء الله ، قد أرست فى الايام القريبة ، دعائم المنطلق ، للعمل النيابي الذي نامل أن يعود على الوطن باجل العوائد واحسنها .

ان التجربة التي نحن مقبلون عليها ليست بالتجربة الاولى ، فقد باشرنا قبل اليوم تجربة لم تبلغ بنا الاغراض التي كنا نتطلع بحماسة وشوق كبيرين الى ادراكها ، ولذلك ، فان حرصنا شديد على

ان تكلل التجربة التي نيسر لها اقوى الاسباب ، في ظروفنا الراهنة ، باكاليل النجاح الذي يبعث على كامل الرضى وخالص الارتياح .

ان الهدف الذي يترامى اليه طوحنا ليس بالهدف الذي نبتغي من ورائه سد حاجة عابرة مرحلية ، وارضاء مطلب جيل او جيلين ، وانما هو هدف بناء صرح المغرب لمدى اجيال وقرون،وتثبيت اركان الاستقرار الاقتصادي والسياسي ببلادنا تثبيتا يتحدى العصور والازمان ، ولا سبيل فيما نعتقد الى بلوغ مقاصدنا من الاستقرار المنشود ، الا اذا أحس كل فرد حظي باختيار المواطنين اياما كان موقعه من مستويات الثقة والاختيار ، الا اذا أحس كل فرد حظي بالاختيار باعباء المسؤولية الملقاة على كاهله واخذ على نفسه النهوض بهذه الاعباء نهوضا يشيع في قلبه اليقين ، بانه يلابس مشاكل وطنه ويعيش في خضمها ، ويسعى مخلصا نزيها لايجاد اجود الحلول واجلبها لخير مواطنيه .

انك شعبي العزيز ، شعب المسيرة الخضراء وانك لتستحق كل تقدير وكل اعزاز ، وانك لصاحب الوعي الذي لفت الانظار وهز المشاعر ، ودوى ذكره في الآفاق ، فانت لهذا كله ولغيره من الاسباب جدير بان يلقى اليك زمام امرك في المجال الرحب الذي خطه وابانه دستور وطنك . ولكنك ـ شعبي العزيز ـ ستطرأ في طريقك قضايا عويصة وتتواصل امامك بتواصل الايام مشاكل لن يكون لك عن ابتكار الحلول لها مندوحة ولا محيص ، ولكنك من جهة أخرى ستلمس حاجات متعددة متباينة وتتمرس بواقع يتخذ اشكالا والوانا وستستفيد من الممارسة وتفيد بالخبرة المكتسبة وتتاهل بالتجربة المنتقاة لمجابهة قضايا ومشاكل من نمط جديد قد تدعو ضرورة بلادك الى ترشيح الصالح من افرادك ، المجلي من ابنائك الفائز بعد الابلاء والامتحان لخوض عبابها واحتمال أبعادها.

وستمارس ـ شعبي العزيز ـ عن طريق منتخبيك وممثليك طائفة من الحقوق كفلها القانون وضمنها الدستور ، وسيكون لك من النفوذ ومن الانفراد بالتسيير في الميادين المحددة ، ومن مراقبة تصريف المسؤولين عن الشؤون الموكولة الى أنظارهم ، فحذار أن تزل الاقدام ، وتركب مراكب الشطط والجموح وتختل بسوء الاستعمال موازين القصد والقسط ، واخشى ما نخشاه على ديمقراطيتنا المبنية على أسس تعايش السلط وتعاونها وتفاهمها ان يحاول احد الجوانب من هذه السلط التطاول والطغيان على الجانب الآخر ويصاب بالاهمال في غمار الصراع ، على الغلبة والرجحان امثل اهدافنا وافضل اغراضنا الا وهي صيانة المصلحة العليا للبلاد وحماية المصالح المشروعة للافراد .

وان اشد واعظم استدعاء لمسرتنا ، واجتلابا لبواعث افتخارنا واعتزازنا ، ان نرى القائمين بالامر في مؤسساتنا الدستورية جارين على السند المستقيم متمادين على نهج لا شطط فيه ولا جموح ولا اقتياد .

هذه مسيرة أخرى ، شعبي العزيز ، ستسيرها ثابت الخطى ان شاء الله ، وعليك المعول ان تمتد هذه المسيرة ، بامتداد عمر وطنك الطويل ، وأن يشيع بفضلك الاطمئنان في النفوس الى انك شعب المسيرات المظفرة التي يخصها التاريخ بانصع وأروع الصفات ولنا اليقين بان الله سينير لك الطريق ويلهمك الهداية ويكتب لك التوفيق .

شعبي العزيز : ان الدول الاسلامية احرى الدول واولاها بالديموقراطية لان لفظ الجماعة في نصوص الكتاب والسنة التي تقوم عليها حياة المسلم المؤمن ، فارادة الجماعة ، مستمدة من ارادة الله ، ولهذا فان النظام الديمقراطي سيعلمنا الخضوع لارادة الجماعة ، وسيقي بلادنا أن يصبح أمرها بين أيدي اقلية متعسفة تنفرد برايها وتفرضه على الجماعة بالاكراه والبغي .

اقتصرنا ـ شعبي العزيز ـ على موضوعين اساسيين اوليناهما خلال السنة الفارطة ما رأيناه خليقا بهما من عناية سابغة ، وقد اكتفينا بالحديث عنهما ليقيننا بانك تعلم أن استرجاعنا للصحراء كان العامل الذي رسم معالم مغربك الجديد وأن اخذنا فيما أخذنا فيه من تاسيس الملكية الدستورية ناتج عما ترتبط به مشاعرنا ويتعلق به حرصنا منذ زمن بعيد وكلا المغرب الجديد ونظام الملكية الدستورية حرى بان تستفرغ من أجله الوان من جليل الجهود ويبلى في سبيله اشكال من جليل البلاء .

اما غير هذين الموضوعين الهامين فمجال متعدد الجوانب مليء بالكثير من الاعمال الايجابية ، ذات المردود الذي ينبيء بأن المغرب والحمد لله يضطرد نموه وازدهاره على ما لهما من صلات بسياق اقتصادي عالمي لا يستقر على قرار .

وخليق بك أن تعلم ان توسع بلادك الاقتصادي كان توسعا ملحوظا اذ بلغ حجم الانتاج اثناء السنة الماضية نسبة عشرة فى المائة وهى نسبة مرموقة نحمد الله سبحانه على نعمة ارتفاعها ، ولك – شعبي العزيز – ان اردت فضلا من ايضاح ومزيدا من التفصيل أن ترجع الى ما تنشره وزارتنا فى الاعلام من احصاء لمساعي الدولة واستقصاء لما انتهت اليه من نتائج فى ظرف العام المنصرم فانك واجد فيما تبسطه من وصف وتورده من تعداد ما هو كفيل بدلالتك على المبذول فى مختلف القطاعات والمحصول من يانع الثمرات .

لقد تيسر – شعبي العزيز – الوصول الى أهدافنا لاننا صرفنا مخلصين الى بلوغها الهمم غير متوجسين بخيفة ولا مشفقين من نائبة تنوب او خطب يلم على ما منينا به من حسد الحاسدين ولقيناه من طمع الطامعين فطفقنا نصون سيادتنا ونحمي حمانا مستعدين لصد كل عدوان متأهبين للذود عن الكيان وبقيت قواتنا المسلحة الملكية وأخواتها القوات المساعدة ، وقوات الدرك والشرطة وطيدة العزم قوية الشكيمة ثابتة الايمان ، وان ملك البلاد القائد الاعلى لجميع قوات وطنك ليغتنم فرصة هذا اليوم الاعز الاغر الميمون ، للتنويه بما تقدمه راضية مرضية من خدمات جليلة لصالح الامة وللاعراب باسمك – شعبي العزيز – عما يكنه المواطنون كافة لجميع أفراد قواتنا المرابطة من مشاعر المحبة والتقدير والاكبار .

واننا لنسأل الله أن يبارك رباطها ويؤيد اصرارها ويديم مآثرها ومفاخرها .

شعبي العزيز ، فى هذا اليوم الذي نحتفل فيه بعيدين يرتبط كل واحد منهما بمقوماتنا كشعب توثقت عراه بالاسلام ، منذ فجر اشراقه وسار مستنيرا بنور هداية الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة الوضاحة ، وتأصل نظامه الملكي الموغل فى أعماق السرائر والضمائر ، فى هذا اليوم المشرق باحب الانوار الى قلوبنا وعقولنا تتجه افكارنا وذكرياتنا الى بطل التحرير والاستقلال ومؤئل المكارم والامجاد صاحب الجلالة والدنا محمد الخامس رضوان الله عليه .

وفى هذا الظرف الذي نؤكد فيه اهتمامنا بالصحراء حاضرها ومستقبلها ، وحرصنا على توثيق الملكية الدستورية فى بلادنا ، نهفو بقلوب خاشعة ممتلئة بالاجلال والاكبار الى عاهلنا الراحل الذي نحقق مطمحين عظيمين من مطامحه وامليين عريضين من آماله ، طيب الله ثراه ، وجعل جنات الخلد ماواه واحله مقام الصديقين والانبياء والشهداء والصالحين وأبقى ذكره متألقا فى العالمين ومجده وضاء للغادين والرائحين .

أسال الله – شعبي العزيز – ونحن مبتهجون باقتران العيدين واتفاق الذكريين أن يديم علينا نعمة الائتلاف والتصادق والتآزر والتناصر لما فيه سابغ رضاه وما هو جالب لواسع نعماه ويزيد الآصرة الجامعة بيننا قوة تهدينا الى خير الدارين ومتانة تقينا مكاره الزمن .

اللهم اني متمسك بكتابك المجيد وسنة نبيك الامين ، فيسر لي أمري وهيىء لي رشدي فى أخذي وردي ، واكلأ وطني بحفظك وبوئه بين الانام مقاما عليا ومقعدا سنيا ، واجعله على الدوام لائذا بكرمك عائذا بجاهك مسترشدا بهديك معتصما بحبلك مؤمنا بالكريم من قولك .

(ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

دراسات إسلامية

الرد القرآني

على كتيب: «هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟»

● وصلتنا الحلقة التاسعة من مقال الاستاذ الكبير عبد الله كنون « الرد القرآني على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن » والعدد ماثل للطبع وقد فرغ من تصفيف جميع مواده « باللينوتيب » وشرع فى اعمال « التيبو » . نعتذر للاستاذ العلامة عبد الله كنون عن عدم ادراج مقاله القيم فى هذا العدد مقدرين فضله وجهده العلمي المتواصل فى دحض الشبهات حول الاسلام .

والى العدد القادم ان شاء الله ●



للأستاذ
محمد المربي الخطابي

حـــدود العقـــل :

يميل الانسان ، ولا سيما في هذا العصر ، الى اخضاع كل شيء لمقاييس العلم التجريبي او النظرى اى لسلطان العقل الفاحص .

وبديهي أن هذا المسلك سليم في حد ذاته ولا يمكن بحال ان يؤاخذ عليه الانسان ، كما انه ليس للاسلام ان يتخوف من محك العقل والنظر لان ذلك من مميزات رسالته كما سنرى . الا انه من حقنا ان نلاحظ في البداية ان العقـل الانساني له حـدود لا يتجاوزها ، وأن العلم بسبب ذلك قاصر عـن ادراك كثير من أمور النفس والمادة ، وانه مهما اجتهـد سيبقـى موسوما بالقصـور لا يتخطى في عديد مـن مسائل الكون والحياة حدود نظريات قابلة للمراجعة والتصحيح او البطلان المجرد .

نقرأ في مقدمة كتـاب (الصـدفة والحاجـة)* للعالم البيولوجي المعاصر جاك مونو هذه الخاطرة : «ان العالم الحي لا يشكل الا جزءا تافها ومتميزا جدا من الكون المعروف حتى ان دراسة الكائنات الحيـة تبدو وكأن ليس في مقدورها قط ان تكشـف عـن نواميس عامة قابلة للتطبيق خارج عالمنا الحي». فاذا كان هذا هو الشان بالقياس الى الكـون المعـروف لدينا فالى أى حد يصل عجزنا حينما يتصل الامـر بالاكوان الاخرى التي نجهلها ؟

هذا وحينما يعجـز العلم عـن تفسيـر بعـض الظواهر ذات الصلة بالانسان والكون او يقصر عن فهم أعماق النفـس البشرية وصلتها بالعقل المطلـق والتزامها، نتيجة لذلك، بالخضوع للقوة المبدعة التي تدبر شؤون الكون يعمد بعض الناس ، عن جهل أو عجز ، الى قطع الصلة بالدين بدعوى أنه يتنافى مـع العلم أو أنهما لا يتلاءمان ولا يلتقيان، ومن هنا تنفتح أبواب يلج منها كثير من المغالطات التي تفسد علـى الانسان مسالك الطمأنينة الروحيـة وتمهـد للمادية سبل العبث بالنفوس بما تبذره من شك وتبثه مـن حيـــرة .

ولا يقل عن هذا الموقف تطرفا ما يتمسك به بعض «رجال الدين» من معاداة صريحة للمعرفة العلمية الكونية ومجافاة لكل تدبر أو نظر عقليين في المسائل المتصلة بالعقيدة الدينية .

ومن هنا يحدث الصراع بين العلم والدين، وهو نزاع قديم وصل في عصرنا الحـاضر الى القطيعـة لا سيما في المجتمعات الغربيـة حيـث يقـوى استعداد الانسان لتقبل سلطان المادة، واتخاذ موقف ميكانيكي

---

* Jacques Monod, Le hasard et la nécessité. Edition du Seuil - Paris.

من الحياة بسبب التقدم التقنولوجي المذهل الذى تعرفه هذه المجتمعات .

الديـــن والعلـــــم :

ويمكننا ان نقول انه لا يوجد ، من وجهة نظر الاسلام ، تعارض بين الدين والعلم ، ذلك ان العلم ليس فى الواقع الا جـزءا من الحقيقـة الكلية التى ينطوى عليها الاسلام وتقوم فى جملتها على التوفيق بين المادة والروح بما تبينه للنـــاس من مبـــادىء وشرائع تهديهم سبل الحياة على هـذه الارض لتنتظم شؤونهم فيها بالعلم والعمل وتقوم الامور بينهم على الايمان والاستقامة وما يترتب عنهما من عدل واحسان وبر ومعروف . ولعل هذه الآية الكريمة «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليـك ولا تبـغ الفساد فـى الارض» (القصص/77) تلخـص أبـرع تلخيـص روح الشريعة الاسلامية بما ترسمـه للمسلم من نهج فـى السلوك يدخل فيه صحة الاعتقاد ، والقيام بالشعائر، والاستمتاع الحلال باطايـب الدنيا ، وطلـب العلم ، والسعى فى النفع العام .

وانطلاقا من هذا المفهـوم الاسلامي يمكننـا أن نقول بأن الدين نظام انسانى متكامل يعنى بشـؤون الروح والمادة معا ، ويقيم الامور بينهما على اساس التوازن والتعادل . وحينما أقول بان الديـن «نظـام انسانى» فانا أقصد انه سلوك فى الحياة ونمط فـى التفكيـر والتصرف يلتزم بهما النـاس فـى الـدنيـا على المنهج الذى رسمه الله لتنتظم شؤونهم فى حدود الايمان بوحدانيته وقدرته المطلقة . فالدين لا ينظـم شؤون الآخرة بل انه يعد لها بما شرعه الله للناس من عبادات ونظم خلقية واجتماعية واقتصادية، وما هداهم اليه من عقائد تستقيم بها احوالهم فى الدنيا وتزودهم للحياة الاخرى . ومعنى هذا أن الله لم يفرض الدين لصالحه ، لانه تعالى غنى عن اعمالنا وعباداتنا ، بـل فرضه لصالح البشر.

والعلم شان من شؤون الدنيا، وهو بذلك يدخل فى مشمولات الدين الاسلامى، فلا محل اذن للتعارض.

والاسلام، فى حقيقته، لا يقيم الحدود بين العلم والدين ، بل ان عبارة رجال الدين لم يكن لها مكان فى حضارة الاسلام ، فهى من مقتبسات هذا العصر ، ومعلوم انها ترادف فى البلاد المسيحية عبارة «رجال الكنيسة» .

ويبدو لى أن بعض المتعلمين المسلمين الذيـن تشربوا فكريا روح الثقافة الغربية تختلط فى اذهانهم أحيانا مدلولات الالفاظ التى تعبـر عن بعـض القيـم فيتعسفون فى ترجمتها حرفيا وفهمها على غير حقيقتها. و«الدين» من تلك الالفاظ التـى تنطوى علـى ابعـاد نفسية وفكريـة وخلقيـة تتصل بتـراث الامة التـى تستعملها ، ولا يلعب المعنى اللغوى والاشتقاقى فى ذلك الا دورا ثانويا .

فاذا كان من معانى كلمة الدين فى اللغة العربية الالتزام بالطاعة والانقياد ، أو الحكم والضبـط ، او الحساب والجزاء ، فان مدلولها الفكرى والنفسى يذهب أبعد من ذلك بكثير . فنحن ، مثلا ، حينما نتلو قول الله تعالى : «ان الدين عند الله الاسلام» ، يبعث لفظ الدين فى اذهاننا معانى عميقة تشمل عقيدة التوحيد وما يتبعها من بعث وحسـاب ، وثواب وعقاب ، وجنة ونار ، كما تشمل جملة العبادات والمعامـلات التـى شرعها الاسلام بما اوحاه الله لنبيه محمد صلى اللـه عليه وسلم واشتمل عليه القـرآن الكريـم والسنـة الشريفة . وليس هذا بالتأكيد هو ما يفهمـه الفـرد المسيحى أو البوذى أو البراهمى مـن لفـظ الديـن بأبعاده التى ذكرناها .

القرآن مصدر الافكار الاسلامية :

من هذا المنطلق نقول : ان القرآن الكريم هـو المرجع الاول للمسلمين فى شؤون العقيدة والاخلاق والتشريع والسلوك الاجتماعى والاقتصادى ، وهو بهذه الصفة كان المصدر الاول للافكار الاسلامية فى ميادين الفقه والتصوف وعلم الكلام والفلسفة واللغة والبيان، كما انه كان العامل الرئيسى فى تقدم العلوم الطبيعية والرياضية والطبية وغيرها ، كما انه حرك العقول وشحذ الاخيلـة وأثار تيـارات البحـث والنظـر والتاليـف والترجمة فى شتى ميادين العلم والفكر .

وفضلا عن هذه الميزة التى جعلت من القرآن الكريم محركا للافكار والعقول فى اتجاه المعرفة والعلم، وحافزا قويا من حوافز الدرس والاطـلاع والتفاعـــل مع ثقافات الامم المختلفة واستيعابها بشكل يتلاءم مع روح الاسلام ومنهجه ، أحدث الكتـاب المنـزل وعيا

خلقيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا جديدا فى حياة المجتمع الاسلامى وفى سلوك افراده ومعاشهم .

ذلك ان القــرآن جاء دعــوة الى الاصــلاح فرسم للناس منهجا قويما فــى العقيــدة والسلــوك والتفكير والعمل ، وخاطـب عقلهم وقلبهم وخيالهـم جميعا ببيان واضح ، ومنطق سهل ، وحجة قائمـة ، ودعاهم الى التعامل بالحسنى وتسخير الارض لما فيـه خير البشر وفقا للمبدأ الاسلامى المعـروف : لا ضرر ولا ضــرار .

فالقرآن اولا كتاب موعظة وارشاد ، وهذا مـا تدل عليه آيات بينات كقوله تعالى : «يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فــى الصـدور وهدى ورحمة للمؤمنين. (يونس/57) وقوله عز وجل «ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذيـن يعملـون الصالحـات أن لهـم أجـرا كبيـرا» (الاسراء / 9) .

والقرآن، مع ذلك، هو الاصل الاول من اصول التشريع الاسلامى «وما أنزلنا اليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه» (النحل/64) «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله» (النساء / 105) «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» (النحل / 89) والسنة النبوية هى الاصل الثانــى للتشريــع الاسلامى ويليها الاجتهاد وما يتصل به مــن قيــاس ومصالح مرسلة . ومعلوم ان الاجتهاد فى الاسلام من الاصول التى تفتح للعلم والعقل الانسانــى الرصيــن أبوابا واسعة من البحث والنظر والاستنباط .

هذا وقد اختط الله للقرآن منهجا يحفز علـى التدبر والتفكرويحث الانسان على امعانالنظر فى نفسه وفى سائر مخلوقات الله ليدفعه الى البحث والدرس والاستكشاف قصد بلوغ غايات منها : تصحيح الايمان بوحدانية الله، والسعى لعمارة ارضه التى استخلف فيها الانسان فحمله بذلك أمانة عظيمة الشأن جوهرها التوحيد وقوامها الكدح والعمل لاقامة العدل والمساواة بين الناس، وتنظيم شؤون معاملاتهم وعباداتهم تنظيما يضمن لهم حسن المعاش فى الدنيا ، والنجـاة فــى الآخرة .

تدبـــر النص القرآنـــي :

والقرآن الذى حث على التدبر والتفكر فى أمور الحياة والكون، امر المسلمين أن يتدبروا ، فى المقام الاول ، نص القرآن نفسه ليفهموه ويستوعبوا معانيه، لان العلم لا يحصل الا بالفهم، وفى ذلك يقول اللـه تعالى: «كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبـروا آياتـه » (ص/29) ويقول: «أفلا يتدبرون القرآن؟» (محمد/24).

نقرأ لتقى الدين بن تيمية فى كتابه (مقدمة فى أصول التفسير) : «يجب أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه معانى القرآن كما بين لهـم ألفاظه، فقول الله تعالى: «لتبين للناس ما نزل اليهم» يتناول هذا وهذا - أى المعنى واللفظ - وقد قال ابو عبد الرحمن السلمـى : حدثنـا الذيـن كانـوا يقرئوننا القرآن ، كعثمان بـن عفان وعبـد الله بـن مسعود : أنهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى اللـه عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مـا فيها من العلم والعمـل ... فتعلمنـا القرآن والعلـم والعمل جميعا» .

ويعلق بن تيميـة علـى هذه الرواية بقولـه : «فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فن من العلـم ، كالطب والحساب ولا يستشرحوه ، فكيف بكلام الله تعالى الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم ، وقيام دينهم ودنياهم» .

ولقد كان من أسباب تأخـر المسلمين ، بعـد النهضة الكبرى التى عرفتها دولهم ، أنهم فرطوا فــى تدبر آيات الله البينـات ، واقتصروا على الحفــظ والاستظهـار دون التعمق والفهم ، ووقفوا عند حـد التقليد الجامد ، وقصر باعهم عن الاجتهاد ، جهـلا وركونا ، فتخلفوا عن ركب العلم ، ووقفوا عن التقدم.

واننا لنحمد الله على أن الهمم انصرفت فى هذا العصر ، بعد يقظة الشعوب الاسلامية ، الى الاجتهـاد فى طلب العلم ، والاتجاه الى الدرس والبحث، فقامت بينهم طائفة من العلماء أتيح لهم نصيب وافر من علوم العصر فجعلوا ينظرون فى القرآن نظـرة المستبصر المستنير يتدبرون آياته على سنن السلف الصالــح وبفكر متفتح على معارف العصر ، فظهرت تفاسيــر ودراسات علمية قيمـة تكشف جوانب عديدة مــن أسرار القرآن وعلومه ، وأنشئت كليات جامعية وهيآت

علمية اسلامية تخدم البحث العلمي النزيه ، وتوجه اليه باسلوب يتناسب علوم العصر وحضارته .

وجدير بنا ان ننوه هنا بحسنة من حسنات جلالة ملك المغرب الحسن الثاني تتجلى فى تاسيس دار الحديث الحسنية بظهير شريف صادر عام 1385 الموافق لسنة 1965 ، وهى مؤسسة جامعية عليا للتدريس والبحث فى ميادين العلوم الاسلامية ، وفى مقدمتها علوم القرآن والسنة النبوية . واننا لنتمنى بل ندعو ان تتجه هذه الكلية العلمية - التى قطعت اشواطا هامة فى ميدان التدريس - الى البحث، وأن تذيع فى الناس نتائج بحوثها وأن تنشر الكتب والرسائل الجامعية ، فذلك هدف رئيسى من اهدافها كما جاء فى ظهير تأسيسها .

منهج القرآن فى الدعوة الى العلم :

لقد بينا ان القرآن الكريم قد دعا المسلمين الى تدبر آيات الله البينات الواردة فى نص الكتاب مما ادى الى نشوء حركة علمية واسعة ازدهرت بها علوم التفسير والقراءات، والعلوم الفقهية والبلاغية والبيانية وغيرها ، ونشرت آلاف الكتب والمصنفات التى درس فيها مؤلفوها القرآن الكريم من جميع جوانبه. وينبغى أن نشير الآن بايجاز الى الجانب الآخر للدعوة التدبرية التى وجه القرآن الكريم الانظار والعقول اليهـا .

نعم ، يزخر كتاب الله المنزل باشارات تثير الاذهان وتوجهها الى التفكر فى خلق الانسان والاكوان لغايتين جوهريتين : احداهما : الايمان اليقينى بوحدانية الله وقدرته ، والثانية تمكين الانسان من تسخير الطبيعة بوسائل علمية لتحسين الحياة على الارض بما يتفق وروح الشريعة وأهدافها .

فمن الآيات ما يدعو الانسان الى التدبير فى أمر نفسه كقوله تعالى : «أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين؟» (يس / 77) وقوله عز وجل: «يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ...» (الحج /5) فالانسان خلقه الله من ماء مهين وسواه بشرا وجعل له السمع والبصر والفؤاد ، وهداه النجدين : اما شاكرا واما كفورا . واذ جعله الله متوفرا على جميع مقومات النظر العقلى والاهتداء الشعورى فانه صار مدعوا بالضرورة الى التفكير الدائم والبحث المستمر لان الذى يبحث عن نفسه بالعقل والفؤاد ، اى بالعلم والمعرفة ، يجد الله فى نهاية الامر فيطمئن قلبه ويسخر العلم الذى وصل اليه فى سبيل الخير والنفع العـام .

وقد احاط الانسان فى هذا العصر بكثير من العلوم وحقق اكتشافات رائعة ومخترعات مدهشة فتمكن من فلق نواة المادة واطلاق الطاقة الكامنة فيها كما توصل الى اكتشاف اصغر ذرات خلاياه ووقف على عوالمها الكيماوية المذهلة حتى ان علماء البيولوجيا المعاصرين اخذوا يعتبرون الكائنات الحية - وفى مقدمتها الانسان - بمثابة آلات كيماوية اذ ان نمو الاجسام وتكاثرها يتطلبان حدوث آلاف التفاعلات الكيماوية التى تتكون بفضلها مقومات الخلايا. وبالرغم من ذلك فان الانسان ما يزال فى حاجة شديدة الى تدبر أمر نفسه من الظاهر والباطن لمعرفة مكانته وعلاقته بالكون الواسع الذى يدبره الله بحكمة واتقان .

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» (فصلت / 53) وهو سبحانه ما يزال يرينا آياته فى الاكوان وفى انفسنا منذ ظهور الانسان على الارض ، يرينا ذلك بما ييسرنا له من علم وما يهدينا اليه من معرفة ، وما اقل ما رأيناه وما اكثر ما يزال محجوبا عن افهامنا ! والامر المهم هو ان توصلنا المعرفة الى اليقين الذى يثبت الايمان ، وألا تجعلنا نرى فى فتوح العلم والتقنولوجيا مجرد وسيلة لارضاء الفضول او لتأكيد سلطان المادة . فهذا الاختيار القاصر ان لم يؤد فى الآجل الى تدمير الحضارة الروحية والمادية المتوازنة التى بناها الانسان جيلا عن جيل فانه سيقود لا محالة الى تقويض القيم الروحية والخلقية التى اصبح الانسان بفضلها كائنا متميزا بعد ان كان فى اوائل ظهوره على الارض من جملة البهائم التى تدب عليها .

واذا كان التفكير العلمي قد انتهى ببعض المفكرين الى القول بان الانسان مجرد آلة تنتج ادوات العمل بقصد التأثير فى الطبيعة وتحويلها ، وان العالم مادى وأنه لا وجود فيه لغير المادة وقوانين حركتها وتغيرها، فان هذا مما يدل على وجود تهافت خطير فى فكر بعض الاقوام كما يدل على ان دعوة

القرآن ما تزال قائمة بكل جدتها وقوتها تنتظر رجالا يتولونها عن علم وايمان حتى يثبتوا للماديين الضالين أن الله سبحانه وتعالى يتنزه عن العبث وهو القائل عز وجل : «وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين» (الانبياء / 16) وكان الفيزيائي المعاصر أينشتين قد استلهم هذه الآية الكريمة حينما قال متحدثا عن قاعدة التأكد : «لا استطيع ان اعتقد ان الله يتصرف في الكون تصرف من يلعب بالنرد»*

ونعود لمسألة الدعوة القرآنية الى التدبر لنرى أن كتاب الله العزيز لم يقتصر على دعوة الانسان الى التفكر في نفسه بل لفت نظره كذلك الى آيات الله الكونية بكيفية تثير في نفسه حب الاستطلاع العلمي، والرغبة في البحث والكشف ليكتمل بذلك ايمانه ويطمئن قلبه ، ذلك ان المعرفة اليقينية التي يشترك فيها العقل والقلب والحواس ويعاينها البصر والبصيرة تؤدي حتما الى الايمان الثابت .

ونلاحظ أن القرآن الكريم كثيرا ما يخاطب الناس بكلام يبدأه بمثل قوله : «ألم تر...» «أو لم يروا...» «أفلا ينظرون الى..» ولاشك ان هذه المخاطبة لا يقصد منها مجرد التنبيه ولفت النظر ، بل الدعوة الى التدبر الطويل والتفكر العميق وكلاهما من وظائف العقل والحواس .

يقول الله تعالى : «أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي؟» (الانبياء/30) وواضح أن في هذه الآية تقريعا للذين لا يتدبرون آيات الله الكونية فيؤدي بهم الجهل الى الكفر ، والآية بعد هذا تثير الفضول العلمي وتنبه غريزة حب الاستطلاع في الانسان ، ذلك أن البشر لا يستطيعون ان يدركوا بحاسة البصر وحدها، حقيقتين تشير اليها الآية الكريمة: 1) فتق السموات والارض بعد ان كانتا رتقا. 2) علاقة الحياة بالماء . وهما موضوعان يتطلبان دراسة طويلة وتأملا عميقا . فالناس مدعوون أولا الى الايمان والتسليم ما دام الله سبحانه وتعالى هو الذي يخبرنا بذلك بواسطة رسوله الكريم ، ثم نتابع البحث والنظر لتطمئن قلوبنا باليقين . وهذا هو منهج القرآن في تشجيع العلم والدعوة اليه .

وسنلاحظ في آيتين كريمتين أخريين كيف ربط القرآن وجدان العلماء بالتفكر في آيات الله الكونية لاستخلاص النتائج الاعتقادية والعقلية منها : يقول الله تعالى : «ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر/27-28) فالآية الاولى زاخرة باشارات واضحة تحث على التدبر والبحث والاستكشاف ، والآية الثانية تقرر ان العلماء الذين يبحثون ويكتشفون الحقائق هم اكثر الناس خشية لله ، والخشية مرتبة سامية من مراتب الايمان الذي يثبته العلم .

وما اكثر ما يدعو القرآن الى النظر بالعقل قبل البصر : « انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، أن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون» (الانعام/99) «ألم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» (لقمان/29) «أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج» (ق/6) «ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا» (الفرقان/45) «أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن» (الملك/19) ان كل هذه الآيات الكريمة تدعونا الى النظر بالعقل والجوارح في ظواهر بيولوجية وطبيعية شتى تتصل بالكائنات الحية وبالافلاك .

ترى هل كان الانسان يستطيع ، لو انه لم يطل النظر في الطيور المحلقات في جو السماء ، ان يكتشف الطائرة في يوم من الايام ؟ ان التأمل البصير هو بداية العلم وهو تمام الايمان .

ويحق لنا ان نلاحظ بعد هذا ان القرآن قد استعمل لفظ «آية» للدلالة على معنيين : اولا : على الجمل القرآنية المتصلة بعضها ببعض مثل قوله : «ليدبروا آياته». ثانيا : على الدلائل الكونية مثل قوله : «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون» (يس/37) فكلمة الآية هنا معناها العلامة الظاهرة التي يتبين منها الوجه الخفي من الاشياء . فالمسالة تتطلب الملاحظة والاستكشاف والتثبت .

---

*) ملاحظة قرأناها في بحث للدكتور ميلر بروز منشور في كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة» جمع وتقديم محمد خلف الله .

فالقرآن ، اذن ، دعوة واضحة الى العلم واعمال النظر بقصد معرفة الظواهر وكشف الحقائق ليصح الايمان باليقين وتحصل المنفعة العامة التى فيها خير الناس فى المعاش والمعاد .

العلـــم والايمــــان :

ويمكننا ان نستنتج من هذا المقصد الاسمى ان العلم الذى لا يؤدى الى الايمان والمنفعة العامة معا ضرب من الفساد فى الارض .

قرأت فى كتاب (القوة والضعف)* للاستاذ جان همبور جير، الطبيب الباحث الفرنسى ما ترجمته: «شاهدت يوما على شاشة التلفزيون صحافيا يسال عالما نابها من علماء الفيزياء . قال الصحافى :

– هل تفكر احيانا فـى عواقـب مخترعاتـك ؟

فأجاب العالم :

– اننى لا افكر فى ذلك قط ، فالمسالة ليست من شأنى، وعلى الآخرين ان يفعلوا ذلك مكانى» وعلق جان هامبور جير على هذا الحوار الغريب بقوله:

«لا شك ان عددا كبيرا من النظارة قد اقشعرت ابدانهم فى تلك اللحظة مثلى وهم يستمعون الى رجل يحدث الصاعقة فلا يشغل باله بما يمكن ان تتسبب فيه» .

ان الله لا يحب الفساد . والعلم الذى لا يصحبه الايمان ونفع الناس عبث لا يقبله الله وفساد يؤدى الى سوء العاقبة فى الدنيا قبل الآخرة .

العقيـــدة والاخـــلاق :

اذا كان هذا هو موقف القرآن من العلم فان توجيهاته السامية فى مسالة العقيدة والاخلاق تتلخص فى منطوق هذه الآية الكريمة وروحها : «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافـوا ولا تحزنـوا وابشروا بالجنـة التى كنتـم توعدون» (فصلت/30) ويتكرر نفس هذا المعنى فى سورة الاحقاف (الآية 13) . وفى حديث عن ابى عمرة سفيان بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قلت : يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه احدا غيرك ، قال : قل آمنت بالله ثم استقم .

فالايمان بالله يقتضى بداهة الايمان بوحدانيته المطلقة التى تتجلى فى عدد من الحقائق التى ينبهنا اليها القرآن الكريم ومنها :

أولا : انفراد الله بالخلق والابداع «ألا له الخلق والامر » (الاعراف 54) « بديع السموات والارض ، واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون » (البقـــرة 117) «وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهـون عليه ولـه المثل الاعلـى فـى السمـوات والارض » (الروم/27) .

ثانيا : علمه المطلق الشامل : «وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضــع الا بعلمه» (فصلت/47) «ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين» (الانعام/59) ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسـوس به نفســه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد» (ق/16) .

ثالثا : مطلق تصرفه فى الكون والخلائق : «هو الذى يسيركم فى البر والبحر» (يونس/22) «انه هو يبدىء ويعيد» (البروج/13) «والارض جميعا قبضتـه يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» (الزمر/67).

رابعا : خضـوع المخلوقات والاكـوان لارادتـه خضوعا تاما : وله اسلم من فى السمـوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون» (آل عمران/83) «ومـا انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء» (العنكبوت/22) .

خامسا : تجلى الكمال الالهى فى مبدعاته : «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هـل ترى من فطور» (الملك/3) «أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج» (ق/6) «وأنبتنا فيها من كل شىء موزون» (الحجـر/19) .. «وصوركم فاحسن صوركم» (التغابن/2) «الذى احسن كل شىء خلقه» (السجدة/7) .

هذا ويترتب عن الايمان بوحدانيـة الله امـور عملية تطبع خلق المؤمن وسلوكه، ومن ذلك الاحساس

* Jean Hamburger, La puissance et la fragilité - Flamarion, Paris.

بانتماء البشر الى اصل واحد وتساويهم فى الحقوق والواجبات ؛ وفى هذا يقول الله تعالى : «ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» (لقمان/28) ويقول: «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم» (الحجرات/13) ، ومن ذلك ايضا : الالتزام بوحدة الاعتصام والصف : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (آل عمران/103) «ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (الشورى/13) «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء» (الانعام/159) .

وهكذا يجب ان تتجلى وحدانية الله تعالى فى وحدة البشر واجتماعهم حول عقيدة واحدة ، وسعى مشترك للخير والصلاح . ولحكمة ما عد الله سبحانه وتعالى الشرك من اكبر الكبائر فقال : «ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» (النساء/48) ، والشرك انواع منه عبادة الاصنام والظواهر الطبيعية، ومنه عبادة الاشخاص وتقديسهم من دون الله ، وهذا النوع من العبادة هو السائد فى بعض المجتمعات المادية المعاصرة ، ويطلقون عليه (Le culte de la personnalité) ومن قبيل الشرك ايضا عبادة الهوى ، وفى هذا يقول الله تعالى : «أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا» (الفرقان/43) ويقول «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» (القصص/50) وقد طغى هذا النوع من العبادة فى عصرنا .

وتنتقل الآن الى مسالة «الاستقامة» التى هى من جوامع الكلم وتعنى فى الدرجة الاولى طاعة الله فى كل ما يامر به ، وحسن العمل والاخلاص فيه . والطاعة تقتضى ترويض النفس وتقويم السلوك بالعبادات والتربية والتهذيب والقدوة الصالحة. وغاية الاستقامة ثبوت الايمان بالعمل ومجاهدة النفس ، وتغلب الخير لمنفعة الفرد والجماعة .

لذلك فان الاستقامة تستوجب العدل والامانة وحسن المعاملة وبذل الجهد فى سبيل الصالح العام.

فالذي لا يعدل لا يمكن ان يكون مستقيما،ومثله الذى يخون الامانة او يغش فى قول او عمل ، فى صعى او وظيف .

والذى يفتن الجماعة عن دينها وعقيدتها ، ويعمل لتفريق صفوفها لا يمكن ان يكون مستقيما ، ومثله الذى يسعى فى الارض فسادا بترويج العقائد الضالة والمذاهب الملحدة التى تزيغ عن طريق الله وتقيم لسلطان المادة دولة ورجالا .

ومن مقومات الاستقامة: البذل والتعاون والسعى فى خدمة المجموع لكى تتحقق العدالة والمساواة فى الواجبات والحقوق جميعا .

فالاستقامة اذن سلوك خلقى واجتماعى متكامل يتيح للفرد حرية لا تقيدها الا الشريعة ، ويضبط علاقة الفرد بربه على اساس الطاعة والبر والتقوى كما يحدد علاقته بالجماعة فى دائرة الموالاة والتعاون واقامة العدل « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (التوبة/71) .

العـــدل قيمـــة كليـــة :

والعدل قوام التعامل فى الاسلام وهو قيمة كلية لا تتجزأ ، فليس هنالك عدالة اجتماعية واخرى سياسية واقتصادية . وقد دأب مروجو بعض المذاهب فى هذا العصر على تجزئة العدل بما يوافق نظام الطبقات الذي يدعون اليه ، والواقع ان الاسلام الذي لا يقر نظام الطبقات ولا يقول به لا يستسيغ ولا يقبل تجزئة العدالة وتوزيعها بحسب نظام الطبقات . فالله سبحانه وتعالى«يأمر بالعدل والاحسان»ويقول فى كتابه العزيز : «وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون» والعدل قوامه الحق وبه تستقيم احوال الجماعة فى الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، فهو اذن كل لا يتجزأ .

ويحق لنا بعد هذا ان نقول بان كثيرا من المسلمين المعاصرين قد تسربت الى اذهانهم بعض المغالطات المذهبية فأوقعتهم فى ضلال فكرى بعيد جعلهم يتوهمون اشياء جافية عن حقيقة الاسلام ورسالته العظمى .

وهكذا اخذنا نسمع هنا وهناك مصطلحات من امثال: الاديولوجية الاسلامية، والاشتراكية الاسلامية، وجدلية الاسلام وغير ذلك من الاوهام التى ما انزل الله بها من سلطان .

ولو تأمل هؤلاء المغررون ، ولو قليلا ، فى أصول هذه المصطلحات ومقاصدها لما نسبوها الى الاسلام .

فالاديولوجية ، مثلا ، مصطلح ظهر اول ما ظهر فى القرن الثامن عشر باوربا وكان يدل فى البداية على علم يعنى بدراسة الافكار وطبيعتها وقوانينها. وحينما انتشرت الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر تناول مروجوها لفظ اديولوجية فاعطوه مدلولا جديدا يفيد جملة الافكار والعقائد والمذاهب الخاصة بمجتمع او بطبقة من المجتمع . وواضح أن الاسلام بعيد كل البعد عما يؤديه لفظ الاديولوجية فى اصله او تطوره. فالاسلام شريعة الله اوحى بها الى نبيه ، وهو ليس علما للافكار ولا اتجاها فى تيارات المذاهب الاقتصادية والاجتماعية .

والاسلام ليس اشتراكية ولا شيوعية ولا رأسمالية ولا ليبرالية، وهو ابعد ما يكون عن الجدلية بجميع أصنافها وضروبها بما فيها المادية الجدلية التى تخالف عن امر الاسلام وتقول بأن لا شيء فى العالم غير المادة وقوانين حركتها وتغيرها، فهذه كلها آراء افتراضية من وضع البشر تصلح لزمان محدود ومكان معين وطبقة مخصوصة وتقبل الدحض والتفنيد والاخذ والرد ، والاسلام شريعة الله لا يحدها زمان ولا مكان تصلح للبشرية كافة وتستمد اصولها من كتاب الله وسنة نبيه وتفسح المجال لاجتهاد علماء الاسلام بما لا يخالف القرآن واقوال الرسول الثابتة بالسند الصحيح ، وبما يتفق ومصالح الجماعة الاسلامية فى كل عصر ومكان .

هذا بعض ما يسره الله على قلبي ولساني (*) من حديث عن توجيهات الكتاب المنزل ومقاصده ، هذا الكتاب الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه على خيار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه» .

فاللهم اهدنا بهدى القرآن ، وثبت قلوبنا وخطانا على الحق فى سبيله ، واجعله امامنا ورائدنا الى العزة والتقدم والفوز بخير الدنيا ونعيم الآخرة .

محمد العربى الخطابى

(*) محاضرة القيت بدعوة من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية يوم 12 ربيع النبوي 1397 (3 مارس 1977) .

« ان ماركس لم يبدأ فى الالمام بشيء عن الاسلام الا فى أواخر حياته التي قضاها فى لندن وكان فيها دائم التردد على مكتبة المتحف البريطاني واطلع بها على ترجمة لكتاب « الاموال » للامام ابى عبيد وكان تعليقه على هذا الكتاب قوله « ان الاسلام دين تقدمي » وهذا من قراءة كتاب واحد » .

د. عبد المنعم النمر

« الاخبار « القاهرية

8 – 2 – 1977

تعاليم الإسلام ومقتضيات العصر

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

تعاليم الاسلام اذا خلت من الجمود والجحود وبقيت على صفاتها لم تتلوث بالبدع المحدثة صالحة لكل زمان ومكان وكفيلة بسعادة الدارين للجنس البشري بأسره ، وهي مبنية على ثلاثة أصول : توحيد الله تعالى واتباع رسوله (ص) والخلق الحسن .

فأما توحيد الله سبحانه فهو على ثلاثة اقسام : توحيد الربوبية وهو اعتقادنا ان الله هو خالق هذا العالم والمتصرف فيه والمدبر لشؤونه لا يشاركه فى ذلك احد كما قال تعالى فى سورة الاعراف : « ان ربكم الذي خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » . معناه : ان مالككم وسيدكم الذي انعم عليكم بنعمتى الايجاد والامداد والذي بيده مقاليد اموركم وبيده ملكوت كل شيء واليه يرجع الامر كله هو الله الذي خلق السموات والارض ، اي انشأها وأوجدها من العدم على غير مثال سابق فى ست مدد ثم استوى على العرش الذي هو اعظم المخلوقات . يغشى الليل النهار اي يغطي الليل بالنهار ، فيقصر الليل ويطول النهار ، ويغطي النهار بالليل فيقصر النهار ويطول الليل ، وسخر الشمس والقمر ، بأن جعل لهما نظاما بديعا دقيقا فى مشارقهما ومغاربهما وفى انتفاع عباده بهما ، ثم قال تعالى الا له الخلق والامر ، فهو خالق كل شيء وله وحده الامر والتصرف فى مخلوقاته وهي كلها خاضعة لارادته تبارك وتعالى .

وقال تعالى فى سورة فاطر : « والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك » . تضمنت هذه الآيات الكريمة من دلائل ربوبية الله تعالى امورا اولها ارسال الرياح التي تثير السحاب وتسوقه لانزال المطر حيث يشاء الله وثانيهما أن ذلك المطر يحيي الله به الارض بعد موتها فتخرج من خيراتها وبركاتها أنواعا كثيرة من المعايش والارزاق التي تقوم بها حياة الانسان والحيوان ، ثالثها أن الله الذي أحيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتى ببعثهم من مراقدهم لتجزى كل نفس بما عملت وذلك مقتضى عدله وحكمته ، افحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ، رابعها ان العزة بيد الله من أعزه فلا مذل له ومن اذله فلا معز له فيجب على من يريد العزة ان يطلبها بطاعة

الله وامتثال أمره واجتناب نهيه وتحكيم شرعه باتباع كتابه ورسوله فبذلك تنال وبضده تنال الذلة لا مبدل لكلمات الله ، خامسها أن كل كلمة طيبة وكل عمل صالح يقبلهما الله تعالى ويثيب عليهما وكل كلمة خبيثة وعمل سيء لا يرضاهما الله تعالى ويعاقب مرتكبيهما . سادسها ان المجرمين الذين يخادعون الله والمؤمنين ، ويمكرون السيئات ويدبرون المكايد فى محاربة الحق اتباعا لاهوائهم ، لهم عذاب شديد فى الدنيا والاخرة ، ووبال مكايدهم لا يعود الا عليهم ، فيبور مكرهم ، اي يبطل : كما قال تعالى « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، ولا يحيق المكر السيء الا باهله . سابعها أن الله خلق الانسان من تراب ثم من نطفة فى اطوار كثيرة حتى استوى انسانا كاملا وجعله أصنافا مختلفة فى الخلق والاخلاق مع أن أصلهم واحد . فسبحان الخلاق العليم . ثامنها ان ذلك يستلزم كمال علمه بكل دقيق وجليل من احوال خلقه اذ كمال الصنعة يدل على كمال الصانع . تاسعها تفضله على عباده بان خلق نوعين من المياه أحدهما عذب ويلذ شرابه وثانيهما ملح مر طعمه مغاير للاول تمام المغايرة . عاشرها أنه خلق لنا فى كل من المائين أسماكا طرية اللحم،لذيذة الطعم متشابهة مع تغاير مستقرهما العذب والملح . حادي عشرها انه خلق لنا فى البحر الملح اللآلىء ومرجانا للزينة والتحلي . ثاني عشرها انه سخر لنا السفن والبواخر تمخر عباب البحور وتنقل الناس والبضائع من بلد الى بلد لتبادل المنافع والتوسع فى المكاسب وأوجب علينا الشكر ووعدنا بالمزيد . ثالث عشرها وقد تقدم ادخال الليل فى النهار وادخال النهار فى الليل وتسخير الشمس والقمر . ثم قال تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك) ، فالذي فعل ذلك وامثاله هو المالك المربي وغيره عبد مملوك عاجز .

القسم الثاني توحيد العبادة : وهو التوجه الى الله وحده بالدعاء والصلاة والاستعاذة والاستغاثة وهي طلب الحفظ من الشر ، والتوكل ، وهو الاعتماد عليه فى جلب الخير ودفع الشر ، والنسك وهو الذبح بقصد التعظيم ، والنذر وهو الذي يسمى بالمغربية (بالوعدة) والخوف بالغيب والخضوع بالقلب وهو الانابة والحلف والتصدق لوجهه والعبودية والتذلل له ، والتحاكم الى شرعه فى كل شيء ، ونبذ كل تشريع لا يستند اليه ، والرضا بقضائه والصبر على المصائب لوجهه ، والتحاب فيه والتباغض لأجله والموالاة والمعاداة من اجله الى غير ذلك من أنواع العبادات كالصوم والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك المحرمات والشبهات والاحسان الى خلقه والرحمة والشفقة عليه ، كل ذلك وما أشبهه لا يفعل الا لله ، ومن فعل شيئا منه لغيره فقد أشرك به (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من انصار) .

القسم الثالث : توحيد الاسماء والصفات وهو أن لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه فى كتابه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فى حديثه

الاصل الثاني اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب على كل مؤمن أن يحبه اكثر من نفسه واولاده ووالديه والناس اجمعين لقوله عليه السلام : (لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين) رواه البخاري ومسلم من حديث انس ، وعلامة صدق محبته محبة ما جاء به ، واتباعه بتحليل ما احل وتحريم ما حرم ، وفعل ما امر به ، وترك ما نهى عنه ، والتخلق باخلاقه بقدر الامكان . والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به . رواه البغوي وصححه النووي ، ومصداق ذلك فى كتاب الله عز وجل ، قال تعالى فى سورة النساء (65) « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » هذا قسم مؤكد من الله تعالى ، انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل نزاع يقع بينه وبين غيره ، ثم يرضى بحكمه ، ويسلم لذلك تسليما تاما ، حتى لا يقع فى قلبه ادنى شيء من الاشمئزاز . ولو كان ذلك ذهاب نفسه وماله واحب الناس اليه ، وتحكيمه بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى هو تحكيم كتاب الله وسنة رسوله. ولا يمكن تحكيمهما الا بالعناية بدراستهما ومعرفة ما فيهما ، والتهاون فى هذا الامر هو سبب كل ما أصاب المسلمين . افرادا وجماعات ، من الشقاء الحسي والمعنوي ، ولا يزول عنهم هذا الشقاء الا بالرجوع الى ما كان عليه أسلافهم .

والاصل الثالث . الاخلاق ، وهذا الاصل هو ثمرة الايمان والاعمال الصالحة . قال تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم . والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

بالحق وتواصوا بالصبر » . فكل ايمان وعمل صالح لا يبعثان صاحبهما على التواصي بالحق والتواصي بالصبر فهما باطلان لا خير فيهما ؛ والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان ، اخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وانفرد مسلم بقوله عليه الصلاة والسلام : وان صلى وصام وزعم أنه مسلم

ومعناه ؛ ان من اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث منافق خالص ليس عنده شيء من الايمان ولو قال انا مسلم ونطق بالشهادتين وصلى وصام وحج وفعل كل ما امر به . ويزيد وضوحا ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذ اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ؛ ومعنى اذا خاصم فجر اذا اكد الوعد بالعهد يغدر فلا يوفي بعهده واذا خاصم احدا كذب وجحد الحق واندفع في الباطل ليغلب خصمه بذلك .

ورب قائل يقول : ان كل ما ذكرته في هذا الحديث ينطبق على تعاليم الاسلام . فاين مقتضيات العصر الحاضر التي هي من صلب الموضوع الذي تتحدث فيه فاقول في الجواب : لعلك تريد التقدم الاقتصادي ، والاجتماعي والسياسي والعلمي والحربي الى آخر ذلك . فتيقن أيها القارىء العزيز ان ذلك لم يغب عن بالي ، فاضمن لي وجود ما تقدم من الاصول الثلاثة : التوحيد ، واتباع الرسول ، والتخلق بالاخلاق التي جاء بها ، اضمن لك التقدم والتفوق في جميع الميادين حتى القنابل الذرية والهيدروجية والصعود الى الفضاء أكثر مما بلغت اليه أمريكا والاتحاد السوفياتي زيادة على الرفاهية في العيش واستتباب الامن . اما اذا اهملت الاصول فالتخلف والشقاء التام والذلة والهوان كل ذلك مضمون للمسلمين والعرب ، وان سعوا بكل وسيلة من الوسائل المستوردة والعقائد المجلوبة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مكناس : الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

قال رجل لعمر بن عبد العزيز :

— متى اتكلم ؟

قال : اذا اشتهيت أن تصمت .

قال :

— فمتى أصمت ؟

قال : اذا اشتهيت أن تتكلم .

مصير التيارات العقائدية وضرورة الإختيار

للدكتورة عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون »
صدق الله العظيم

الموضوع يتعلق بمصير التيارات العقائدية وضرورة الاختيار .

من حيث المصير ، لا يكون حديثي عنه الا تخمينا وافتراضا ، او حدسا وتصورا وتوقعا ، ويظل المصير وراء ما يكون من حدسنا وافتراضنا ، غيبا فى مضتمر الغد .

وطبيعي أن الذين يفكرون منا فى مصير التيارات ، يقيمون تصورهم له على تقدير لاتجاه سيرها ، وحساب لاحتمال أبعادها . لكن الاحداث بطبيعتها متغيرة فليس من شأنها الثبات ليصدق توقعنا بالضرورة . وغير مستبعد فى عالمنا الذي يتغير بين لحظة وأخرى ، أن يحدث فى أي وقت ما يخلف التقدير والحساب ، ويتجه بمصير هذا التيار او ذاك ، الى مصير غير الذي توقعه الحاسبون .

لا يعني هذا بطبيعة الحال ، الا نشغل بالغد ونعمل له حسابا ، لكني اوثر ان ادع هذا المصير يتكلم فيه من يقفون فى مراصد التيارات يرقبون مسارها . حسبي أن اتكلم عن واقع الامس واليوم :

عن ماضينا الذي كان ، شهد فيه التاريخ امتنا تحقق وجودها الكريم الحر تحت لواء عقيدتها ، وتبدع حضارتها الرائدة التي قادت مسرى البشرية فى ظلمات عصورها الوسطى ، حضارة اسلامية الجوهر والروح والفكر والمنهج ، عربية اللسان والقلم ، شاركت فيها شعوب الامة من اقصى المشرق الاسيوي الى اقصى المغرب الافريقي ، وكان القرآن دليل هذه الحضارة الاسلامية الرائدة القائدة ، ومنارها ولواءها ..

عن ذرائع الغزو الفكري الضاري الذي تسلط علينا فى ليلنا الطويل ، وجعل من عقيدتنا هدفا لم يغب قط عن بصر الغزاة من كل جنس وملة ، ليشوهوا الانسان فينا ويفرغوه من جوهر ذاته ويمسخوا ملامح أصالته .

عن حاضرنا البائس التعس ، الذي استعرنا فيه ثقافات الغرب وانتحلنا شتى مذاهبه ، وتوزعنا فيما بينها طرائق قددا ذات اليمين وذات اليسار ، فما اغنى ذلك كله شيئا ، اي شيء ، فيما تعاني امتنا من هزيمة وهوان وتمزق ، ولا أعطتنا المذاهب التي انتحلناها والمدارس التي انتمينا اليها ، اي عوض عن عقيدتنا التي تفرط فيها واصالتنا التي هانت علينا

عن هذا الواقع مما كان بالامس وما هو كائن اليوم ، يمكن أن اتحدث . اما المصير فى الغد فلا علم لي به ، الله يعلمه ، ولست الا كما قال شاعرنا الجاهلي الحكيم « زهير بن أبي سلمى » :

واعلم علم اليوم والامس قبله

ولكنني عن علم ما فى غد عدم

واتلو من كلمات ربي ، ما تلا نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام :

« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

فماذا عن التيارات العقائدية ؟

التيارات فيما افهم ، لا تنسب الى العقائد ولا توصف بها . وانما هي مذاهب اقتصادية وسياسية واجتماعية محدثة ، انتحلت فى عصرنا اسم العقيدة التي لا تتعلق بغير الدين .

وقد يبدو من عجيب المفارقات ، ان تنتحل هذه الصفة ، مذاهب معادية للدين ملحدة به منكرة له ، يبشر دعاتها فى الناس باليقظة من تخدير ما سموه افيون الشعوب ، فغيم تعلقها بصفة العقيدة التي عرفها تاريخ البشرية للدين وحده ؟

لكن هذا العجب يزول ، اذا عرفنا ان التجربة الطويلة علمت قادة هذه المذاهب ان الانسان لا يمكن ان يعيش فى فراغ من العقيدة ، فكان ان اعطوا المذاهب اسم العقيدة ، فى محاولة لملء الفراغ الذي ارادوا عبثا ان يملئوه بتعاليم مذهب اقتصادي اجتماعي . وافضى بهم اليأس الى ان يجعلوا من قادتهم آلهة معبودة على الارض ، لعلها تلبي ما فى وجدان الشعوب من نزوع فطري راسخ ، الى التعبد.

وثبت عقم المحاولة لاحلال المذهب بديلا من العقيدة ، وكانت وصية الفيلسوف « بالميرو تولياني» الزعيم الراحل للحزب الشيوعي الايطالي ، تلح على ضرورة تقدير الحزب لغلبة السلطان الديني ، وتنصح لقادة المذهب بأن يتقوا ازمة عداء المذهب للدين .

ومضى « بالميرو » تاركا وصيته وثيقة تاريخية تحذر من خطر اصطدام المذهب بالعقيدة الدينية ، فبدأ محاولات المصالحة مع الاديان ، من منتصف القرن الحالي — أى بعد قرن من اعلان ماركس (المانيفستو) سنة 1848 — فسمحت روسيا لافواج من مسلمي آسيا السوفياتية بالسفر الى مكة لاداء فريضة الحج ، ودعت عددا غير قليل من علماء الاسلام ومفكريه فى المشرق والمغرب ، لحوار مع اقطاب المذهب ، قصدا الى التعايش السلمي مع شعوب الامة الاسلامية .

كما استقبل البابا الراحل « بول السادس » فى الفاتيكان ، عددا من اقطاب الشيوعية . وجرت مفاوضات بين ممثله « الكاردينال فرانز كوينج » — كردينال النمسا — وحكومات المجر ويوغسلافيا ثم تشيكوسلوفاكيا للاعتراف بحق الكنيسة فى التوجيه الديني لرعاياها الكاثوليك ، دون المساس بسلطة الحكومة .

تلك كانت تجربة الشيوعية فى مقاومتها لما سمته « افيون الشعوب » ومحاولتها أن تحرر الانسان من سلطان العقيدة ، ومضى قرن وبعض قرن ، فما استطاعت ان تعطي عن العقيدة بديلا .

وقرن كامل ليس وقتا قصيرا فى امتحان وتجربة ، وبخاصة بالقياس الى عصرنا فى جراة اقتحامه وسرعة تغيره وامتداد آفاقه .

ولا ادري مصير المحاولات المبذولة للمصالحة التي فرضها رسوخ التدين فى فطرة الانسان .

قصارى ما ادريه ، والله أعلم ، ان بين هذه المذاهب المعاصرة والدين ، تناقضا اساسيا يصعب تلافيه والتغلب عليه .

واقول : المذاهب ، بصيغة الجمع ، لان الرأسمالية منها كالشيوعية سواء ، فى تناقضها مع العقيدة الدينية ، على ما يبدو فى ظاهر الامر من غرابة الجمع بين الراسمالية والشيوعية فى هذا السياق .

وبيان ذلك ، ان الدين مع بالغ تقديره لبشريتنا، يتعامل مع انسانية الانسان التي يفترق بها عن جنسه الحيواني العام .

العقيدة والايمان ، من خصائص الانسانية . وكل تكاليف العبارات والشعائر والقيم الاخلاقية ، أمور تتعلق بانسانيتنا . فنحن بهذه الانسانية لا بالحيوانية فينا ، نؤمن ونتعبد ونتقي ونخشع ونخطىء ونتوب . وبانسانيتنا نختلف ونتفاضل ، فيكون منا المؤمن والكافر ، المهتدي والضال ، التقي والفاجر ، الكريم واللئيم ، الطيب والخبيث .

ولا شيء من هذا ومثله ، يتعلق ببشريتنا المادية التي تأكل الطعام وتمشي في الاسواق ، ونتماثل فيها جميعا لا فرق بين مؤمن تقي ، وكافر فاجر .

المذاهب الشيوعية والراسمالية تتعامل مع مادبتنا البشرية التي ننتمي بها الى عموم جنسنا الحيواني ، وليس مع انسانيتنا التي تحمل امانة عقيدتها لا تكره عليها ، ومسئولية سلوكها وسعيها ، وتبعة ارادتها الكسبية فيما هو متروك لحرية اختيارها من قول او عمل . وهي امانة صعبة انفرد الانسان بحملها دون سائر الكائنات التي تخضع للتسخير المطلق ، فيعفيها التسخير من المسئولية والحساب .

المذاهب المعاصرة ، الشيوعية منها والراسمالية ، تعطل امانة الانسان بفرضها الاكراه المذهبي . وتلغي ارادته الحرة باخضاعه لتعاليم المذهب في القول والفعل ، على وجه الالزام والتسخير المطلق . وقد نعلم أن الدول الشيوعية لا تسمح لأحد من رعاياها بأن يميل الى الراسمالية ، لكننا قلما نذكر ان امريكا ، قمة الراسمالية ، لا تسمح كذلك لأحد باعتناق الشيوعية .

والنظم الشيوعية تاخذ قوتها ، ان لم تأخذ سبب وجودها ، من تأمين الحاجات المادية للبشر ، صادقة في ذلك مع نظريتها في التفسير المادي للتاريخ .

وفي الطرف المقابل ، تقوم الراسمالية ، على المادية أيضا ، لانها راسمالها ، وتحاول كذلك ان تؤمن بقاءها في صراع المذاهب ، بتأمين الحاجات لشعوبها ، اتقاء تمردها وسدا لذرائع الدعاية الشيوعية .

فليكن ان هذه المذاهب وتلك ، استطاعت حقا بوسيلة او بأخرى أن توفر للناس الغذاء والمسكن والعلاج والدواء ، هل يخرج هذا كله عن نطاق بشريتنا المادية الحيوانية ؟

ما من حيوان ، بشرا كان او بهيمة او وحشا او حشرة ، يستغني عما تقوم به حياته من ضرورات مادية . كل الحيوان يأكل ويشرب ويسكن ويتناسل ، ويلتمس الدفء والراحة والسلامة من الاذى والمرض .

والانسان وحده ، هو الذي يصوم نسكا ومجاهدة ، ويطيق الجوع الاختياري والحرمان الارادي ، ولا يطيق الذل والعار ، وقد يبذل حياته فدية لشرفه وكرامته وعقيدته ووطنه .

والتدين فطرته ، لان الدين مع تقديره لبشريته ، ينظر وراءها الى انسانيته التي يكابد بها معركته الابدية بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الجمال والقبح .

ثم ان الدين يحمي الانسان فينا ، من لعنة العدم التي تجعل حياتنا الدنيا عبثا لا يطاق ، وعبثا عميقا ينتهي بضجعة في القبر ، للبلى والفناء .

وفي تقرير الدين للحساب والجزاء ، يحمي الحياة الانسانية من ضراوة المادية وفوضى العبثية .

والشيوعية صريحة الموقف من الحياة الآخرة . والراسمالية على ما تدعى من تدين ، تسلك سلوك من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، طاغوت المال يفتنها عن عبادة الله ، ولا يصح في العقول أن تقيم الراسمالية وزنا لاي حساب في الآخرة ، مع فحش الاستغلال وضراوة الاحتكار وامتصاص عرق الكادحين واستنزاف اقوات الشعوب ، بالربا والنهب والاغتصاب .

من رؤيتي لهذا التناقض بين الدين والمذاهب الشيوعية والراسمالية ، كان التفاني الى ان هذه التيارات لا تكون عقائدية الا على وجه الانتحال او الابهام .

فماذا عن ضرورة الاختيار ؟

في هذا ايضا فكرت أتساءل : من الذي يختار ؟ اهو جيلنا نحن الآباء الكهول ، أم جيل ابنائنا الشباب؟

بالنسبة الينا ، لا ارى الموقف يحتمل اي اختيار يضع عقيدتنا في ميزان المفاضلة تجاه التيارات المذهبية المحدثة ، اذ لسنا مخيرين بين ان ننتمي الى عقيدتنا او الى غيرها من تيارات ولو وصفت بالعقائدية . لسبب بسيط هو ان الانسان لا يختار بين ان يكون هو ذاته أو غيره . بين ان ينتمي الى أصله او ينتمي الى الغرباء دعيا بغير اصل .

بل لست اتصور امكان الاختيار في مجال العقيدة التي هي من جوهر شخصيتنا الضاربة جذورها في أعماق وجود امتنا : قانون الطبيعة

لا يسمح بالبقاء لنبت شيطاني بغير جذور ، وقانون الوراثة لا يعترف بامكان التخلي عما نحمله جبريا من حيث ندري او لا ندري ، من ميراث صنع شخصيتنا القومية بكل خصائصها المميزة وعناصرها الاصلية .

واذا كانت امم اخرى تأخذ بالتفسير المادي للتاريخ ، فان العقيدة هي التي تعطي تاريخ امتنا تفسيره ومنطقه ، في مختلف مراحله وادواره ، ما بين تألق ورقي وسيادة وقيادة ، وخمول وتخلف واستعباد وهوان ، فلننظر اين نحن ، بما فرطنا في عقيدتنا ، واين كنا حين لم نعرف غيرها دينا ، ولم ندن لغيرها بولاء !

ومن واقع تاريخنا ، لا اجد لمثلي مجالا لهذا الاختيار بين التيارات التي تتجاذب انسان العصر ذات اليمين وذات اليسار ، من حيث ارى ان الانسان لا يختار بين ان يكون او لا يكون ..

فهل الاختيار متروك لابنائنا جيل الشباب بما هم اصحاب الغد ؟

ذلك ما يبدو طبيعيا .

ولكن منطق حرية الاختيار في العقيدة والفكر والمذهب ، ان يكون الانسان على بينة مما يرفض او يقبل .

ومع الجهل بالمرفوض او المقبول ، تتحدد زاوية الرؤية ومجال التفاضل ، فتنتفي حرية الاختيار .

ومع الجهل بكليهما ، يكون ضحية الاستهواء والانقياد الاعمى ، لا يملك من امره شيئا ولا يدري فيم السير الى يمين او الى يسار .

وهذه هي مأساة شباب اليوم .

ضحايا الصراع المذهبي الذي استدرجهم من حيث لا يدرون ، الى الانتماء الى غير اصولهم ، وخايلهم بوهم الحرية في الفكاك من (روابط) العقيدة والتمرد على القيود والاغلال التي تنميهم الى امتهم وتنسبهم الى ابنائهم .

وصراع المذاهب يعتمد اساسا على وسائل الدعاية ، تمكن لها من منافذ السيطرة على العقل والوجدان والضمير . وتتسابق قوى العصر الماردة على مناطق النفوذ الاعلامي ، بخطط بالغة التعقيد ، تضعها اجهزة متفرغة يتفاوت نجاحها بمقدار ما تملك من مكر الحيلة وذكاء الدهاء ومضاء الوسيلة .

وعلى قدر ما يبدو صراع القوى والمذاهب رهيبا وضاريا ، فانه في الواقع محكوم بمنطق التواطؤ على الشعوب المستضعفة ، والتعادل في موازين القوى المسيطرة على عالم اليوم .

وقد دار علينا الزمان ، فألقى بنا في دوامة هذا الصراع ، بعد أن مكن له غزو فكري جائح ، وزع انتماءنا الثقافي على مدارس متنافرة ، ووزع ولاءنا على مذاهب متناكرة ، وحجب عن شباب الامة من ماضي تاريخها وقيام عقيدتها ما يحمي اصالتهم في مهب التيارات الغازية ، ويحصنهم بمناعة ضد الاستهواء والتغرير والتخدير .

وباسم الحرية والعصرية ، فرطوا في أصول شخصيتهم المميزة وجذور وجودهم العريق ، عن جهل بقيمتها وعطائها .

وبالجهل تفقد حرية الاختيار منطقها ، فلا يكون الاختيار الا انقيادا اعمى لما يستهوى الشباب الجاهلين بتاريخهم وعقيدتهم الغرباء في وطنهم ، من جواذب التيارات ، ولا تكون الحرية الا عبودية جبرية لما يتسلط عليهم من سحر الدعاية ومخدرات الاعلام.

في حوار لي مع بعض الماركسيين من شباب الجيل ، قالوا :

« انني والملايين امثالي مسلمون بالجبر والالزام، ثم بالتبعية والتقليد . يولد احدنا فيقرر له ابواه عقيدته وتسجل في شهادة ميلاده من قبل ان يفتح عينيه . ثم يشب عن الطوق ويتفتح ادراكه ، ليجد نفسه مقيدا الى دين لم يؤخذ رايه فيه ، ولا يملك أن يرتد عنه في مجتمع مسلم ، دون أن تطارده لعنة الردة » .

وعجبت لجبروت الالزام المذهبي ، يخيل الى هؤلاء المفتونين انهم الاحرار فيما ينتمون اليه ، وما لأحدهم فرصة اختيار او مجال تفكير وراي . وقدرت اني ان واجهتهم بما أعلم من فتنة الاستهواء وسحر التنويم بأفيون العصر ، حملوه مني على محمل الغباء أو التعصب ، فقلت اجادلهم بالتي هي أحسن :

ـــ الذي اعمله من اصول ديني ، اننا ببلـوغ سن الرشد والتكليف ، نحمل مسئولية عقيدتنـا وامانة انسانيتنا ، فليس ابواي بحيث يحملان عنـي تبعة او جزاء : « الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يـرى ، ثـم يجزاه الجزاء الأوفى » وأعوذ بعقيدتي من ان أكون ممن يعطلون عقولهم واسماعهم وابصارهم وانا اتلو من كتاب ديني : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعــــون بها ، اولئـك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلـــون » فماذا لديكم تقدمونه الى انسانيتي من قيم مذهبكم المحدث، فى مقابل ما اعطاني الاسلام ؟ هل يسمح لي مثلا بان اكون من رعايا روسيا ، ولا اعتنق الماركسية ، التي جعلـت عقيدة ؟

قالـــوا : يقينـــا ، لا .

قلت : فاعلموا اذن أن الاسلام يحظر الاكراه فى العقيدة . وقد عاش النصارى واليهود وغيرهم فى ديار الاسلام من عصر المبعـث الى يومنا هـــذا ، يمارسون عبادتهم احرارا ، لم يكرههم احد قط على حرمة كنائسهم ومعابدهم .

فافرضوا جدلا انني فى روسيا انتحل الماركسية الزاما ، هل يسمح لي بان آخذ فيها مثلا بتفسيـــر ماوتسي تونج ، او العكس ؟

ردوا : كلا ، بالتأكيـــد .

قلت : فاعلموا اذن أن حرية العقل فى الاسلام ليست رخصة يجوز لنا أن نمارسها او نتخلى عنها ، بل هي فيه من جوهر انسانيتنا الناطقة ، فاذا تعطل العقل بالغفلة أو المصادرة ، مسخت انسانية البشر وهبط الى دونية الدواب العجماء : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

فافرضوا مثلا أنني آخذ هناك او هنالك بتفسير القوم ، هل يباح لي ان ابدي رايا مخالفـا لسدنـة المذهب وقادة الفكر ؟

قالوا بعد تردد وحيرة : الامر يتعلـق بالراي المخالف ، هل هو فى حدود المباح او غير المباح .

قلت : فاعلموا اذن أن حرية الراي والكلمة فى عقيدتي الاسلامية فريضة ملزمة ، توجب علينا الامر بالمعروف والنهي عما نراه منكرا ، وتحرم علينـــا كتمان الجهر بما نعتقد انه الحق ، والساكت عـــن الحق شيطان اخرس .

فافرضوا أنني تحت ضغط الالزام المذهبي ، كتمت كلمة الحق او حيل قسرا بيني وبين الجهـــر براي مخالف ، هل يسمح لي مثلا بأن اختار لنفسي ما أقرأ من كتب العقائد والمذاهب دون ان اتعرض لاتهام واضطهاد ، او التمسها من وراء الحدود ، دون مصادرة فكرية ؟

فسكتوا لا يحيرون جوابا ، وقلت : فاعلموا اذن ان الاسلام يوجب علينا الاقرار بانه مصـدق لكـل رسالات الدين قبله ، ويفرض علينا أن نطلب العلـم ولو فى الصيـــن .

فافرضوا مثلا أنني في روسيا أو فى الصين لا اقرا سوى ما يفرض علي من كتب المذهب وثقافته ، هل يسمح لي مثلا بحق الخطا فيما افهم وأمارس من تعاليـــم المذهـــب ؟

قالوا : يمكن من الوجهة النظرية باعتباره خطا فرديا ، لكنه من الوجهة العملية مستحيل ، لانـك لا تعيشين منفردة بمعزل عن المجتمع ولو فى نطـاق البيت والمدرسة والعمل ، ولا بد ان تسري عدوى الخطا الى بعض من حولك من افراد الاسرة والجيران والاصدقاء والرفاق .

قلت : ولكن جواز الخطأ على الناس جميعا أصل من أصول عقيدتي الاسلامية . التي لا تعترف بالعصمة من الخطا لاي مخلوق ، الكمال لله وحـــده ، ولـــه سبحانـــه المثـــل الاعلـــى .

فافرضوا جدلا أنني تحاشيت الظهور بالخطا ، وتظاهرت بالالتزام تقية ومداراة ، هل آمن أخضـع لمراقبة مرهقة تكشف عما اخفي ، وأعرض على أجهزة مدربة ، تستخرج مكنون سري ومستور امري ؟

وتحيروا لا يدرون بم يجيبون .

وقلت : فاعلموا اذن ان الضمير فى عقيدتـي الاسلامية منطقة حرام لا يحـل ان تنتهـك ولا ان تستباح . الله وحده يعلم النوايا وأسرار القلـــوب وخفايا الصدور .

وفي عصرنا تنتهك هذه المنطقة الحرام ، وتخضع أفكار الانسان وهواجسه واسراره لأبشع ضروب المصادرة والعبودية التي لا يقاس بها ما كان يعاني الرقيق في الدهر الغابر : يكبل بالسلاسل والاغلال في رجليه ويديه وعنقه ، ويبقى له عامله النفسي مطلق السراح لا سبيل الى اقتحامه ، ولا سلطان لسيد على هواجسه وخواطره . وانسان العصر قد ابدل بالرق الجسدي ، استرقاق العقل والنفس والضمير .

واعود فاسأل : **ماذا يعرف ابناؤنا الشباب من عطاء دينهم وقيم عقيدتهم ليصح لهم اختيار حر ؟**

ان الامر يتشابه عليهم فيلبسون ما هو من اصول الدين وجوهر العقيدة بما طرا على المجتمعات الاسلامية من منكر البدع وشوائب الخرافات وزور التأويلات ، وتعييهم الوسيلة الى معرفة دينهم ووعي بتاريخهم والاتصال بتراثهم ، بعد ان عطل لسان قوميتهم بدعوى بداوة العربية ، ليظلوا في منطقة الجاذبية للثقافات الغازية والتيارات الوافدة ، تفتنهم عن عقيدتهم التي اكرمت الانسان بعزة التوحيد، وحملته امانة انسانية ، فحررته من سلطة الكهنوتية ورفعت عنه اصرها والاغلال ، ووضعته تحت رقابة ضميره الحر ، وحساب نفسه اللوامة .

وهم يلقون اسماعهم الى ما يقال عن رجعية الدين ، لا يخطر على بالهم ان يسألوا فيم تشتد وطأة الحملة على ديننا برجعية الانتماء الى القرن السابع بعد الميلاد ، ولا يتعرض لمثل هذه الحملة ، سائر الاديان التي سبقته بسبع قرون وعشرين واكثر .

بل قلما يفكرون في مجال هذا التطور الذي يخايلهم : هل تتطور القيم والمثل العليا التي يستشرف الدين بالانسان اليها ، في سعيه الدائب لتحقيق وجوده الكريم الحر ، وطموحه الابدي الى الحق والخير والجمال ؟

مثلا ، هل يتطور التوحيد ، وهو جوهر الدين كله ، فيدين الانسان بالعبودية لغير خالقه وحده ؟

او يتطور مقياس التفاضل بين الناس ، خلقهم الله من نفس واحدة ، واكرمهم عند الله اتقاهم ؟

او يتطور مفهوم العقيدة الاسلامية لحرية العقيدة والعقل والفكر والراي والارادة من حيث هي تكاليف ملزمة وواجبات مفروضة وامانة صعبة وليست حقوقا يجوز ان تصادر ، او يحل للانسان ان يفرط فيها ويتخلى عنها برضاه او بالقسر والاكراه ؟

او تتطور دعوة الدين الى التقوى والعفة والصدق والامانة والتراحم والتكافل والامر بالمعروف والتواصي بالحق والخير والتناهي عن المنكر ، وتقريره تبعة القول والعمل ، وحتمية الحساب والجزاء ؟

كلا ، انما تتطور نظم الحياة ووسائل العيش ومراحل التقدم العلمي . والدين في ختام رسالاته ، قد وضع أصول العقيدة وبين مبادئها الكلية الكبرى، تاركا ما عداها من تفصيلات لمقتضيات سير الزمن ودواعي تغير الظروف والاوضاع ، وهذا هو منطق عالميته وخلوده ، صالحا لكل مكان وزمان .

وحركة التطور مع التقدم العلمي ، سنة من السنن الكونية الثابتة ، والاصل في العقيدة الاسلامية أن علم الانسان كسبي ينمو ويتقدم . « وقل رب زدني علما » ويكشف جديدا من مجاهل الوجود وآفاق الكون ، تحقيقا لآية الله فيما سخر للانسان : ما في السماوات وما في الارض جميعا .

لقد يحق لي أن أسأل عن موقف أبنائنا منا ، حين يكشف الغطاء عن أبصارهم وبصائرهم ، فيحملوننا وزر ما عرضناهم له من ذرائع المسخ والتشويه والغربة والضياع ، ممزقين بين ما في ضميرهم من ولاء لامتهم عقيدة وقومية ولسانا ، وما يتجاذبهم من شتى **التيارات الوافدة** عن يمين ويسار، وهم يواجهون بهذا التمزق عار اسرائيل وتكاليف معركة وجود أمتهم ، وتحديات العصر .

وبعد وقبل فما ينبغي لي ان انسى بعد هذا الحديث حول الموضوع ان احتاط فاقول : لعل المقصود بالتيارات العقائدية غير ما فهمته من التيارات المذهبية المحدثة المعاصرة .



راج بين كثير من اهل العلم ، في المشرق والمغرب ، احاديث تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، يذكرونها في مناسبات مختلفة ، ومنهم من يوردها في معرض الاستدلال والاحتجاج ، مع انها مكذوبة لا يجوز ذكرها على الاطلاق الا لبيان حالها ، لئلا يغتر بها من لا يعرفها . ومن تلك الاحاديث ، ما ليس له اصل ، اى ليس له اسناد في كتب الحديث، وأنا اورد جملة منها ، نموذجا لسائرها .

1 ـ في الموطأ : وحدثني يحيى عن مالك : أنه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اني لأنسى او انسى ـ بالبناء للمجهول ـ لأسن». وروى كما قال عياض بلفظ «اني لا انسى ولكن انسى لأسن» قال ابن عبد البر : لا اعلم هذا الحديث ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندا ولا مقطوعا من غير هذا الوجه ، وهو احد الاحاديث الاربعة التي في الموطأ التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ، ومعناه صحيح في الاصول اه.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ، عن هذا الحديث: لا اصل له ، فانه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة ، بعد البحث الشديد اه.

قال الزرقاني في شرح الموطأ : معنى قوله : أنه لا اصل له اى ما نتج به ، لان البلاغ من اقسام الضعيف ، وليس معناه انه موضوع معاذ الله ، اذ ليس البلاغ بموضوع عند اهل الفن ، لا سيما من مالك، كيف وقد قال سفيان : اذا قال مالك : بلغني، فهو اسناد صحيح اه.

وبلاغ مالك تعليق ، والتعليق لا يحكم عليه بشيء حتى ينظر هل له اسناد اولا ؟ فان وجد له اسناد ، حكم عليه بمقتضى حال رجاله ، من ثقة او ضعف وان لم يكن له اسناد، كهذا البلاغ الذى نتكلم عليه ، اعتبر من قبيل ما لا اصل له يضاف الى ذلك مخالفة لما ثبت في صحيح البخارى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني» .

نعم ترتب على نسيانه صلى الله عليه وسلم ، احكام سجود السهو في الصلاة . والى هذا يشير ابن عبد البر بقوله : ومعناه صحيح في الاصول .

2 ـ في الموطا ايضا عن مالك : انه بلغه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «اذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة» .قال ابن عبد البر: هذا الحديث لا اعرفه بوجه من الوجوه في غير الموطا الا ما ذكره الشافعي في الام عن ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى عن اسحاق بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اذا أنشأت بحرية ثم استحالت شامية فهو امطر لها» اه.

وروى الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت «اذ انشأت بحرية ثم تشاءمت فهي عين غديقة». قال الطبراني : تفرد به الواقدى .

غديقة بالتصغير ، وهى التى يقال لها بالمغرب: الغديكة .

3 ـ اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، لا اصل له . وروى ابن ابى الدنيا باسناد ضعيف مجهول عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : احرث لدنياك كأنك تعيش ابدا . وروى البيهقى فى السنن باسناد ضعيف عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «اعمل عمل امرىء يظن ان لن يموت ابدا واحذر حذر امرىء يخشى ان يموت غدا» .

وهذا الحديث أخرجه البيهقى فى الحض على الاقتصاد فى العبادة ، والبعد عن قربان المعاصى ، خوف مفاجاة الموت .

ومعنى اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا : أنك تعمل لدنياك فى مهل وتؤدة ، من غير حرص ولا استعجال . لان من يعيش ابدا لا يفوته شىء ، ان لم يدركه اليوم ، يدركه غدا او بعد غد ، بخلاف عمل الآخرة ، فانه يستعجل به ، خوف الفوات بموت قريب .

ولشقيقنا الحافظ ابى الفيض رحمه الله جزء اسمه «اياك من الاغترار بحديث اعمل لدنياك» .

4 ـ اذا وقفتم فى الصلاة فلا تقبضوا ايديكم فان ذلك تكفير اليهود. ذكره القاضى النعمان الشيعى الامامى فى كتاب دعائم الاسلام. وهذا حديث مكذوب، لوجوه :

منها : ما رواه الطبرانى باسناد صحيح عن ابن عباس قال : سمعت نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انا معشر الانبياء امرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا وأن نضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة » وروى فى الاوسط والصغير نحوه من حديث ابن عمر.

ومنها : ما رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد ضعيف عن يعلى بن مرة الثقفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث يحبها الله ، تعجيل الفطر وتأخير السحور وضرب اليدين احداهما على الاخرى فى الصلاة» ومنها : تواتر وضع احدى اليدين على الاخرى فى الصلاة عن النبى صلى الله عليه وسلم من فعله وقوله .

ومنها ان الصلاة فرضت على اليهود ، وهى تكفير اى تعظيم لله تعالى، والتكفير بالركوع والسجود فيها أعظم . فلم خص هذا الحديث التكفير بالقبض فقط ؟ لان الامامية لا يقبضون فى الصلاة ، فاخترع احدهم هذا الحديث لتأييد مذهبه .

وهذا كما اخترع بعض المالكية حديثا عزاه لكتاب البدور الملتمعة فى ادلة الائمة الاربعة ، نقلا عن مسند الاوزاعى عن ابن مسعود ، قال : ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم القبض فى صلاة الفريضة قبل ان يفارق الدنيا بستة وثلاثين يوما .

وهذا كذب مضاعف ، فكتاب البدور الملتمعة لا وجود له فى كتب الحافظ العراقى ، ولا فى كتب غيره ، والاوزاعى لا مسند له ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يترك القبض فى الصلاة قط .

فالامامى اخترع حديثا ينهى عن القبض فى الصلاة ، فرضها ونفلها ؛ لان مذهبه كذلك .

والمالكى اخترع حديثا يفيد ترك القبض فى الفريضة ، لان مذهبه يفرق بين الفريضة والنافلة .

ولو صح حديث المالكى ، لأفاد عدم وجوب القبض ، لا نسخه كما هو مقصود واضعه ، لانه مندوب ، والمندوب فضيلة ، والفضائل لا تنسخ وانما ينسخ الواجب ، والمحرم ، والمباح . فقيام الليل وصوم عاشوراء ، كانا واجبين ، ثم نسخا الى الندب . وزيارة القبور كانت محرمة ، ثم نسخت الى الندب ايضا .

ونكاح المتعة كان مباحا ، ثم حرم .

ولا تجد مندوبا ، نسخه الشارع ، فى آية او حديث ابدا .

ودعوى بعض العلماء ، نسخ بعض المندوبات ، غفلة منهم عن هذه القاعدة .

وسبب غفلتهم انهم رأوا الشارع امر ببعض المندوبات او فعلها ، ثم تركها ، فظنوا الترك نسخا لها وليس كذلك ، بل هو بيان لعدم وجوبها . فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة الضحى، وحض

عليها وفعلها ، ثم تركها ، اشعارا بانها لاتجب وأمر بركعتين قبل المغرب ، وصلاهما ، ثم تركهما ، ورأى الصحابة يصلونهما ، فلم ينههم عنها . وما ذاك الا لان ترك المندوب ، لا يقتضى نسخه .

5 ــ اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا . كنت اسمع هذا الحديث من بعض شيوخنا بفاس ، ايام قراءتي بها .

ووجدت الطحاوى ، عقد بابا في مشكل الآثار ، للكلام الريح ، ماذا يراد بها في القرآن مفردة او مجموعة ؟ وروى عن ابى عبيد، قال: القراءة التى سمعتها في الريح والرياح ، ان ما كان منها من الرحمة، فانه جمع. وما كان منها من العذاب فانه على واحدة . والاصل الذى اعتبرنا به هذه القراءة : حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا هاجت الريح قال: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وتعقبه الطحاوى بقوله : فكان ما حكاه ابو عبيد من هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،مما لا اصل له . وقد كان الاولى به ، لجلالة قدره ، ولصدقه في روايته غير هذا الحديث : ألا يضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لايعرفه اهل الحديث عنه . وذكر قول الله تعالى (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف) وقال :

فكانت الريح االطيبة من رحمة الله ، والريح العاصف منه عز وجل عذابا ، ففى ذلك ما قد دل على انتفاء ما رواه ابو عبيد .

ثم اسند احاديث تفيد بطلان ذلك الحديث :

منها: حديث الصحيحين عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » .

ثم قال : فكان في هذا الحديث: أن النبى صلى الله عليه وسلم نصر بالصبا وهى ريح واحدة ، وأن عادا اهلكت بالدبور ، وهى ريح واحدة .

ومنها حديث مسلم عن عائشة قالت : كا نرسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا عصفت الريح قال : «اللهم انى اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به» وذكر احاديث اخرى في هذا المعنى .

لكن قال الشافعى في الام : اخبرنى من لا اتهم، قال : حدثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما هبت الريح الا جثا النبى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ، وقال «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» قال : قال ابن عباس : في كتاب الله عز وجل (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا .. اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم.. وأرسلنا الرياح لواقح.. وأرسلنا الرياح مبشرات) .

ورواه البيهقى في المعرفة من طريق الشافعى.

قال الحافظ ابن حجر : هذا حديث حسن ، وشيخ الشافعى ما عرفته ، وكنت اظنه ابن ابى يحيى، لكن لم يذكروه في الرواة عن العلاء بن راشد، والعلاء موثق . كذا قال في أمالى الاذكار ، وخالف ذلك في تعجيل المنفعة حيث قال : العلاء بن راشد عن عكرمة وعنه ابراهيم ابن ابى يحيى ، لا تقوم باسناده حجة، قاله الحسينى ، كذا قال . وعكرمة مشهور ، وحال ابراهيم معروف اهـ. ورمز لهذه الترجمة بحرف (فع) وهو رمز الامام الشافعى . وهذا يعين المبهم في اسناد الام بأنه ابن ابى يحيى ، وحاله معروف بالضعف .ولذلك استبعد تحسين الحافظ للحديث . لكنه استند الى اعتضاده بما رواه مسدد في مسنده الكبير، ومن طريقه الطبرانى في كتاب الدعاء عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هاجت الريح ، استقبلها وجثا على ركبتيه وقال : «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ، اللهم انى اسالك من خير ما ترسل به وأعوذ بك من شرها وشر ما ترسل به» واسناده ضعيف، لضعف جبر بن عبد الله حفيد عبيد الله بن عباس » وفي نسخة من مسند مسدد : عن حسين بن قيس الرحبى عن عكرمة عن ابن عباس ، وحسين ضعيف متروك . وروى البخارى في الادب المفرد وابن حبان في صحيحه عن سلمة بن الاكوع، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا اشتدت يقول «اللهم لقحا لا عقيما» لقحا ، بفتح اللام، والقاف تفتح وتسكن : حاملة للسحاب فيه الماء .

6 ــ جاءكم الطهور ، يعنى رمضان ، لا اصل له بهذا اللفظ .

وروى الديلمى في مسند الفردوس، ومن طريقه ابن عساكر في التاريخ عن عائشة مرفوعا « شهر

رمضان شهر الله وشهر شعبان شهري شعبان المطهر ورمضان المكفر» واسناده تالف ، والمتن موضوع . اما حديث «رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر امتي» فمصرح بوضعه في كتب الموضوعات .

والثابت في هذا الباب ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر»

7 ـ لكل بلد رؤيته ، ليس بحديث . ولكنه متداول بين الشافعية ، بناء على مذهبهم .

وقال الترمذي في سننه : باب ما جاء لكل اهل بلد رؤيتهم ، وهذه الجملة قالها استنباطا من حديث ابن عباس الذي رواه في هذه الترجمة عن كريب ـ بالتصغير ـ انه قدم الشام ، واستهل رمضان، فسأله هناك ، ثم رجع الى المدينة في آخر رمضان ، فسأله ابن عباس : متى رأيتم الهلال ؟ قال كريب : رأيناه ليلة الجمعة ، قال : أنت رأيته ؟ قلت : رآه الناس فصاموا وصام معاوية . فقال : لكن رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوما او نراه . فقلت الا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ قال : لا ، هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المباركفوري في تحفة الاحوذي: هذا بظاهره يدل على ان لكل اهل بلد رؤيتهم .

قلت : ترجم النووي في شرح مسلم بهذه الجملة ايضا ، فظنها بعض اهل العلم حديثا ، وليس كذلك.

واهل الحديث لا يستدلون ، ولا يقرون الاستدلال على ورود حديث او ثبوته ، بأن حافظا جعله عنوانا لباب من ابواب كتابه .

وقد ناقش الشوكاني في نيل الاوطار، استدلال الشافعية بحديث ابن عباس على ان لكل اهل بلد رؤيتهم ، ورجح مذهب المالكية انه اذا رأى الهلال اهل بلد ، لزم اهل البلاد كلها .

8 ـ لا تكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين.

روى ابو الشيخ في الفتن ،ومن طريقه الديلمي في مسند الفردوس عن علي عليه السلام مرفوعا « لا تكرهوا الفتن فانها تبير المنافقين» اسناد ضعيف جدا.

وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح بلفظ « لا تستعيذوا بالله من الفتن فان فيها حصاد المنافقين . وقال : قد سئل ابن وهب قديما عنه ؟ فقال :انه باطل .

قلت : قد صح في احاديث كثيرة : التعوذ من الفتن ، من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأمره.

9 ـ اذا اراد الله عذاب امة اعقم نساءهم خمس عشرة سنة قبل ان يصابوا لئلا يصاب الولدان الذين لم يجر عليهم القلم .

قال الحافظ في الفتح : ليس له اصل ، وعموم حديث عائشة يرده ، يعني ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «العجب ان ناسا من امتي يؤمون هذا البيت حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم» فقلنا : يارسول الله ان الطريق قد تجمع الناس ، قال «نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم».

وفي القرآن الكريم (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) .

10 ـ الدين المعاملة ، ليس بحديث . والواقع ان الدين يتألف من ثلاثة اشياء :

عبادة ، ومعاملة ، وسلوك فيهما . فالصلاة عبادة، والسلوك فيها الا يلتفت المصلي يمنة ويسرة ، ولا يعبث بيده.

والتجارة معاملة ، والسلوك فيها : ان يكون التاجر سمحا في شرائه ، سمحا في قضاء ما عليه ، سمحا في اقتضاء ماله .

وعلى هذا القياس .

11 ـ لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ـ يعني النساء ـ وعلموهن المغزل وسورة النور ، رواه البيهقي في الشعب عن الحاكم في المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن شعيب بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة به مرفوعا.

وهذا الحديث موضوع ، كما قال الذهبي ، عبد الوهاب بن الضحاك هو الحمصي ، كذاب ، يسرق الحديث .

نعم روى سعيد بن منصور فى سننه عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور» . أما سورة المائدة فانها تشتمل على ثمانية عشر حكما لا توجد فى سائر السور . وأما سورة النور ، فانها تشتمل على ادب السلوك بجانب ما فيها من الاحكام.

12 ــ من قال لا اله الا الله ومد بها صوته هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر . رواه الديلمى، وهو حديث موضوع .

13 ــ اختلاف امتى رحمة ، ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، وقال ما نصه : نصر المقدسى فى الحجة ، والبيهقى فى الرسالة الاشعرية ، بغير سند. وأورده الديلمى والقاضى حسين وامام الحرمين، ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا اه.

قلت : سلك السيوطى طريقة الفقهاء الذين يكتفون فى ثبوت الحديث ، بكونه مذكورا فى كتاب فلان وفلان من العلماء .

وأهل الحديث لا يعترفون بهذه الطريقة ، ولا يعولون عليها ، وانما يعتمدون على البحث عن سند الحديث ، والكشف عن حال رجاله . فان لم يجدوا له اسنادا كهذا الحديث ، حكموا بانه لا اصل له .

ويؤيد حكمهم هنا ما رواه احمد فى المسند باسناد لا بأس به عن النعمان ابن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب» ، الفرقة هى الاختلاف.

وروى الطبرانى فى الاوسط باسناد ضعيف عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما اختلفت امة بعد نبيها الا ظهر اهل باطلها على اهل حقها» .

وتأول بعض العلماء حديث اختلاف امتى رحمة، على فرض ثبوته ، باختلافهم فى الفروع الفقهية. لكن هذا معنى مستحدث ، لا ينبغى حمل كلام الشارع عليه .

14 ــ اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

رواه نعيم بن حماد عن عبد الرحيم بن زيد عن ابيه عن سعيد بن المسيب عن عمر ، وربما رواه عبد الرحيم عن ابيه عن ابن عمر .

وعبد الرحيم بن زيد ، هو العمى ــ بفتح العين وتشديد الميم ــ البصرى كذاب . ورواه حمزة بن ابى حمزة الجزرى عن نافع عن ابن عمر ، وحمزة ، قال ابن معين : لا يساوى فلسا ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه موضوع .

ورواه الحارث بن غصين عن الاعمش عن ابى سفيان عن جابر . والحارث ، قال ابن عبد البر : مجهول . وقال الحافظ : ذكره الطوسى فى رجال الشيعة ، وقال : روى عن جعفر الصادق ، وذكره ابن حبان فى الثقات. وروى البيهقى فى المدخل باسناد ضعيف منقطع عن ابن عباس مرفوعا «مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد فى تركه فان لم يكن كتاب الله فسنة منى ماضية ، فان لم تكن سنة منى فما قال اصحابى ان اصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيما اخذتم به اهتديتم واختلاف اصحابى لكم رحمة» .

ورواه آدم بن ابى اياس فى كتاب العلم عن الحسن مرسلا .

قال البزار : هذا الكلام لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم، وهو منكر عنه . وقد روى عنه باسناد صحيح «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ» وهو يعارض هذا الكلام ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من اصحابه اه.

وقال المزنى : ان صح هذا الخبر ، فمعناه فيما نقلوا عنه ، وشهدوا به عليه ، فكلهم ثقة مؤتمن على ما جاء به ، لا يجوز عندى غير هذا . وأما ما قالوا فيه برأيهم ، فلو كان عند انفسهم كذلك ، ما خطأ بعضهم بعضا ، ولا انكر بعضهم على بعض ، ولا رجع احد منهم الى قول صاحبه اه.

وقال ابن عبد البر : الاقتداء بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منفردين ، انما هو لمن جهل ما يسأل عنه. ومن كان هذا حاله، فالتقليد لازم له. ولم يأمر اصحابه ان يقتدي بعضهم ببعض ، اذا تأولوا تأويلا سائغا جائزا ممكنا فى الاصول ، وانما كل

واحد منهم نجم جائز ان يقتدى به العامى الجاهل بمعنى ما يحتاج اليه من دينه ، وكذلك سائر العلماء مع العامة . وللحديث طرق اخرى واهية ، ذكرتها فى كتاب «الابتهاج بتخريج احاديث المنهاج» للبيضاوى فى علم الاصول .

15 ــ توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم. لا اصل له ، وقد عزاه بعض العلماء بمصر ، الى حلية ابى النعيم ، وهو خطأ . بل لا وجود له فى الحلية ، ولا فى غيرها من كتب الحديث .

ويغنى عنه حديث توسل الضرير، وهو حديث صحيح .

ولفظه : اللهم انى أسالك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى اللهم فشفعه فى . وهذا التوسل وما فى معناه جائز، لا ينبغى ان يختلف فيه.

لكن العوام توسعوا فيه، حتى صاروا يستغيثون بالاولياء والصالحين ، ويذبحون على قبورهم الهدايا والعار ، وذلك كله حرام لا تقره الشريعة ، فالاستغاثة لا تكون الا بالله، والهدايا لا تكون الا للبيت الحرام، ولا تذبح الا عنده . وكان مولانا الامام الوالد رحمه الله ينهى عن الاكل من الذبائح التى تذبح عند قبور الاولياء .

16 ــ من قلد عالما لقى الله سالما ، ليس بحديث . وليس معناه بصحيح على الاطلاق . فان من عرف الحكم بدليله ، لا يجوز له العدل عنه الى التقليد . فان ما تقلد مع علمه بمخالفته للدليل، كان آثما غير سالم .

17 ــ الجمعة لمن سبق ، ليس بحديث ، وان ذكره كثير من الشافعية ، بناء على قاعدة مذهبهم . ذلك ان الجمعة لا يجوز تعددها عندهم ، كسائر المذاهب الاربعة . لكن حدث تعددها ببغداد فى اواخر المائة الثانية للهجرة ، والناس فى المشرق يصلون الجمعة فى جميع المساجد وقفة واحدة ، عند أذان الظهر ، على خلاف ما عندنا بالمغرب . وقرر الشافعية ان الجمعة الصحيحة هى التى يسبق امامها بتكبيرة الاحرام ، وما عداها باطل . ولم يعتبروا الجامع العتيق ، كما اعتبره المالكية ، فلهذا قالوا : الجمعة لمن سبق اى بتكبيرة الاحرام . ومع ان تعدد الجمعة بدعة ، دعت اليه الحاجة ، او الضرورة. اضيف اليها بالمغرب بدع اخرى .

منها : صلاتها بالمساجد مرة بعد مرة ، على التعاقب والتوالى .

ومنها : الاذان ثلاث مرات ، عند صعود الخطيب على المنبر . وهذه البدعة أنشأها ابن حبيب ، بسبب غلطه فى فهم الحديث ، كما قال ابن العربى .

ومنها : قراءة القرآن او دلائل الخيرات فى المساجد جهرا ، وفيه تشويش .

ومنها : رواية الحديث ، بين يدى الخطيب .

ومنها : الشخص الذى يمشى امام الخطيب ، ويناوله العصا بعد الاذان .

ومنها : قعود الخطيب فى المقصورة ، ويحرم نفسه من ثواب المكث فى المسجد ، وهو ثواب كبير.

ومنها : أن بعض الائمة ، يخطب الجمعة ، ويصليها مرتين ، فى مسجدين . وهذه البدع لاتوجد فى البلاد الاسلامية غير المغرب .

18 ــ من تعلم لغة قوم امن مكرهم ، ليس بحديث. لكن ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم امر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ، لانه لا يأمنهم على كتبه .

وتعلم اللغات الاجنبية ، واجب كفاية ، لانه وسيلة الى واجبات كفاية ، وما ادى الى الواجب ، فهو واجب :

ومنها : تبليغ الدعوة الاسلامية الى غير المسلمين .

ومنها : معرفة ما يكتبه المستشرقون من مطاعن فى الاسلام ، والرد عليهم .

ومنها : معرفة ما استحدث عند الاجانب من علوم وصناعات نافعة فى شؤون الحياة المختلفة ، لكن مع المحافظة على اللغة العربية ، والتمكن منها ، وجعلها لغة رسمية لكل بلد اسلامى ، لانها لغة القرآن ، وكان عمر اذا سمع شخصيا يرطن ، اخذ بعضده ، وقال له : ابتغ الى العربية سبيلا ، وأحيانا كان يعلوه بالدرة . ذلك ان الرطانة بين مسلمين ، فى بلد اسلامى ، لا معنى لها الا الاستخفاف باللغة العربية ، ونقص قدرها ، وتلك خطة سوء ، يستحق صاحبها التاديب .

19 ـ الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها ، رواه الرافعى فى تاريخ قزوين عن انس ، وهـو حديـث موضوع .

20 ـ من عرف نفسه فقد عرف ربه ، كـلام يحيى بن معاذ الرازى ، وليس بحديث . وللحافـظ السيوطى ، جزء اسمه «القول الاشبه فى حديث مـن عرف نفسه عرف ربه» بين فيه انه ليس بحديث ، وذكر فى معناه اقوالا .

21 ـ الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم . ذكره الكفراوى فى شرح الآجرومية، وهو كلام سهل بن عبد الله التسترى، وليس بحديث ونصب المستثنى بعد الكلام التام الموجب ، واجب فى اللغة الفصحى ، ويجوز رفعه على الاتباع كما هنا. ومنه قراءة ابن مسعود وابى والاعمش (فشربوا منه الا قليل منهم) بالرفع ، وهي قراءة شاذة .

22 ـ علماء امتى كأنبياء بنى اسرائيل ، حديث موضوع ، وان ذكره ابـن العربـى الحاتمـى ، فـى الفتوحات المكية .

23 ـ ذكر الصالحين كفارة ، ذكره الديلمى فى الفردوس ، وهو موضوع .

24 ـ من قرأ القرآن معكوسا ألقى فـى النار منكوسا ، لا اصل له . لكن لا يجوز قـراءة آيـات القرآن ، على عكس ترتيبها فى المصحف ، كما يفعل كثير من القراء ، فان احدهم اذا أراد ان تقضى حاجته فورا، يقرأ سورة يس من آخرها بأن يقول: فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ، انمـا امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، ويستمر فى تنكيسه حتى يختم بقوله تعالى (انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ، يس والقرآن الحكيم).

يزعمون ان قراءة يس بهذا التنكيس ، تسرع باهلاك العدو وبقضاء الحاجات ، وكذبوا فيما زعموا. ويظهر ان الشيطان اوحى اليهم بهذه الفكرة الخبيثة، ليحرفوا كلام الله ، ويفسدوا نظمه ومعناه . ومـن المقرر باجماع المسلمين : ان ترتيب الآيات فى كل سورة ، بأمر من الله تعالى ، لنبيه صلى الله عليـه وسلم .

فمن نكس سورة يس او غيرها ، اتى كبيرة من الكبائر، لانه حرف ما امر الله بترتيبه، وأفسد معنى السورة ، وتقرب الى الله بعبادة باطلة ، وأوهم من لا يعلم ان السورة انزلت منكسة .

وحديث يس لما قرئت له ، ليس لـه اصـل ، وان اشتهر بين الناس .

25 ـ المومن حلو يحب الحلاوة ، ليس بحديث.

هذا ومن الكتب التى تكثـر فيهـا الاحاديـث الموضوعة :

كتاب احياء علوم الدين للامـام الغـزالى ، لان بضاعته فى الحديث مزجاة ، كما قال عن نفسه .

ولقد خرج احاديث الحافظ العراقي ، غير انه كثيرا ما يطلق الضعيف الموضوع ، باعتباره نوعا منه فيشتبه الامر على من لا يعرف ذلك . وعقد التـاج السبكى فى طبقـات الشافعيـة ، فصـلا اورد فيـه الاحاديث التى لم يجد لها اسنادا ، وهى فى الاحياء.

وكتاب الكنز المدفون والفلك المشحون، للشيخ يونس السيوطى المالكى ، من تلامذة الذهبى، ونسبته للحافظ السيوطى غلط ، كما نسب اليه كتاب الرحمة فى الطب والحكمة غلطا . وليس هو له ، بل هو تاليف الحكيم المقرى مهدى الصبرى .

وكتاب نزهة المجالس للصفورى ، وقد انكر المحدث برهان الدين الناجى ، على مؤلفه ايراد تلك الاحاديث الموضوعة فى كتابه ، وبعث بها الى الحافظ السيوطى يساله عنها ؟ فخرج واحد وأربعين منها ، وهى ما بين واه وموضوع ، ثم قال :

وما عدا ذلك من الاحاديث المسـؤول عنهـا ، فمقطوع ببطلانه .

وكتاب الروض الفائق فى المواعظ والرقائق . للشيخ شعيب الحريفيش .

وكتاب نور الانصار ، للشبلنجى نسبة الـى شبلنجة بكسر الشين ، وسكون الموحدة وفتح اللام وسكون النون ، قرية بمحافظة القليوبية بمصر ، وفى هذا الكتاب مما يجب التنبيه عليه :

الحكاية المنقولة عن الشيخ احمد الرفاعي انه لما حج وزار الروضة الشريفة ، وأنشد البيتين المشهورين

في حالة البعد روحي كنت ارسلها .. الخ

خرجت اليد الشريفة من القبر ، فقبلها والناس ينظرون .

وحكى صاحب الكتاب رواية تقول ان هـذه الحكاية وقعت للشيخ على الرفاعى دفين القاهرة، وهو مشهور بين العامة بأبى شباك استنادا الى هذه الحكاية. وهى حكاية باطلة مكذوبة ، لا يجوز ذكرها الا مع التنبيه عليها ، وهى مندرجة فى الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم. ورأيت رسالة منسوبة للسيوطى فى تاييد وقوع هذه الحكاية الباطلة ، وكتاب التحفة المرضية ، وقد خرج احاديثه شقيقنا ابو الفيض رحمه الله .

وكتاب قصة الاسراء المنسوبة لابن عباس ، وهى مكذوبة عليه ، وكذلك التفسير المنسوب اليه ، لانه من رواية محمد بن مروان السدى عن الكلبى، وكلاهما كذاب .

والكتب المؤلفة فى قصة المولد النبوى ، جلها يشتمل على روايات مكذوبة، وفيها مع ذلك مجازفات، يجل مقام النبى صلى الله عليه وسلم عنها ، وقراءتها فى ليلة المولد لا تجوز، لان فيها مدح الجناب النبوى بالكذب ، وهو حرام .

وكتاب دقائق الاخبار فى ذكر الجنة والنار ، ليس فيه صحيح ، الا البسملة فى اوله .

وكتاب ينابيع المودة ، فى فضل اهل البيت ، مملوء بالموضوعات ، وكتاب خزينة الاسرار ، كذلك.

وبقيت كتب اخرى ، ننبه عليها ، فى مناسبة تالية ، بحول الله تعالى .

عبد الله بن الصديق
طنجة

من كان قرة عينه فى الصلاة ، فلا شيء أحب اليه ولا انعم عنده منها ، ويود أن لو قطع عمره بهـا غير مشتغل بغيرها ، وانما يسلي نفسه اذا فارقها ، بانه سيعود اليها عن قرب ، فهو دائما يثوب اليها ، ولا يقضي منها وطرا ، فلا يزن العبد ايمانه ومحبته لله ، بمثل ميزان الصلاة ، فانها الميزان العـادل الذي وزنه غير عائل .

ابن القيـم

حقائق ومعجزات كونية

في سورة الرعد

— 2 —

للدكتور محمد كمال شبانة

وأمـــا الوجـــه الثانى الذى يختـــاره بعـــض المفسرين ان المراد من الزوجين الذكر والانثـــى من كل صنف ، اى انه فى كل ثمرة من الثمرات زوجان متقابلان ، ازواجهما تتـــولد ثمـــرة اخرى ، وهذا الوجه أسلم من الوجه الاول ، وان كان اكثـــــر المفسرين يرجحون الاول ، والمعنى على هذا الوجه : أن الله مد الارض ، ومهدها ، وجعل فيها جبـــــالا راسيات ، وجعل فيها انهارا ، منهـــا يسقى الزرع والشجر ، ومنها يكون الثمر ، وجعل فى كل ثمـــرة من الثمرات حياة ، ومن هذه الحياة تتولد حيـــاة اخرى . لأن كل ثمرة فيهـــا ذكـــر وانـــثـــى . ومن ازدواجهما تتولد ثمرة اخرى جديدة . فيهـــا خواص الثمرة الاولى « **يغشى الليل النهار** » بعد ان ذكـــر سبحانه وتعالى ما وجه بـــه الانظار الى السموات وما فيها من اجرام وافلاك ، والارض وما فيها من جبال ووهاد وانهار وثمرات واشجار — بعد ان ذكر كل هذا ، ذكر امرا يتولد عن علاقة الارض بالسماء، وهو الليل والنهار فقال : يغشى الليـــل النهـــار ، يغشى ، يتعدى الى مفعولين الاول فيـــها ايهمـــا ؟ الليل أم النهار ؟ فلو جعلنـــا المفعول الاول هـــو « الليل » لكان هو الذى يغشى النهار . ولو جعلنا المفعول الاول هو : « النهار » لكان هو الذى يغشى الليل ، وعلى كل يجوز تقديم المفعول الاول وتأخيره. وما الانسب هنا ؟ الانسب جعل الليل مفعولا اول ، ويكون فى الكلام استعارة تمثيلية ؛ **والمعنى** : شبـــه الله سبحانه وتعالى حال الليل مع النهار . مـــن حيث أن الليل ظلمة تستر نور النهار بالثوب يغشى الشىء ويستره من حيث أن كليهما ساتر لما وراءه ، وهذه الاستعارة تصوير للحالة الظاهرة التى يراها الحي ويدركها الانســـن ببصره ، وليس فيه تعرض لطريقة التكوين ولا لأصله « **أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الآيات معناها العلاقات ، ومعنى التفكر ترديد الفكرة فى النفس ، والفكرة كما يقول الراغب الاصفهانى قوة تطرق العلم فى النفـــس ، تمـــن التفكرة ترديد الفكرة واعمالها ، وكلمة آيـت جمـــع آية وهى العلاقة ، وتعبير القرآن بـــ « فى » يـــدل بظاهرة على أن الآيـــات فى هـــذه الاكـــوان ، لا ان الاكوان هى الآيات ، ولذلك قـــال بعض العلماء ان « فى » هنا فى معنى الزائدة والواقع ان « فى » على اصل معناها . ثم نعم ان هذه الاكوان آيـــت ولكن لا يظهر كونها آيات الا بأعمال الفكـــر فيها فالتعبير بـــ « فى » للدلالة على ان كونهـــا امارات وعلامات والتى على قدرة الخالق وعلى عظمة لا تستبين لكل انسان بل تستبين لكل من يتفكر فقط ، ولذلك كانت ظرفا باعتبار انها لو تكون الا للمتفكرين ، وامـــــا الذين لا يفكرون ولا يفهمـــون فيها شيئا ، والتعبير بـ « **قوم** » مع هذا التنكير فيه توبيخ للعرب الذين خوطبوا اولا بالقرآن وهم قريش ، وكان الله يشير اليهم بايمان القول بأنهم لم يفهموا هذه الايات ولـــم يدركوها ، وهناك قوم آخرون يتفكرون فيها ويدركوها فهذا فيه توبيخ وتحريض للعرب . « **وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان**

وغير صنوان يسقى بماء واحد » وفى الارض تطع متجاورات تطع جمع تطعة وهذا الجمع مع اقتران بوصف متجاورات يدل على المقاربة بين هذه القطع اى ان غير طيب وبعضها صحراء مقفرة وبعضها جنات مثمرة الخ . ذلك الاختلاف مع التجاور يدل على ان هناك له منشىء أول انشأ بارادته واختياره، وانه انشاء غير انشاء المعلول على العلة **« جنات من أعناب وزرع ونخيل »** بعد أن بين الله اختلاف الارض مع تجاورها حيث أن بعضها خصب وبعضها غير خصب وبعضها فيه ؟ وبعضها خلو منه الخ . بين اختلاف ثمراتها ثم ذكر من هذه الثمرات ثلاثة انواع كانت كثيرة عند العرب وهي الاعناب . والزرع والنخيل ، والمراد من الاعناب او جنات اعناب هى هذه الكروم والمراد من الزرع الحبوب التى كان العرب يقتاتون منها ، واختص الله سبحانه هذه الانواع الثلاثة بالذكر لسببين :

السبب الاول : انها هى التى كانت كثيرة عند العرب الذين كانوا اول من خوطبوا بالقرآن ؛

السبب الثاني : لانها تشير الى انواع ما تخرجه الارض من ثمرات ونبات ، فهى تشير الى ان فى الارض فاكهة ، والى ان مما تخرجه حبوب ومواد غذائية تجمع بين خواص الفاكهة **« حبوب »** — صنوان وغير صنوان — الصنوان جمع صنو كنوات جمع قنو ، والنخيل قسمان : قسم يقال له صنوان وقسم غير ذلك ، والنخيل التى يقال لها صنوان هى النخيل التى تثمر فى اصلها ثم تتفرع ؛ وهذا يدل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى « يسقى بماء واحد » اى ان هذا الذى ساقه الله وذكره اى ان هذا الخلق العظيم من الثمرات المختلفة والجنات من الاعناب والزرع والنخيل كل هذا يسقى بماء واحد ، والهواء والماء والثمر غذاؤه ، ومع ذلك تتعدد الثمار بين حلو ومر وغير ذلك ، وهذا يدل على ان الخلق كله كان بارادة مستقلة قادرة ولم ينشأ كما يقول الطبيعيون نشر والعلة مع المعلول والا لا تحدث الثمرات اذا اتخذ نوع الغذاء ، فقد بين بالتفصيل بعض اختلافها اللامحسوس فقال « ونفضل بعضها على بعض فى الاكل » الاكل هى الثمرات التى تؤكل فمعنى الآية الكريمة ان هذه الثمرات التى تأكلونها وتفضلون بعضها على بعض وتختلف حالاتها من حيث القبول والرغبة كلها يسقى بماء واحد ، ويتغذى غذاءا واحدا وتنتج مختلفا من هذا الغذاء ، وهذا يدل على عظم قدرة الله تعالى ثم قال : **« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »** ذكر هنا النظر فيه للمعنى الذى ذكرناه ، وذكر كلمة قوم منكن لهذا المعنى ايضا ، ومعنى الجملة ان فى هذه الآيات التى ذكرها ان فى هذا الكون الذى خلقه من اختلاف طبيعة الارض مع تجاورها ، وتنوع الجنات والزرع والنخيل اى تنوع ما تنتجه الارض واختلاف الثمرات بحيث يفضل بعضها على بعض ، كل هذا فيه معلنة لقدرة الله . ولكن لقوم لهم عقول تدرك ويعلمون بمقتضى هذه العقول .

وهنا ملاحظة وهى انه ختم الآية الاولى بقوله **« لعلكم بلقاء ربكم توقنون »** وختم الآية الثانية بقوله **« ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** وختم الثالثة بقوله : **« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »** اما الاولى فلانها ابتدات باسم الله وذكر لفظ الجلالة فناسب ان يذكر الايمان ويختم الكلام باليقين والايمان ، لانه المناسب للذات العلية ، ان الآية الثانية لما كان أساسها ربط المحسوس بالمعقول او ربط الحاضر بالغائب ناسبها ان تختم بالتفكير ، اما الآية الثالثة فقد كان اكثرها محسوسا كان يغلب عليها توجيه النظر الى المحسوس **« وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد »** قلنا ان الله سبحانه وتعالى صدر الكلام فى الآيات الكونية التى ساقها ببيان قدرته التى كان مظهرها رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر ، وان كلا منهما يجرى بحسبان وان تصريف هذه الآيات وبيانها وتفصيلها لكى يوقنوا بلقاء ربهم ، ثم ساق المولى الآيات الدالة على كمال قدرته ، وكمال القدرة يقتضى لا محالة ان الذى انشا هذه الاشياء اولا ليستطيع اعادتها بعد فنائها ، فنحن معشر الانسان يستطيع ان يعيدنا بعد موتنا **« كما بداكم تعودون »** ثم بعد هذا ساق ما يدل على ايغال المشركين فى الكفر وطمس بصائرهم فيما يتعلق بالبعث والنشور فقال : **وان تعجب فعجب قولهم** الآية ان تعجب انهم كذبوك وجحدوا بآيات الله ولم يستيقنوا به فالعجب الحقيقى العظيم فى انظارهم ان يعودوا خلقا جديدا بعد أن يكونوا ترابا . او نقول ان نعجب من تكذيبهم البعث وانكارهم له . فالعجب فى الحجة التى يسوقونها دليلا على ذلك الانكار ، وكان الكلام : ان تعجب من انكارهم البعث والنشور وعدم ايمانهم بلقاء ربهم فالعجب العظيم فى الحجة التى يسوقونها وعند الانسان ان المراد ان كان من شانه ان تعجب ما يفاجئونه به من أوال باطل ، فالعجب كل العجب فى هذا الذى يقولون فى البعث فلا حاجة اذن الى

تقدير مفعول محذوف وكان معنى الآية على ذلك التخريج ان كان من شأنه أن تعجب لشيء فالعجب هو انكارهم للبعث والنشور واستبدادهم له بسبب صيرورتهم ترابا . ويرشح لذلك المعنى التعبير « بان » اى انه ليس من شأنه ان تعجب لذى امر يأتى منهم وان كان هذك فالعجب له فهو انكارهم للبعث والنشور لهذا الزعم الذى يزعمونه .

وابتداء الآية بهذا العجب لانهم يسوقون قولهم هذا سياق الاستعباد والاستغراب فبين الله لهم انه ليس بالغريب الاعادة ، لان الذى يعيد هو الذى بدأ انما الغرابة والعجب هو أن تستغربوا هذا والتنكير فى قوله : فعجب للتعظيم . اى فعجب عظيم ، وهذا الذى سوغ الابتداء بالنكرة ان جعلت كلمة « عجب » مبتدأ لانه تضم التنوين لمعنى العظم . جعل هذه النكرة فى معنى الموصوفة ، واذا كانت موصوفة فانها تصح مبتداة بالاجماع « أئذا كنا ترابا » قالوا ان « اذا » فى موضوع النصب بفعل محذوف دل عليه قوله تعالى بعد ذلك « أئنا لفى خلق جديد » وتقدير الفعل على هذا المعنى انبعث اذا كنا ترابا ؟ وهذا الكلام يتقيم مع ما نقرن النفوس ان « اذا » الشرطية خافضة شرطها منصوبة بجوابها ، ولما كان قوله تعالى فى موضع الجواب ، وان لم يكن الجواب قدر الناصب لا ذا فى معناه وانما جعل الجواب فى موضع الاستفهام كالشرط تكرارا للاستفهام **وللنص على موضع الاستعجاب والاستغراب** وهو الخلق الجديد بعد التراب ، والذى زيد قوله : هو أن اداة الاستفهام قد دخلت على اداة الشرط وكان يكفى هذا الدلالة على استعجاب او استغراق ما بين الشرط والجواب . اى كان يكفى هذا لاستغرابهم واستعجابهم . ولكنهم كرروا ذكر الاستفهام ، فادخلها على الشرط وعلى ما هو فى معنى الجواب . للدلالة على كمال استغرابهم واستيلاء العجب عليهم والاستفهام المكر للتعجب وإبداء الاستغراب لا حقيقة الاستفهام « لفي خلق جديد » والتعبير **بفي خلق جديد** بدل **انخلق خلقا جديدا** هذا التعبير بالجملة الاسمية يكون لتأكيد النسبة كأنه فى مواضع استغرابهم ان محمدا يؤكد هذه الحالة . وهو انهم يعودون فى خلق جديد ، فهنا ثلاث تعجبات : 1 — من مطلق العود بعد ان كان ترابا 2 — من انهم يعودون شبابا 3 — من تأكيد هذه الشبة ، « **أولئك الذين كفروا بربهم** » اولئك الذين قالوا هذا القول وتحملوا اكبرهم الذين كفروا بربهم ، والاشارة اليهم اشارة الى قولهم الذى قالوه متعجبين مستنكرين لقدرة الله ، ويجعلون قدرة الله فى موضع التعجب والاستغراب اولئك الذين اتصفوا بهذا هم الذين كفروا بربهم ، والتعبير بالوصول **لبيان سبب التعجب والاستنكار ،** انكروا عظمة ربهم وهو الذي ذراهم وكونهم ، ومن هذا نرى سر التعبير بـ « ربهم » اذ فى ذلك نوع من التوبيخ لهم على كفرهم بآياته وعظمته « **أولئك الاغلال فى اعناقهم** » الغل هو ما يجس الجسم والايدى عن الحركة ، وليس المراد أن هناك اغلالا وضعت فى اعناقهم . بل المراد تشبيه حالهم فى استغراق الضلال فى نفوسهم ، واستيلاء الاهواء والشهوات على عقولهم وقلوبهم فتمنعها من الادراك السليم الصحيح ، تشبيه هذه الحال بحال من غلت يده فى عنقه فاصبح لا يستطيع تحركا ولا تصرفا كذلك هؤلاء لا يستطيعون التصرف فلم يدركوا شيئا ، « وأولئك » الثانية فيها اشارة الى استعجابهم الاول وانكارهم الثانى وأولئك الذين اتصفوا بالاوصاف الثلاثة السابقة وهى :

1 — استنكارهم البعث

2 — ثم كفرهم بآيات الله

3 — ثم استغراق الضلال فى نفوسهم .

اى اولئك الذين يدخلون النار ويلازمونها ملازمة الصاحب لصاحبه . بعد ذلك بين الله أمره المشركين العجب من انهم يعودون خلقا جديدا بعد ان يكونوا ترابا . مع أن الذى يعيدهم هو الذى انشأهم من العدم ، ثم بين ان الذين يكفرون به انما هو ربهم .

بعد هذا بين حالهم من النبى وذكر بعض ما يطلبونه منه فقال « **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة** » السيئة فى اصل اطلاقها تطلق على ما يسوء الانسان ، والحسنة فى اصل اطلاقها تطلق على ما يستحسنه الانسان ويستطيبه ، ثم اطلقت السيئة على المعاصى . لانها تسوء الناس فى مجموعهم ثم تسيء لصاحبها فى المآل فى الدنيا والآخرة ، واطلق على الطاعات حسنات من حيث أن فيها احسانا للناس واحسانا الى صاحبها وما المراد بها هنا ؟ المراد الاصل اللغوى للفظهما أم المعنى العرفى الاخير ؟

اجمع المفسرون على أن المراد بالسيئة هنا ما يسيء ويؤلم . وهو المعنى اللغوي ، يعني يستعجلونك العذاب الذى هددتهم به ، من مثل قولهم « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم » — ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة — اى يتعجلونك بالامر الذى يسيء قبل الامر الذى يحسن . اى يطلبون ان تنزل عليهم الانذار الشديد بدل الوعد والثواب .

« **وقد خلت من قبلهم المثلات** » المثلات جمع مثله . والمراد منها العقوبات الشديدة التى نزلت بالامم السابقة بسبب عصيانهم النبيين وتكذيبهم لهم ، كالذى انزله الله بعاد وثمود ومن قبل ذلك بقوم نوح الخ ، وانما عبر عن هذه العقوبات « بالمثلات »

1 — لانها كانت عقوبات مماثلة للجرائم

2 — أو لانها كانت من الشدة بحيث يضرب بها المثل

3 — أو لانها كانت قصاصا لما اقترفوا ، والقصاص يقال له « المثال » يقال امثلت من فلان اى اقتصصت منه ، والمعنى فى التخريجات الثلاثة متقارب ، وتوجيه الكلام على ذلك : ان اولئك المشركين يتعجلون السيئة قبل الحسنة لا لانهم يرغبون فيما يسيء اليهم . بل مبالغة فى الجحود والايغال فى عدم الايمان بوعد الله ووعيده .

وتوجيه الكلام على هذا : ان اولئك المشركين ما كانوا يطلبون الامر المسيء ، ولكنهم لفرط جحودهم ينكرون وعيد الله ووعده ، فكان ذلك الاستعجال منهم نوع من المحادة .

يحادون بها الله ورسوله ، مع انهم لو نظروا نظرة اعتبار لوجدوا عن ايمانهم وعن شمائلهم من عقوبات الله فى الامم السابقة وقد نزلت بهم لتكذيبهم النبيين .

ثم بين بعد ذلك انه ان امهلهم ولم يعجل بالشر كما يطلبون او كما يتحدون ليس ذلك لانه غير قادر على انزال العقوبات الملائمة لجرائمهم . بل لانه ذو مغفرة ، ولماذا كان كون الله ذو مغفرة سببا فى تأجيل او امهال عقوباتهم ؟

ان ذا المغفرة الرحيم الذى يكون شانه التجاوز عن السيئات يمهل المسيء حتى تكون لديه الفرصة المواتية الكاملة فيتوب أو يخرج الله من صلبه من يصيب حق عبادته فالله لم يرسل انبياءه ليكونوا ذرائع تعذيب للناس بل أرسلهم مبشرين ومنذرين ، أو يكون من أصلاب المشركين به والكافرين من يجيب دعوة الله ، ويؤمن به ، وقد قلت لكم انه يجب علينا ان نعتبر بحال مشركي مكة والعرب فان امهال الله لهم وعدم اجابة لاستعجالهم العذاب ان

كان من هؤلاء الجاحدين المنكرين الذين كانوا يتحدون الله ورسوله كانوا منهم من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . وكانوا سيوف الاسلام والدعاة اليه ، وكان من اصلابهم التابعون المهتدون . فكان من صلب ابى جهل « عكرمة » الصحابى ابن ابى جهل . وقال « **على ظلمهم** » التعبير بظلمهم فيه نوع من المقابلة . بين عفو الله ورحمته وغفرانه وظلم الناس لانفسهم ، فهؤلاء يؤذون انفسهم ويظلمونها ، والله الغفور الرحيم يغفر سيئاتهم ان تابوا وانابوا .

والغفران درجتان : الاولى ستر الذنب وتمهيد للتوبة ومظهر ذلك امر الله لا يأخذ الظالمين بما كسبوا ، ولو اخذهم بظلمهم وقت أن وقع الظلم منهم ما بقي عليها من احد « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » والدرجة الثانية للغفران وهي العالية قبول التوبة من التائب حتى أن الله ليفرح بتوبة التائب اكثر منه لانه غفور رحيم ، ثم بعد ذلك وصف نفسه بانه شديد العقاب حتى لا يظن الظالمون انه أهمل ظلمهم ، فالغفران عند رجاء التوبة والرجوع اليه ، والعقاب الشديد عند عدم التوبة وعند عدم الرجوع اليه والاصرار على المعصية .

وبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى ما كانوا يتحدون به الله ورسوله من استعجال العذاب قبل الثواب ذكر امرا آخر لا يقل اعناتا عن الجحود وهو انهم كانوا يطلبون آية دالة على النبوة غير القرآن « ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه » .

كانوا يطلبون أن يأتيهم النبى بآيات كآيات موسى او عيسى ، او ينزل عليهم ملكا من السماء . كما حكى عنهم فى آيات اخرى « وقالوا لولا انزل عليه ملك . ولو انزلنا ملكا لقضى الامر . ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا . وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

وما كانوا يطلبون ذلك لانهم طلاب ايمان يريد الحجة والبرهان . بل كانوا يريدون ان يستروا سبب كفرهم . فيدعوا أن النبى لم يجىء بحجة ولا برهان ، وانما يريدون برهانا من نوع يختارونه هم ، فالجحود هو الذى دفعهم الى طلب الآية لاشك ولا نقص الدليل . ومن كان شأنه كذلك لا يجدى معه البرهان ولا الدليل ، ولذا قال الله فى شأنهم « ولو انزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين » فهؤلاء لا يطلبون الدليل ليستندوا به ، ولكنهم يطلبونه ليعجزوا النبى ولا يعجزوه ، ولذا قال الله للنبى فى الرد عليهم : « انما انت منذر ولكل قوم هاد » اي ان هؤلاء الذين كفروا وجحدوا بآيات الله ثم جحدوا بها لنقص فى الدليل ولا لعدم وضوح الآيات ولكن الله طمس على قلوبهم ، فلا تحبهم . فلكل قوم معجزة تناسبهم ، فقومك من ارباب الله والبيان ، فكانت معجزتك تتفق معهم ، وبما انك أيضا مرسل للناس اجمعين ، ورسالتك نوع من المثل فكانت منفقة على الناس جميعا .

« انتهى »

د محمد كمال شبانة

عن مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الله ابن عوف ان رجلا اتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فانسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تغضب . وحدثني عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن مسلم المسيب عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

شمولية التشريع الإسلامي ومرونته

للأستاذ
عبد الله الجراري

مضى القرن الاول الهجري ولم يكن للدولة الاسلامية قانون سوى القرآن والسنة ، فاذا وجد أهل الفتيا من الصحابة والتابعين وغيرهم نصا اتبعوه . والا اجتهدوا برايهم ، وما كانت تدون هذه الآراء الاجتهادية ، ولا تعتبر قانونا ولا شرعا الا باعتباران مستندها ومرجعها الى القرآن والسنة ، ولكن لما اتسعت دائرة الفتح الاسلامي وانتشر الاسلام فى الممالك القاصية ، وتفرق حفاظ الشريعة ورواتها فى مختلف الانحاء خيف من تشتت احكام الشريعة ودخول الفوضى فى التشريع . فكان هذا باعثا على امرين : الاول تدوين حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والثاني تدوين المجتهدين اجتهاداتهم واصولهم التي استندوا اليها فى الاستنباط مثل الائمة المجتهدين كأبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، واحمد بن حنبل وسواهم من مجتهدي الامة ، ومن هذا المنطلق صار رجال التشريع يرجعون الى القرآن والسنة والاجتهادات وما كان فى هذا من حرج لان الرجوع الى اجتهادات الائمة ما كان الا للاهتداء الى فهم القرآن والسنة ، والاستعانة على الاستنباط . فان من درس الاحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن فى مختلف نصوصه من عقائد وعبادات ومعاملات وعقوبات تبين له ان الحكمة فى تشريع القرآن والسنة هي تحقيق مصالح الناس والعدل بينهم ، لهذا يقول الله تعالى فى وصف القرآن « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » الآية رقم 9 الاسراء .

ويقول سبحانه فى وصف رسالة محمد صلوات الله عليه (يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) الآية 157 الاعراف .

وقد ادرك العلماء فى الشريعة الاسلامية هذه الحقيقة ، فهذا الامام الشاطبي يقول فى كتابه الموافقات : (ان احكام الشريعة ما شرعت الا لمصالح الناس وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله) ؛ ويقول الامام ابن القيم فى كتابه الطرق الحكمية : (ان الله سبحانه أرسل رسله ، وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الارض والسماوات ، فاذا ظهرت امارات العدل واسفر وجهه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه) .

وعلى ضوء هذا نرى علماء الشرع الاسلامي استمدوا من القرآن والسنة مبادىء تشريعية عامة تعتبر الدستور التشريعي الذي يبني عليه المشرع تشريعه ، والقاضي قضاءه ، وكل مبدأ من المبادىء التي تذكر ولا نراها تمت بسبب صحيح الى تحقيق مصالح الناس واقامة العدل بينهم ، وتصلح للتطبيق فى كل زمان ومكان . من هذا المبدأ المبادىء الخاصة بدفع الضرر التي استمدها العلماء من قول الرسول الاعظم عليه السلام : « لا ضرر ولا ضرار » وهي :

1) الضرر يزال شرعا من فروعه ــ ثبوت حق الشفعة للشريك ، ووجوب الضمان على من اتلف مال غيره ، ووجوب الوقاية والتداوي من الامراض .

2) الضرر لا يزال بالضرر من مشمولاته ــ لا يجوز للانسان ان يدفع الغرق عن ارضه باغراق ارض غيره وان يحفظ ماله باتلاف مال غيره .

3) يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام ــ منه ، يقتل القاتل لتأمين الناس على نفوسهم ، يهدم الجدار الآيل للسقوط في الطريق العام .

4) يرتكب اخف الضررين لاتقاء اشدهما ــ من امثلته تطلق الزوجة من زوجها للضرر والاعسار .

5) دفع المضار مقدم على جلب المنافع ــ من ذلك يمنع ان يتصرف المالك فى ملكه اذا كان تصرفه يضر غيره .

وهناك المبادىء الخاصة بسد ذرائع الفساد . وهي من القواعد الهامة فى التشريع الاسلامي كما يقول فقهاء النفس :

(وعندهم سد الذرائع انحتم
كمثل الامتناع من سب الصنم)

تلكم المبادىء التي استمدها العلماء من قوله تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية رقم 108 الانعام ، حرم الله تعالى سب آلهة المشركين مع كون السب غيظا وحمية لله واهانة لآلهتهم ، لان ذلك ذريعة الى سب المشركين الله تعالى ، ويقول عليه السلام فى سد ذرائع الفساد (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه ، الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه) (1) ، وعلى هذا النموذج استمد العلماء تلك المبادىء التي صاروا فى التشريع على ضوئها وهي ما يفضي الى المحظور فهو محظور ــ ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ــ ما ضر كثيره حرم قليله.

وقد تنزل لشرح مبادىء سد ذرائع الفساد العلامة ابن القيم فى الجزء الثالث من كتابه (اعلام الموقعين) وذكر 99 مثالا على ذلك ، مما امرت به الشريعة ونهت عنه ، من ذلك انه صلى الله عليه وسلم حرم الجمع بين المرأة وعمتها ، والمراة وخالتها فى الزواج ، وقال : انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم حتى لو رضيت المرأة بذلك لم يجز ، لان ذلك ذريعة الى القطيعة المحرمة ، ومن ذلك ان الشريعة منعت قبول شهادة العدو على عدوه ليلا يتخذ ذلك ذريعة الى بلوغ غرضه من عدوه بالشهادة الباطلة ، ومنها ان النبي نهى أن يبيت الرجل عند امراة الا ان يكون زوجا او ذا رحم محرم عليه زواجها، فالمبيت عند الاجنبية ذريعة الى الزنى ، ومن ذلك ان النبي نهى ان يخطب الرجل على خطبة اخيه الانسان ، او يبيع على بيع اخيه ، وما ذلك الا انه ذريعة الى التباغض والتعادي بينه وبين اخيه الانسان.

ومن المبادىء الخاصة فى التشريع الاسلامي ــ رفع الحرج والمشقة وجلب التيسير المستمدة من قول الله تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) الآية 78 الحج ، وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) الآية 185 البقرة ، وقوله جلت قدرته (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) الآية 186 البقرة . ويتفرع عن هذا ما ياتي :

1) المشقة تجلب التيسير من ذلك ان الشريعة اباحت للصائم ان يفطر فى السفر وعند المرض وقصر الصلاة فى السفر ، واسقطت فريضة الحج عن العاجز والمريض .

2) الحرج شرعا مرفوع ، منه قبول شهادة النساء وحدهن فيما لا يطلع عليه الرجال من عيوب النساء وشؤونهن :

« وفى اثنتين حيث لا يطلع
الا النساء كالمحيض مقنع» (2)

3) الحاجات تنزل منزلة الضرورة فى اباحة المحظورات ، ويتفرع عن هذا المبدا كثير من عقود المعاملات وضروب الشركات التي تحدث بين الناس وتقتضيها ادارتهم . فاذا قام البرهان الصحيح على ان نوعا من هذه العقود والتصرفات صار ضروريا للناس بحيث ينالهم الحرج اذا حرم عليهم هذا النوع

(1) فى البخاري ومسلم عن ابى عبد الله النعمان بن بشير .
(2) ابن عاصم فى تحفته .

من التعامل ابيح لهم ما يرفع الحرج منـــه ولو كان محظـــورا .

4) الضرورات تبيح المحظورات استمـــده العلماء من قول الله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) الآية 173 البقرة ، وذكر سبحانـــه الذين يتجاوز عنهم اذا تلفظوا بالكفر بقوله : (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) الآية 106 النحل . وقد ابيح للمكره ان يتلفظ بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان ، وابيح اكل الميتة المحرمة ، وشرب الخمر المحـــرم عند الضرورة ، واحل أكل مال الغير دفعا للهلاك عند شدة الجوع بقدر ما يدفع الضرر ، وعلى هذا المبدأ بنى كثير من الاحكام ، وهناك البراءة الاصلية التـي تعد في صف المبادىء الخاصة في التشريع الاسلامي وقد استنبطها العلماء من قول الله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) الآيـة 29 البقـــرة . وقوله عليه السلام (كل مولود يولـد على فطـــرة) والمبادىء المستنبطة في هذا الباب تجعل الاصل في الاشياء الاباحة ، والاصل في الانسان البراءة .

تلكم نبذةمن المبادىءالتي قام عليها التشريع الاسلامي التي لا يرتاب منصف في انها مبادىء عادلة لا تتنافى مع اي مبدا تشريعي عادل . هذا وان مبنى الفقـــه الاسلامي وجماعه يدور على اصول اربعة كما يقـــول القاضي الحسين : اليقين لا يرفع بالشك ، والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، قيل والامور بمقاصدها . ومن بين هذه السطـــور يتضح لنا ان القوانين الشرعية الاسلامية لم تضق عن حاجة ، ولا وقفت عقبة في سبيل مصلحـــة او عدالة بل وسعت مصالح الناس على اختلافهم ؛ فقد كانت الدولة الاسلامية في عصورها الذهبية ممتـــدة رقعتها من بلاد الصين شرقا الى المحيط الغربـي ، وكان البحر المتوسط بحيرة اسلامية تخفق الرايـة الاسلامية على ممالكه ، وكانت هذه الولايات المختلفـة تضم امما متباينة الاجناس والعـــادات والاديـــان والمصالح من عرب وفرس وروم وغيرهم ، وقـــد دبرت الدولة الاسلامية شؤون هذه الامم والشعـوب بقوانين من شريعتها ، وما حدثنا التاريخ ان المسلمين في عصر من تلك العصور استمدوا قانونا من تشريع غيرهم او استقدموا مشرعا اجنبيا لتشريع قوانينهم، بل كلما فتح الله لقواد الجيوش ولايات فتح العلمـاء للتشريع ابوابا من الاجتهاد والاستنباط حتى كانـت حركتهم التشريعية مسايرة حركة الفتح ، وما ضاقت القوانين التشريعية عن حاجة ، ولا قصرت عن مصلحة، ولا تنافت مع مصالح مسلم او يهودي او نصراني او وثني ، بل عاشوا في ظل عدالتها وتسامحها عيشـــة راضيـــة .

والتشريعات الاسلامية التي كانت تطبق آنذاك سبقت المدنية الحاضرة بكثير من اصول العـــدل ، واحتوت كل ما يدعو اليه كل مجتمع كامل صحيح ، وقد اعترف بهذا علماء القانون ممن لا يدينون بالاسلام وها بعض شهاداتهم ناطقة بهذه الحقيقة يقول العلامة ـ سانتيلانة ـ (3) (ان في الفقه الاسلامي ما يكفـي المسلمين في تشريعهم المدني ان لم نقل ان فيـــه ما يكفي للانسانية كلها) .

ولقد عقد البحاثة الامريكي (هكنج) استـــاذ الفلسفة بجامعة هارفورد ، فصـــلا مستفيضا عـــن (مصير الثقافة الاسلامية) في كتابه (روح السياسة العالمية) المطبوع سنة 1932 ، فبعـــد ان تكلـــم باسهاب عن اصول الفقه الاسلامي ، وعن المذاهـــب الاربعة قال (ان سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس في اتخاذ الاساليب الغربية التي تدعي ان الدين ليس له ان يقول شيئا في حياة الفرد اليومية وعن القانون والنظم السماوية وانما أن يجد المـــرء في الديـــن مصدرا للنمو والتقدم ، واحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة ، واصدار احكام مستقلة تتفـــق وما تتطلبه الحيـــاة العصرية ؟ فالجواب عن هذه الاسئلة هو ان في نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل هو من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة) .

والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمـــو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وانمـــا في انعـــدام الميل الى استخدامها ، واننا نشعر بكوننا على حق حين نقدر ان الشريعة الاسلامية تحتوي بوفـــرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض .

---

(3) سانتيلانة (Santtillana) 1845 ـ 1931 ولد في تونس ، مستشرق ايطالي ، درس في روما ووضع القانونين المدني والتجاري اعتمادا على قواعد الشريعة الاسلامية ونسقهمـــا على نســـق القوانيـــن الاوربيـــة .

وهذا ما حفز لتكوين هيئة علميــة من خيــرة العلماء ورجال القانون(بظهير شريف رقم 1.57.190 مؤرخ بـ 22 محرم 1377هـ موافق 19 غشت 1957 م مما كانت نتيجته وضع المدونة) تكون مهمتها وضع قانون وفق ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة ، وان ترجع الى اقوال المجتهدين فى ما يوافق مصلحــة الامة ؛ وما لا يوجد نص فيه من القرآن والسنة مــن معاملات الناس : يوزن بميزان المصلحة ، وينظر فيما يجلبه من نفــع للافــراد والجماعــات . وبعــد هذا الوضع الذي كان حسنة من حسنات المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه لا مانع من اعــادة النظر مرة اخرى وتجديده فيما يكون حدث من نوازل وقضايا فى هذه الحقبة تستدعي بطبيعتها الاندماج فى نظائرها واشباهها للكشف عما يمكــن ان يعلوهــا من غموض يقفها موقف الحيرة والاضطراب ، وليس هذا بعزيز على رجال القانون طالما التشريع الاسلامي منشرح الصدر ، واسع الافق يضم اليه ما يبدو بعيدا (فى نظر القاصر) عن مبادئه السمحة الطيعة لكــل تطوير وتجديــد .

وما هذا على همة جلالة الحسن الثاني بغريــب وهو الملك المثقف المتفتح ايده الله وحفظه فى سمو ولي عهده سيدي محمد وباقي الاسرة .

في محاضرة القاها المؤرخ الشهير « ارنولــد توينبي » سنة 1948 بعنوان : « الاســلام والغرب والمستقبل » قال : وهنا ، وعلى عتبة المستقبــل للحظ تأثيرين قيمين يستطيع الاسلام ان يمارسهمــا على البروليتاريا العالمية للمجتمع الغربي الذي القي شباكه حول العالم وضم البشرية جمعاء » .

وقد كان يشير بذلك الى مشكلتين اثنتين قال ان الاسلام قادر على حلهما ، هما ، مشكلة التفرقــة العنصرية ومشكلة الخمر .

ثم اردف يقول : « أما فى المستقبل البعيــد فيمكن التكهن باحتمال قيام الاسلام باسهام فى أوجه جديدة للحضارة ، وهناك من يفتــرض مقدمــا ان الخليط المتنافر الذي نتج عن غزو الغرب للعالــم سيطور تدريجيا وسلميا الى تركيــب متجانــس وسيشكل هذا التركيب بدوره تدريجيا وسلميا ايضا، نوعا من الابداع الجديد .

وهذا الافتراض المسبق ، على كل حال يقوم على نظرية لا يمكن التحقق منها ، قد تبررها الاحداث فى المستقبل وقد لا تبررها أبدا ، وقد ينتهي الخليط الى تركيب متجانس وقد ينتهي أيضا الى انفجــار مدمــر .

وفى حالة وقوع مثل هذه الكارثة سيكــون للاسلام دور فعال مختلف تماما وهو دور العنصــر الفاعل فى ردة فعل عنيفة تقــوم بها البروليتاريــا العالمية للشعوب المسحوقة ضد أسيادها الغربيين.

مالك بن نبي

ومشكلات الحضارة

للاستاذ المحامي عمر مسقاوي
عضو المجلس الاسلامي الأعلى بلبنان

في ازمتنا الحاضرة يبدو الحديث عن فكر ابن نبي كذلك الضياء المدل في الكلمة .

فلقد شاء الله لابن نبي ان يصاحب القرن العشرين في بدايته فيشهد ذروة الاتصال بين الشرق والغرب ويرقب انبلاج النهضة العربية الاسلامية وهي تواجه التحدي الاستعماري في وجهيه السياسي والثقافي .

فلقد تفاعل ابن نبي بفضل منهجه العلمي مع مشكلة التحدي هذه فاذا عين له في مقتبل الشباب على كتاب يقراه في تعليمه المدرسي وعين له اخرى على ركود المجتمع الرازح تحت الاستعمار الفرنسي ووسائله المدمرة .

فلقد ولد مالك بن نبي في قسطنطينة الجزائر عام 1905 واجتاز مراحله الثانوية فيها ثم انتقل الى باريس يدرس الهندسة حتى تخرج عام 1936 مهندسا في الكهرباء .

لكن القضية جذبته الى حلبتها فاذا هو يبحث عن سبيل في الفعالية تنتظم في اطاره الوسائل والامكانيات . فالجزائر والعالم الاسلامي في عمومه لا يحتاج الى مهندس يمنح خبرته في اطار الاشياء بل الى حركة في اطار الفكر تبدل المجتمع غير المجتمع.

كانت هذه منطلقات ابن نبي يطرح المشكلة في أعماقها ، ولقد صرفته عن تخصصه الهندسي الى التعمق في القضية يبحث عن وسائل نهوض العالم الاسلامي من كبوته وقد تسورته الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها .

انطلقت افكار ابن نبي تعيد الثقة بتراث هذه الامة بعدما كادت الحضارة الغربية تأتي على جذوته في النفوس .

فقد استطاع الفكر المهني ان يكبل المبادرات الفكرية لمسلمي القرن العشرين وان يضع النظرات الاصلاحية في قوالب التجربة الغربية فاذا المسلم امام فيض هذه الحضارة بين رجلين اما متهم منها او متهم لها كما يقول ابن نبي .

وفي اطار الازمة النفسية هذه دارت التجربة الاصلاحية في فراغ عقيم ملأ مكتبتنا الحديثة بالمؤلفات لكن المشكلة ما تزال تراوح مكانها وفي كل يوم تتفقد الحلول فتضع جيلنا الصاعد امام استحالات الخروج من الازمة .

بدا ابن نبي اذن يبحث في الجذور .

فهذه الحضارة الحديثة ما كان لها ان تحتوي مسيرة العالم لولا ما تألف بين ابنائنا من روح مسيحية أوقدت حماس شارلمان . واستقطبت التعاون الاجتماعي في سائر الحقول والذين ينعمون النظر في ذلك العهد يرون ما كان للكنيسة من دور في توحيد المبادرات الفردية اذ سلكتها في مسيرة واحدة ثم بعثت الطاقات الروحية لتطبع وجودها على سائر مظاهر الحياة فنية كانت او اجتماعية .

لقد بدا المجتمع منذ ذلك العهد يمتد خارج حدوده بما توفر له من روابط نفسية تطبع ثقافته على صفحة الارض وتلزمه بتطور يعيد التوازن الى مسيرته فاذا الانتاج الادبي والعلمي والفني يرفد طاقاته بما يصحح مسيرته في كل طور . وما منهجية

ديكارت ولا الثورة الفرنسية ولا العلمانية ولا الماركسية الا مراجعة جماعية لذلك النسق الاجتماعي المترابط وقد امتلك العالم بثقافته .

ولقد تبدو هذه المراجعات يناقض بعضها بعضا في اطار التحليل الا انها تظل وليدة النمو المتطرف لذلك النسق الاجتماعي المسيحي تمنحه زخم المسيرة بوسائل جديدة .

من هنا لم تكن مشكلتنا فيما تباعد بيننا وبين التجربة الغربية عبر القرون . ولا هي كذلك فيما اورثنا الاجيال من عقيدة .

فهذه عقيدتنا ما تزال حديث التاريخ نفاخر بحضارتها في كل حين .

انها في ذلك الانبعاث يصلح الامة بما صلح به اولها ، ويمنح روابط المجتمع فعالية الارادة الانسانية وهي تتقد بحرارة العقيدة .

مشكلتنا اذن مشكلة حضارة تمارس وظيفتها .

« فهي مجموع الشروط الاخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين ان يقدم لكل فرد من افراده في كل طور من اطوار وجوده منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور او ذاك من اطوار نموه » .

افاق جزائرية ص 38 .

على اننا اذا حددنا الحضارة في صورتها الوظيفية تحتم علينا ان ندخل الى اعماق تجربتها فنبحث في مكوناتها الاساسية والتي تبدو سنة ثابتة لا تتبدل في سائر المجتمعات .

فالمشكلة ليست في استيراد الرفاهية ولا هي في نمو اقتصادي بعيد عن دور الانسان وفعاليته فهذه دول البترول تكتظ بمنتجات الحضارة الغربية بينما الانسان فيها منعزل عن كل دور يمنح لهذا الازدهار دوامه .

« ولهذا فنحن عندما نريد ان نضع اصل النمو الاقتصادي للحضارة موضعه لا يتعين علينا ان نضع هذا الاختراع او ذاك من مثل الآلة البخارية ونول « جيكار » والبوصلة وآلة الطباعة باعتباره مصدرا لذلك الاصل ، ولكن جميع الظروف التاريخية التي تخلقت فيها بذور كل الافكار وكل ضروب الخلق والانشاء وكل انتاجات هذه الحضارة .

لا بد اذن ان نفرق بين تكديس المنتجات الحضارية وبناء الوظيفة الحضارية في مجتمعنا . فالتفكير في مشكلة الانسان هو في النهاية تفكير في مشكلة الحضارة .

ولقد وقعت الحركة الاصلاحية الحديثة في منزلق السهولة حينما اهملت عمق البناء الاجتماعي فاتخذت لها مستحدثات الحضارة الغربية وسيلة تعبير عن حاجاتها فاذا هي « زبون مقلد دون اصالة لحضارة غريبة تفتح ابواب متاجرها اكثر مما تفتح ابواب مدارسها » .

فالحركة الاسلامية الحديثة ليس لها في الواقع نظرية محددة لا في وسائلها ولا في اهدافها ، فقد انطلقت من عقدة الاتهام تسوغ الاسلام في العالم الحديث بينما كانت القضية تحتاج الى خطة في بناء الانسان المسلم تسوغ دوره في مصير العالم .

« فبدل ان تترجم الجهود الذهنية عن نفسها في صورة مذهب دقيق للنهضة ومنهاج منسجم كانت تنطلق في صورة شعلات دفاعية او جدالية وكان المؤلف المنهجي الوحيد الذي خلفه جمال الدين يتمثل في مجادلة ضد المادية او الناشورية حسب تعبير كاتبه — وهو الكتاب الذي يتعين علينا ان نقرن به المجادلة المدوية لتلميذه « محمد عبده » ضد رينان ولكي نتمثل ما ينقص جميع هذه الجهود يجب ان نتصور احد اعمال ماركس او انغلز او لينين في اقتصاره على مجرد نقد المجتمع الراسمالي دون ما نظر الى نواقص الطبقة العمالية او انفتاح على بناء الاشتراكية » .

لقد كانت الحركة الاصلاحية اذن بحاجة الى منهج يطرح العوامل السلبية التي كبلت المجتمع الاسلامي عبر القرون وأسلمته الى قابلية اجتماعية للاستعمار . الا انها عالجت بصور جزئية ومتفرقة دون ان تمس الثوابت النفسية والاجتماعية التي اورثت المسلم تخلفه .

« فبدل تناول الموضوع بطريقة « جبرية » تمكن من الاشارة الى حل قابل للتطبيق على مستوى مجتمع تقوم فيه المشكلة نفسها كالمجتمع الغربي

طوال عصر النهضة ثم تبني طريقة سير حسابية تعالج كل حالة على حدة : فعوض معالجة وضعية تاريخية عامة ، تمت معالجة قضايا سياسية مختلفة بينما العوامل التي اثرت منذ قرون على وضعية البلدان الاسلامية لم تتشكل داخل الحدود الوطنية لبلاد معينة ولكن داخل المجال الذي تكتنفه رقعة الحضارة الاسلامية اى الرقعة التي يطلق عليها توينبي « حقل الدراسة »

لقد انزلقت نهضتنا فى متاهات صوفية فاذا أولئك الذين انحرفوا نحو الفكر « التقدمي » قد وجدوا انفسهم يحملون ثقافة منعزلة عن المجتمع لانها لم تكن نابعة من ضرورات المجتمع بل من انتقال فيض الحضارة الغربية الى الشرق .

ولقد كانت السلفية منطلقا ثوريا فى نظرة الرواد الاول للنهضة الا انها جمدت فى خطوتها الاولى فلم تمنح المسلمين رغم المبادرة فى العصر الحديث

وهذا قرن من الزمان يطوى صيحة جمال الدين كما تكون فى وادي سحيق ، فقد مست النهضة سطح المجتمع دون ان تبعث منهجا فاعلا فى بناء الانسان .

لقد انطلق ابن نبي من هذه الزاوية يطرح المشكلة فيدخل الى اعماق السنين الاجتماعية وهي قد خلت من قبل وهي ايضا سبيل الغد المتطور فى كل امة .

ولقد كان احتجابنا عن صنع التاريخ الحديث يرجع الى ارادة الحضارة فى موقف الانسان . وهي ارادة تشحذها عقيدة فاعلة تتصل بالفكر والروح معا.

فلو شئنا ان نعبر عن تلك الارادة الحضارية بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقلنا انه ذلك المؤمن « الكيس الفطن » ! .

وهذا يعني ارتباط النشاط الاجتماعي بالفكر المنهجي المنسق يمنح الانسان قدرة السعي فى مناكب الارض ليبني هنالك تاريخه .

« فلكل نشاط عملي علاقة مباشرة بالفكر فمتى انعدمت هذه العلاقة عمي النشاط واضطرب واصبح جهدا بلا دافع . وكذلك الامر حين يصاب الفكر او ينعدم ، فان النشاط يصبح مختلا او مستحيلا وعندئذ يكون تقديرنا للاشياء تقديرا ذاتيا ، هو فى عرف الحقيقة خيانة لطبيعتها ، وغمط لاهميتها سواء كان غلوا فى تقويمها ام خطا من قيمتها . وهذان الشكلان من اشكال الخيانة يتمثلان فى العالم الاسلامي الحديث فى صورة نوعين من الذهان فاما ان يتمثل فى صورة النظر الى الاشياء على انها سهلة وهو قائد ولا شك الى نشاط اعمى (كما كانت الحال فى قضية فلسطين) واما ان ياخذ صورة النظر اليها على انها مستحيلة فيصاب بالشلل » .

وجهة العالم الاسلامي

ذلك شلل اورث الركود الاجتماعي فى سائر الحقول . فقد وجد المسلم نفسه امام استفحالات نفسية عزلته عن التصرف بامكانياته ، فاذا هو قابل لاحتلال كل امة ولاجتياح كل قوة والقابلية للاستعمار هذه قد وطات للاجتياح الاستعماري فى تاريخنا الحديث .

« ان هنالك نتيجة منطقية علمية تفرض نفسها هي انه لكي نتحرر من « أثر » هو الاستعمار يجب أن نتحرر أولا من سببه وهو القابلية للاستعمار .

فكون المسلم غير حائز جميع الوسائل التي يريدها لتنمية شخصيته ، وتحقيق مواهبه : ذلك هو الاستعمار ، واما الا يفكر فى استخدام ما تحت يده من وسائل استخداما مؤثرا وفى بذل اقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته حتى بالوسائل العارضة ، واما الا يستخدم وقته فى هذا السبيل فيستسلم على العكس لحظة افكاره وتحويله كما مهملا يكفل نجاح الفنية الاستعمارية فتلك هي القابلية للاستعمار » .

وجهة العالم الاسلامي

فالقابلية للاستعمار وجه آخر للتخلف والامر يتطلب انتصارا على تلك المعوقات لنواجه المستقبل بقوة ذاتية من انفسنا .

فالمجتمع تواجد بين الاشخاص يربط بينهم قيم مشتركة وهذه القيم المشتركة لا بد ان تؤدي الى نشاط مشترك فى عالم الاشياء المحيط به . ولكي يكون النشاط المشترك فاعلا فى عالم الاشياء لا بد ان يمر فى عالم من الافكار تعطي لهذا النشاط فاعلية خلاقة .

ذلك تبسيط لمفهوم الحضارة يطرحه ابن نبي انها صنعة انسان احسن استخدام الارض من حوله

فى اطار الوقت الضروري ولذا فهي فى عناصرهـــا الاوليـــة .

الانســـان + التـــراب + الوقـــت .

هذا المفهوم الاولي للحضارة يضع الانسان فى المنطلق الاساسي نحوها بعد ان تكون قد تجـردت امامه عن كل بناء ماثل يأخذ بالابصار كذلك البنــاء الغربي للحضارة الذي ادهش الشرق واوقعـــه فى عقـــدة النقص .

واذا كان الانسان هو الذي يصنـــع العلاقـــة الفاعلة بين العناصر الاساسية لكل حضارة فلا بد ان يكون صاحب قدرة على ذلك كلـــه .

وهذه القدرة ليست قدرة ذاتية شخصية بل هي قدرة الجماعة حين تدفعها يد الله .

فلا بد اذن من عالم للاشخاص يحسن الترابط بينه والتآلف الذي يتجاوز المصلحة الذاتيـــة الى المصلحة الاجتماعية .

ولا بد اذن من عالم للافكار يحسن استخـــدام الوسائـــل .

ولا بد اخيرا من عالم للاشياء يمنح الافكـــار ابداع ما تصنع والانسان أمنه ورفاهيته .

والانســـان فى عالم الاشخاص المترابـــط وفى عالم الافكار القائم على المنهج وفى عالـــم الاشيـــاء المنقاد الى حاجته هو ذلك الانسان المتحضر وهي الحضارة تنتسب اليه وينتسب اليها .

وما امرنا فى مشرق الدعوة الاسلامية الا تآلف فى عالم الاشخاص ومناقب تمنح الانسان حـــرارة الايمان وما فكرنا الا ذلك الذي استخدم عالم الاشياء من حوله فأحسن النتيجة حين قدم لها اسبابها وكانت لديه مقاييس النقد والتصحيح .

فاذا حضارة دمشق وبغداد والاندلس تطبـــع قيمها وروحها على صفحة الحضارة الانسانية .

وما امرنا فى مغرب حضارتنا الا اختلال فى عالم الاشخاص اورث التفسخ فى المجتمع وانغلاقا فى عالم الافكار اجدب من خلاله عالم الاشياء وتلك الابـــام نداولها بين الناس .

هذه السنة الاجتماعية تلزمنا بنظرة ثاقبـــة فى عمقنا الاجتماعي . هذا الذي ما يزال مختل العلاقة فى عالم اشخاصه تقوم فيه الفوضى على كل صعيد وتأخذ افراده الاثرة فلا يستقيم فيهم أمر .

وهو الذي اختل فيه عالم الافكار فجنـــح الى تبديد امكانياته وثروته وعجزت نظراته عن كل تحليل ذاتي فاذا هو الفكر الناقل فى سائر الميادين العلمية وقد تخلى عن كل جهد مشترك يمتاز به ويؤهله فى صنع العالم الحديث .

وهو الذي اختل فيه عالم الاشياء فلا انسجام بينه وبين عالم اشخاصه واذا نحن غرباء عن احتواء ثروتنـــا .

ولا انسجام بينه وبين عالم افكاره لان الفكـــر عاجز فى سائر الميادين .

فلا بد اذن ان نعيد بنيتنا فى هـــذه العوالـــم الثلاثة لترتفع عليها حضارتنا .

ولكي نعيد هذه البنية لا بد ان تتوفر فيه ارادة حضاريـــــة .

والارادة الحضارية هذه نقلة بالانسان الى مرتبة متقدمة . انها تربية . ولذلك فهي علاقة اجتماعيـــة سليمة . وهي مثل أعلى تشد الانسان الى بلوغه فهي اذن عقيدة فى اطار المجتمع . وهي صلة مستمرة فى عالم الاشخاص والافكار والاشياء فهي اذن تعطي لهذه الصلة اسلوبها الفاعل المتسق والمنظـــم فتأخـــذ العوالم هذه صورتها المتقدمة المتطورة وتمنح جوها ولونها وذوقها وجمالها على رقعتها .

ولئن شئنا ان نميز مجتمعا عن سواه لامتاز فى اسلوب ثقافته فهذه غربية وتلك صينية . وهـــذه يونانية واخرى رومانية وثالثة اسلامية قد تميزت فى الاسلوب والذوق والقيم الموحيـــة الا ان عوالمهـــا الثلاثة تفاعلت فيما بينها تفاعلا منح العبقرية للعالم والفنان والمبدع ولولا ذلك الاطار العام من الصلات لما وجد هؤلاء شروط تأثيرهم فى منعطفات العلم .

فثقافة كل مجتمع تشتمل على فصول اساسية لا بـــد منهـــا .

انها المبدأ ـ الاخلاق ـ الذوق الجمالـــي ـ المنطق العملي ـ التقنية .

فهذه العوالم الثلاثة الاشخاص ـ والافكـــار ـ والاشياء تجد تفاعلها فى العناصر الاربعة هذه .

وحين تختل او تنسحب واحدة من هذه العناصر تنسحب الثقافة عن دورها الفاعل في بناء الحضارة .

فبدون المبدا الاخلاقي تتفجر الصلات في عالم الاشخاص ويفقد التعاون في كل صعيد اساسه .

وبدون الذوق الجمالي تفقد الصلات دورهـــا الفاعل المنظم وتنسحب عن كل تاثير في صفاء المجتمع واحتواء العبقرية واندفاع الثقافة في صنع الحضارة.

وبدون المنطق العملي تتعقد الصلات وقــد تتعارض نشاطاتها فتصبح حينئذ عمياء غير هادفة .

وبدون التقنية لا سبيل لاحتواء عالم الاشياء .

« فليست الثقافة سوى تعلم الحضارة اعني استخدام جميع ملكاتنا الضميرية والفعلية في عالم الاشخاص . وليس العلم سوى بعض نتائج الحضارة اي انه مجرد جهد تبذله عقولنا حين تستخـــدم في عالم الاشياء . فالاولى تحركنـــا وتقحمنا كليـــة في موضوعها . واما الثاني فانه يقحمنا في مجاله جزئيا.

والاولى تخلق علاقات بيننـــا وبيـــن النظـــام الانساني والآخر يخلق علاقات بيننا وبين نظام الاشياء.

ميلاد مجتمـــع

من هنا لا بد من تفريق جوهري بين الثقافـــة والعلـــم .

فالاولى تقحم الانسان في مجالها على اختلاف درجات تحصيله العلمي . انها تمس العالم والفـــلاح والعامل على سواء لانها تطبع وجودها على هؤلاء جميعا لتسلكهم في اطار واحد من الصـــلات الاجتماعيـــة القائمة على المبدا الاخلاقي والذوق الجمالي الـــذي يضبط السلوك العام للافراد .

ولربما كان العالم اكثر ادراكا لطبيعة المجتمـــع وحركتـــه .

ولربما كان العامل والفلاح ابعد ما يكون عن فهم دقائق هذه الحركة ، لكنهمـــا بالـــزام من الثقافـــة الاجتماعية العامة يختار هذا وذاك نمطا واحـــدا من السلوك يمنح العمل اليومي فعاليتـــه المؤثـــرة في التاريـــخ .

ولقد كان الاسلام من قبل ثقافة المجتمـــع في صورتها الباعثة تطبع روحها وذوقها في آثار ترامت الينا عبر القرون . وحينما انسحب المسلمـــون عن وظيفتهم الاجتماعية اوت حقائق التربية الاسلامية الى متون متوارثة محفوظة بينما فقد المجتمع الاسلامـــي كل اشعاع خارجي .

فقد شهدنا في فترات الاجتيـــاح الصليبـــي للحضارة الاسلامية كثيرا من العلماء ولكـــن الارادة الحضارية كانت قد انسحبت في ظلمة ليل .

وحينما افاقت نهضتنا الحديثة على وقع اقدام الاحتلال الاستعماري وجد الرواد انفسهم امام حضارة مائلة في بنائها مترفة برفاهيتها فانزلقوا الى غـــرام بتلك المستحدثات يستوردون سيارة هنا وبرلمانـــا هناك وديمقراطية في تنظيم سياسي وماركسية في ثورة اجتماعية دونما ادراك لطبيعة العوامل التـــي شلت مجتمعنا عن كل تحرك .

وبعد قرن من الزمان تبدو الانتهازية هي المنتصر الاكبـــر .

بينما قضايا التنمية تدور في فراغ عقيـــم ، اذ الانسان المسلم هو الانسان منذ افول النهضة يتحدث بلغة العجز على كل صعيد .

فالحقائق السياسية والاجتماعية لا قيمة لهـــا اذا لم تؤثر على الثالوث الاجتماعي : الاشخـــاص والافكـــار والاشيـــاء .

« فكل حقيقة لا تؤثر على الثالوث الاجتماعـــي للاشخاص والافكار والاشياء هي حقيقة ميتة .

وكل تربية « اجتماعية » تشتـــرك في هـــذا المصير العام فهي لا تعني شيئا اذا لم تكن في الواقع وبما تحمل من معنى وسيلة فعالة لتغيير الانســـان وتعليمه كيف يعيش مع اقرانه وكيف يكون معهـــم مجموعة القوى التي تغير شرائـــط الوجود نحـــو الاحسن دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع ان يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ.

وكذلك كلمة « ثقافة » ليست كلمة فارغة رنانة لو لم تخلع على التربية الاجتماعية المضمون الضروري الذي يتيح لها الاضطلاع بوظيفتها المفيدة،ومن الواجب ان نفكر مليا في هذه المصطلحات لا من طريق الاستعانة بقاموس تمسك به اليد بل من طريق الاستعانة براس مستقر بين اليدين . فليس الامر اذن ان نقـــول ان الثقافة تحتوي بصفة عامة عددا من الفصول هي :

الاخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة الفنية ولكن الامر يقتضينا ان نتساءل : كيف ينبغي ان ندركها في صورة برنامج تربوي يصلح لتغيير الانسان الذي لم يحضر بعد في ظروف نفسية زمنية معينة ، او لابقاء الانسان المتحضر في مستوى وظيفته الاجتماعية وفي مستوى اهداف الانسانية . »

هذا اذن برنامج تربوي يتناول البنية التحتية للمجتمع يرتكز عليه بناء الحضارة . فمشكلتنا في عمومها مشكلة حضارة .

فمالك بن نبي تناول في كتبه المتعددة تناول قضية اعادة البناء الاجتماعي للانسان المتخلف . وهو من هذه الزاوية لا يرى القضية في استيراد نمط ثوري او ديمقراطي صنعته تجربة بعيدة عن عمقنا الاجتماعي والهامنا النفسي .

فهذه المستوردات بلبلت ولا تزال تبلبل التحرك الاجتماعي بما تغفل من معطيات الواقع التاريخي الذي يعيش فيه انساننا المتخلف .

واذا صمتت الافواه عن التحدث بما تعتقد وجدنا سلوكا من الفوضى والتشتت ينتظم اصحاب الشعار التقدمي « والرجعي على سواء » وما ذلك الا لان التحولات الاجتماعية في نطاق العالم المتخلف قد انحشرت في قوالب بعيدة عن تجربتنا الخاصة .

تلك صورة نشهدها في كل يوم ، وقد اضاء فكر ابن نبي جوانبها بما اعطى في مؤلفاته من تحليل دقيق لحركة المجتمع وتطوره .

وابن نبي يطرح الاسلام كقيمة قادرة على استعادة دورها في صنع الانسان .

وهو من هذه الزاوية يضع الحلول في اطار من الفعالية الاسلامية القادرة على التغيير .

هذه الفعالية هي الاوثق في ضمير المسلم المتخلف لانها تبعث في نفسه مسوغات لسلوكه ذات اتصال علوي . وهي ترهف حسه الاجتماعي بقدرة فاعلة تمنحه صلابة الارادة وحكمة العلاقة الاجتماعية وعمق النظرة في اسرار الكون .

وهو من هذا الجانب يمنح الفكر الاسلامي نظرة في عمق التجربة الحضارية تقيله عثرات التقليد والتوقع في معطيات الحضارة الغربية .

وابن نبي من هذا الجانب يمتاز عن سائر ما ادلى الينا القرن العشرين من كتاب ومفكرين عربا و مسلمين ، اذ انطلق من مسببات الحضارة الغربية المسيحية ولم ينطلق من نتائجها وقد اعطته ثقافته المنهجية وعقله الرياضي قدرة على التحليل والتقعيد.

وابن نبي اذ يختار الاسلام لا يجعل اختيارا آخر غير قابل للتطبيق اذا ما توفرت شروط الانبعاث الاجتماعي كما اوضحناه في هذا المقال .

فهذه شروط موضوعية تمس التفاعل الاجتماعي في كل بقعة من الارض . انها شروط التفاعل الاجتماعي في امريكا وروسيا واوروبا . واليابان وهي تبدو في الصين اكثر وضوحا حين يحتدم الجدل حول الثورة الثقافية .

ومن هذه الزاوية نرى في كتب ابن نبي قيمة عالمية لانها تضيف الى الدراسات الانمائية في البلاد المتخلفة آفاقا فاعلة في حل مشكلة الانسان التي هي اولا وقبل كل شيء مشكلة الحضارة .

طرابلس ـ لبنان

رباعيات الامام البخاري : 2

رباعيات البخاري في المتن

أو المتون الرباعية

للأستاذ يوسف الكتاني

تكلمنا فى البحث السابق عن الاسناد العالي وقيمته ثم فصلنا الكلام عن القسم الاول من رباعيات البخاري وهي رباعيات السند ، ونتابع فى القسم الثاني الكلام عن رباعيات المتن.

المقصود برباعيات البخاري فى المتن او المتون الرباعية هي الاحاديث التي تضمنت متونهـا أي قول النبي صلى الله عليه وسلم اربعة امور سواء كانت اوامر او نواهي او حالات او اوصافا او اشراطا او خلالا او تعوذا او دعوات او غيرها وذلك بأن كل متن على أربعة أمور منها مما يجعله حديثا رباعيا من حيث المتن من دون التفات الى سنده او عدد رواته وانما المدار فى أعتباره رباعيا على متنه .

وللتوضيح نورد أمثلة منها :

حديث البخاري (1) (كتاب الايمان) باب علامة المنافق . قـال :

حدثنا قبيصة عن عقبة : قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعهـا » .

1) اذا ائتمن خان

2) واذا حدث كذب

3) واذا عاهد غدر

4) واذا خاصم فجر .

فهذا الحديث الشريف تضمن متنه : اي قول النبي صلى الله عليه وسلم صفات المنافق وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم اربعة خصال وهي : خيانة الامانة والكذب والغدر والفجور وأن من كانت فيه واحدة من تلك الخصال كان منافقا واتصف بصفات النفاق حتى يتركها .

ونجد فى « كتاب العلم » (باب رفع العلم وظهور الجهل) ، حديثا رباعيا فى متنه قال البخاري، حدثنا عمران بن مسيرة قال حدثنا عبد الوارث عن ابي التياح عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من أشراط الساعة :

1 — أن يرفع العلم

2 — ويثبت الجهل

3 — ويشرب الخمر

4 — ويظهر الزنا

(1) الحديث الثالث والثلاثون ، ج : 1 ص : 147 و 150 و 152 .

فهذا الحديث الشريف (2) الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن ذكر اشراط الساعة وهي اربعة كما بينها وعددها رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفع العلم وثبوت الجهل ، وشرب الخمر، وظهور الزنا .

ثم نجد مثلا آخر لهذه الرباعيات في (كتاب مواقيت الصلاة) (باب منيبين اليه) .

قال البخاري (3)

حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا عباد هو ابن عباد ، عن ابي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : انا من هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل اليك الا في الشهر الحرام فمرنا بشيء ناخذه عنك وندعو اليه من ورائنا فقال :

آمركم باربع وانهاكم عن اربع :

1 – الايمان بالله ثم فسرها لهم شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله .
2 – واقامة الصلاة .
3 – وايتاء الزكاة .
4 – وان تؤدوا الي خمس ما غنمتم .

وانهى عن :

1 – الدباء
2 – والحنتم
3 – والمقير
4 – والنقير .

فهذا الحديث اشتمل متنه على اوامر اربعة ونواهي اربع وهي : الايمان واقامة الصلاة وايتاء الزكاة واداء خمس الغنائم ، امر رسول الله الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس أن يؤتوها ونهاهم عن امور اربعة عليهم أن يتجنبوها .

ومن مزايا هذا الحديث ان التصريح وارد فيه بلفظ اربع مما يؤكد رباعيته .

ونورد مثالا رابعا لهذه الرباعيات وهو حديث(4) (في كتاب فضل الصلاة) (باب مسجد بيت المقدس).

قال البخاري :

« حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن عبد الملك، سمعت قزعة مولى زياد ، قال :

سمعت أبا سعيد الخذري رضي الله عنه يحدث باربع عن النبي صلى الله عليه وسلم فاعجبنني وانقتني قال :

1 – لا تسافر المراة يومين الا معها زوجها او ذو محرم

3 – ولا صوم في يومين : الفطر والاضحى

3 – ولا صلاة بعد صلاتين ، بعد الصبح حتى تطلع الشمس ، **وبعد العصر ، حتى تغرب .**

4 – ولا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الاقصى ومسجدي .

فهذا الحديث تضمن اربعة امور حدث بها ابو سعيد الخدري سمعها من شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبته وافرحته فحفظها ورواها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه امثلة اربعة لاحاديث متونها رباعية تضمن الاول منها أربعة خصال للمنافقين واشتمل الثاني على اشراط الساعة الاربعة وتضمن الثالث اربعة اوامر ونواهي وجهها النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس جوابا عن سؤالهم . وتضمن المثل الرابع امورا اربعة سمعها ابو سعيد الخدري من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها عنه ونقلها الى الامة .

هذا ولا نجد فيما نعلم من الكتب التي الفت في رباعيات الامام البخاري والتي لا نعرف عنها شيئا عدا اسمائها واسماء مؤلفيها لا نجد فيها هذا النوع من

(2) الحديث الثامن والسبعون ج 2 ص 59 و 60 ومن لطائفه انه جمع بين النوعين فهو رباعي السند والمتن .
(3) الحديث الخمسمائة وواحد ج 4 ص 176 و177 .
(4) الحديث الالف ومائة وسبعة وعشرين ج 7 ص 17 .
(5) الرسالة المستطرفة ص 97 .

الرباعيات المتعلقة بمتون الحديث « فكتاب رباعيات ابي عبد الله البخاري » الذي شرحه احمد بن محمد الشامي الشافعي فى كتابه « درر الدراري فى شرح رباعيات البخاري » (6)

هذا الكتاب ليس بين أيدينا وليس بموجود حتى نطلع عليه ولكننا نستطيع ان نستكشف ما جاء فيه وأنه يتعلق برباعيات السند من جهتين :

ا ـ ان الذي ذكره واثبته هو الحافظ محمد ابن جعفر الكتاني فى الرسالة المستطرفة وقد نص عليه فى كتب عوالي المحدثين واثر كتب الثلاثيات وهي تتعلق بالسند مما يؤكد ان كتاب رباعيات البخاري يتعلق بالنوع الاول من الرباعيات وهي الاسانيد الرباعية .

ب ـ ويفهم ذلك مما نقله حاجي خليفة فى كشف الظنون عن كتاب شرح الرباعيات درر الدراري بان اوله هو ، الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث استخرجها اي الرباعيات .

ـ من الجامع الصحيح مستمدا من شرح الكرماني وتنقيح الزركشي مع زيادات . (7)

كذلك الامر بالنسبة للكتاب الثاني من الرباعيات وهو « جناح الجناح فى العوالي الصحاح » للبرهان ابراهيم الكوراني والذي ذكره صاحب فهرس الفهارس (8) وترجم له ما نص عليه علي بن سليمان الدمناتي البجمعوي فى فهرسته .

نجد هذا الكتاب ايضا يتعلق برباعيات البخاري فى السند بدليل عنوانه وتسميته « جناح الجناح فى العوالي الصحاح » أوفى عنوانه الآخر « لوامع اللآلي فى الاربعين العوالي » يؤكد ذلك التعليق الذي كتبه الدمناتي المذكور عن الكتاب فى سياق كلامه على عوالي البخاري حيث ذكره اثر الكلام على ثلاثيات البخاري وهي تتعلق بالسند ثم اتى بكلام الحافظ ابن حجر عن عوالي البخاري ودرجاتها الى التساعيات .

قال الدمناتي فى فهرسته (9) .

« ثم برسالة الشيخ الامير قال :

اطول اسانيده التساعيات ، قال محمد بن عبد الرحمان الكزبري أعلى ما للبخاري بصحيحه الثلاثيات كما سبق جمعها ابن حجر فبلغت اثنين وعشرين حديثا ، ثم الرباعيات جمعها الشيخ ابراهيم الملا فبلغت اربعين حديثا ضمها للثلاثيات سماه : « لوامع اللآلي فى الاربعين العوالي » ثم التساعيات وهي انزل ما عنده ... ووضح كلام الدمناتي البجمعوي ان كتاب الكوراني يتعلق برباعيات السند خاصة وقد اورد كلامه عن الكوراني بذلك آخر الثلاثيات بسنده الى الملا ابراهيم الى البخاري ثم ذكر حديثا رباعيات للكوراني وهو حديث انس (10) وبذلك يتأكد اننا اول من كتب عن رباعيات البخاري من حيث المتن او ما سميناه بالمتون الرباعية فى صحيح البخاري واول من استخرجها من احاديث الجامع الصحيح من دون ان ترجع الى كتاب فيها اعتمادا على جهودنا .

ومن لطائف هذا النوع من الرباعيات نجد احاديث جمعت بين النوعين أي رباعية السند والمتن فى آن واحد منها حديث البخاري (11) فى كتاب بدء الخلق « باب وفد عبد القيس » :

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد، عن ابي جمرة قال :

سمعت ابن عباس يقول : قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ان هذا الحي من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلسنا نخلص اليك الا فى شهر حرام فمرنا باشياء ناخذ بها وندعو اليها من وراءنا ، قال :

---

(6) كشف الظنون ج 1 ص 832 .
(7) كشف الظنون ج 1 ص 832 .
(8) فهرس الفهارس ج 1 ص 229 و 368 و 372 .
(9) اجلى مسانيد علي الرحمان فى اعلى أسانيد علي بن سليمان للدمناتي الجمعوي ص 20 .
(10) الحديث 4070 ج 16 ص 189 .
(11) الحديث 4070 ج 16 ص 189 .

آمركم بأربع وانهاكم عن أربع :

الايمان بالله ، شهادة أن لا اله الا الله وعقد واحدة ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان تؤدوا لله خمس ما غنمتم .

وانهاكم عن : الدباء والنقير والحنتم والمزفت .

فهذا الحديث الشريف رواه اربعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هو واضح من سند الحديث كما أن متن الحديث تضمن أربعة أوامر واربع نواهي صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس عندما سالوه ان يأمرهم بأشياء يأخذونها عنه ويدعون اليها عشيرتهم ، فهو حديث رباعي السند والمتن .

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها : علم لا يعمل به ، وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء ، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه الى الآخرة ، وقلب فارغ من محبة الله والشوق اليه والانس به ، وبدن معطل من طاعته وخدمته ، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره ، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربه ، وفكر يجول فيما لا ينفع ، وخدمة من لا تقربك خدمته الى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك ، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا . وأعظم هذه الاضاعات اضاعتان : اضاعة القلب واضاعة الوقت ، فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة ، واضاعة الوقت من طول الامل ـ فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الامل . والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء .



من مضحكات (جولد تسهير) زعمه أن العقيدة السنية تنفي فكرة (السببية) في كل صورة من صورها يقول بالحرف الواحد : (هكذا العقيدة السنية المؤسسة على المبدأ الاشعري ، تبعد فكرة السببية في كل صورة من صورها . . .) (1) .

هذه بطبيعة الحال مغالطة سافرة وتمحك جلي على عادة (جولد تسهير) في كل ما تناوله عن شريعة الاسلام مدفوعا بحقده المعروف ، ومدفوعا في الوقت نفسه من جهات استعمارية معينة اقول هذا — وانا اعلم ما اقول — لان الرجل جرد الاسلام من كل فضيلة ومزية في كتابه (العقيدة والشريعة في الاسلام) (2) كما لو كانت هذه الشريعة لم تتضمن حسنة من الحسنات ، لذا قررت غير ما مرة بأن بحوثه تخلو بتاتا من روح الانصاف وصدق العالم .

وهو بهذا الحكم الصارم ينفي عن عقول المسلمين قدرة الملاحظة للظواهر ، وعملها فيما بينها على روابط محكمة ، ولاجل هذا سأبين بجلاء موقف المسلمين من قوانين الاسباب والمسببات دون الدخول في التعقيدات حول (مبدأ السببية) وفلسفتها ، لانه متعالم مشهور لا يحتاج الى البسط والشرح وسأقتصر على ما فهمه بحق اجدادنا الاوائل عن الترابط بين الاشياء دون ما التركيز على الاشاعرة بالضبط لان (جولد تسهير) اتخذهم منطلقا — كما هي حيله دائما في التآمر على الاسلام — للطعن والتجريح .

ان المسلمين عبر عصورهم قد لاحظوا في الظواهر الطبيعية معجزات الله تعالى المتعددة ، وفهموا تناسقها واعمالها من خلال الاسباب والمسببات ، ومن خلال التلازم المطرد بين العلة والمعلول ، لذلك قالوا . ان النار تحرق ، والماء يروي والارض تنبت ، وغير ذلك وتوصلوا بملاحظاتهم الى ان هذه القوانين لا تتخلف بل تسير على نسق معين محكم ، لكنهم لم يغفلوا امرا اهم من هذا هو ان التلازم بين الاسباب والمسببات تهيمن عليها المشيئة الربانية والقدرة الالهية المطلقة ، واعترافهم بهذه الهيمنة دفع (جولد تسهير) الى ان يختلق اكذوبة ابعاد فكرة السببية من اجل الوصول الى حكم مبتسر هو ان الاسلام يرفض المقررات العقلية الاولى .

---

(1) العقيدة والشريعة في الاسلام ص 132 — 133 — ترجمة د. محمد يوسف موسى ط. 2 .
(2) انظر حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتطور الفقه ، ونمو العقيدة .

اذا استعرضنا القرآن الكريم وجدناه يحفل بالحديث عن هذا المبدأ ويقدم لنا صورا شتى عنه قال تعالى (وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا) (3) . وقال تعالى (وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتنا من كل زوج بهيج) (4) .

فآيات عديدة تتضافر فيما بينها تلفت الانظار الى عجائب الكون ، وتثير اهتمامنا الى ما أودعه الله تعالى فى الكائنات من نظام بديع جميل يعتمد فى ظاهره على مبدأ السببية .

فكيف يغيب عن علم المسلمين الاوائل منذ عصر النبوة المضواع تلازم الاسباب والمسببات ؟ لكن (جولد تسهير) غاظه ان يومن المسلمون بأن الظواهر الكونية منقادة الى الله تعالى تسير وفق مشيئته لا تتخلف ، وانه اذا اراد ان يخرق العادة فليس هناك من سيعوقه عن ان يفعل ما يريد تصديقا لقوله تعالى (افرايتم الماء الذي تشربون . انتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون) (5) وتصديقا لقوله تعالى (ان ربك فعال لما يريد) (6) .

فهم المسلمون — ونفهم نحن اليوم — بدون فلسفات فارغة ، ان الاسباب هي فى ظاهرها مفاتيح منحها الله الانسان يتوسل بها الى ما يريد وليقوم النظام الكوني على قاعدة محكمة ، غير ان فى داخلها السر الالهي المعجز به تترابط وتعمل عملها .

فى الحقيقة ان المسلمين فهموا هذه الحكمة المدبرة للكون فى وقت لم تكن فيه العلوم الفلسفية والتجريبية قد انتشرت ، وادركوا ما فيها من اسرار ، فكتاب الله تعالى بينهم يتلونه ويتمثلونه فى وجدانهم وحياتهم العلمية ، والرسول عليه الصلاة والسلام بينهم يزودهم بالمعارف ، ويبين لهم سنن الله فى الكون ، لذلك عملوا فى الحياة ورفضوا التوكل بالمفهوم الذي عرفه بعض المتأخرين حين اصطلحت عليهم الظروف العصبية من الجهل بحقائق الدين ، فاعتقدوا ان التوكل هو الانزواء عن الحياة ظنا منهم ان ربهم كفل لهم الرزق دون ان يجدوا فى اكتسابه مما ساعد على تخلف المجتمعات الاسلامية ، وجعلها تخلد الى الكسل ، فقل حب العمل والرغبة فى التعمير وتجمدت الطاقة العقلية ولم تعد ترتاد الآفاق العلمية الرحبة وتستشرف مشارف المعرفة الوسيعة.

اقول ان المسلمين الاوائل علمهم كتاب الله ومعه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخذ بالاسباب وجعلهم يقتنعون بأنه أمر ضروري حتى لا تتوقف عجلة الحياة وحتى يتابعوا المسيرة المباركة فى معترك الحياة ، لذلك عملوا بجد وكد وبروح حافلة بالحيوية والنشاط تشد من أزرهم كلمات الله المضيئة ، وتنفخ فى عزمهم ارشادات الصادق المصدوق كلما اصبحوا ، وكلما جنهم الليل ليحققوا ارادة الله فى الحياة ، تلك الارادة التي لا يمكن أن تتحقق الا اذا صحبها التوسل بالاسباب ، قال تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)(7) وقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون (8) ، لذا كان مفهوم التوكل عندهم هو ترك النتائج لله بعد القيام بالواجب والتهيؤ لمواجهة كل الصعوبات والسعي لانجاز المطلوب ، ثم تأتي مرحلة التوكل على الله ، قال تعالى (فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) (9) .

هذا هو الفهم الجيد الحق الذي ادرك به المسلمون سر الحياة وعلاقات الاشياء فى الترابط بين الاسباب والمسببات ، فعملوا وتوكلوا ، لان التوكل لا يتنافى ابدا مع الايمان بالسنن المطردة فى الكون ، وساروا فى مشارق الارض ومغاربها يزرعون النور فى كل بقعة ، ويبذرون الخير فى كل أرض

---

(3) سورة الانعام ، الآية 99 .
(4) سورة الحج ، الآية 5 .
(5) سورة الواقعة ، الآيات 68 — 69 — 70 .
(6) سورة هود الآية 107 .
(7) سورة الانفال الآية 60 .
(8) سورة التوبة الآية 105 .
(9) سورة آل عمران الآية 159 .

متخذين فى ذلك الاسباب مطية لما يريدون تحقيقه من آمال من اجل رفعة الدين وسيادة منهج الله تعالى.

فكيف ــ بالله ــ يتوقح (جولد تسهير) ويزعم هذا الزعم الصبياني مع ان المسالة واضحة ؟ أم أن (جولد تسهير) بما جبل عليه من تعصب يريد أن يجردنا حتى من معرفة قانون الاسباب والمسببات ، لكن الرجل يجهل او يتجاهل لالحاده أن المسلمين هم الذين اجادوا فهم العلاقات الترابطية بين السنن الكونية بفضل كتابهم وبفضل رسولهم حين آمنوا ايمانا راسخا بان وراء الظواهر الكونية قوة مطلقة ــ هي قوة الله تعالى ــ تتصرف بحكمة عجيبة معجزة وتسير الوجود احسن تسيير (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (10) .

وقصارى الكلام ان ما افتراه (جولد تسهير) على الاشاعرة انما هو لأجل ان يجرح المسلمين ليس الا ، ذلك ان الاشاعرة حين جنحوا الى اثبات المدخل الاهلي فى كل امر قصدوا من ذلك الرد على الخصوم الذين تطرفوا فى مجادلاتهم عن الارادة الالهية فكادوا يؤلهوا مبدا السببية ويعزلوا عنها القدرة الالهية (11)

فتبين اخيرا ان (جولد تسهير) اراد ان يثير كعادته زوبعة ولكن التوفيق خانه ــ كما خانه فى كل ما تناوله عن قضايا الاسلام ، فلم تنطل هذه الحيلة على من له المام بشريعة الله .

تطوان : **محمد المنتصر الريسوني**

---

(10) سورة الملك الآية 3 .

(11) لا يتصور عقلا أن الاشياء قائمة بذاتها تنمو وتتولد ، كما يقول دعاة المادية من ماركسيين وغيرهم لأجل اثبات قدم المادة ونفي الخالق تعالى ،وهذه النظرية تدل على قصور فى العقل لا محالة ، ففى سنة 1959 اذاعت وكالة الانباء السوفييتية (تاس) أن الكسندر اوبا رين رئيس معهد الكيمياء فى روسيا بعد بحث 37 عاما قال ان أصل الحياة لا يمكن أن يبدأ من العدم او بالتفاعل الكيميائي او التوالد الذاتي ، كما ان ايجاد الخلية الاولى عن طريق تفاعل كيميائي غير ممكن أبدا ، لذلك فالعلم لا يمكن أن يخوض فيما وراء المادة ، انظر كتاب كبرى اليقينيات للدكتور البوطي ص 103 ط. 2 .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هل من المعصية أن يحب الرجل قومه ؟ قال : لا

ولكن من المعصية أن يعين الرجل قومه على الظلم .



محمد حمادي العزيز

عندما يريد الله الخالق الرحيم ان يخلق انسانا يمتعه بنعمة الوجود والحياة فانما يخلقه للوجود الابدي ، ويمتعه بالخلود الدائم منذ بدئه كفكرة خلقية ايجادية في فكره الالهي ، واثناء مروره بالحياة الدنيا على الكوكب الارضي وانتقاله الى الحياة الاخرى بعد المـوت .

هكذا يبدأ وجود الانسان فكرة خلقية في فكر الله سبحانه وتعالى يقدرها بارادته وقدرته تقديرا ربانيا ، ويسطرها في اللوح المحفوظ (1) .

وهو وجود يبدأ ، كما نرى ، في فكر الله الخالق ذي العلم المطلق !

وفكر الله الخالق الرحيم أقدس حيز وأشرفه واسماه في الوجود اللا نهائي اللا محدود !

وانه لشرف عظيم ان يبدأ الانسان وجوده في فكر الله الخالق الرحيم ، وبارادته ، وتقديره ..

ومن واجبه ان يتبادل في كل حين هذه الهبة الالهية ، ويقدرها قدرها ، ويوفيها حقها المستحق من الشكر والحمد .

ويمكن القول ، حسب هذا ، بأن الانسان مخلوق (او موجود) ابدي دائم ذو ابدية وديمومة جزئيتين متعلقتين بأزلية الله الخالق الرحيم وسرمديته المطلقتيـن .

والكلام عن الخلود مقترن بالكلام عن البعث (2) .

واذا كنا نؤمن بالبعث فلا بد أن نؤمن بالخلود .

واذا كنا نؤمن بالخلود فلا بد أن نؤمن ايضا بالبعـث .

ولهذا كان الايمان بالخلود مرتبطا ارتباطا وثيقا بالايمان بالبعث بعد الموت وما يتبعه من حساب وجـزاء .

والروح (او النفس) تحيا الحياتين الدنيا والآخرة معا بوعي دائم تتفاوت درجات المسؤوليات فيه ايمانيا ، ودينيا ، وثقافيا ، واخلاقيا ، وسلوكيا ، ووجدانيـا .

واذا كانت الروح (او النفس) واعية بوجودها في هذه الحياة الدنيا فهي بعد الموت اعظم وعيا بها وبالحياة الاخرى اثناء مواجهتها للحقيقة الازلية السرمدية الخالدة وقد زالت عنها غفلتها وغشاوتها وخاصة عندما تقف بين يدي الله الخالق تحاسب (3) على ما قدمت في دنياها ، وبيمينها (4) او بشمالها (5) كتابها الذي سجلت فيه جميع اعمالها واقوالها ،

---

(1) مجموعة الرسائل الفرائد : الفصل السادس من « رسالة روضة الطالبين وعمدة السالكين » لحجة الاسلام الامام أبي حامد محمد الغزالي (طوس – خراسان – شمالي شرقي ايران . 45 هـ (1050 م) – 505 هـ (1111) .

(2) يؤمن المسلم بالبعث بعد الموت ، وقد جمع العلامة المغربي سيدي عبد الواحد بن عاشر رحمه الله في أرجوزته الشهيرة « المرشد المعين » جميع ما يؤمن به المسلم في البيتين التاليين :

الايمان جزم بالالاه ، والكتب والرسل ، والاملاك ، مع بعث قرب
وقدر ، كذا صراط ، ميـزان حوض النبي ، جنة ، ونيـران

(3) الآية 18 من سورة الحاقة يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » .

(4) الآيات 7 . 8 . 9 من سورة الانشقاق : « فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا » .

(5) الآية 19 من سورة الحاقة : « فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه » ، والآيات 10 ، 11 ، و 12 من سورة الانشقاق : « وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا » .

وحتى نواياها ، واسرارها ، واخفى من اسرارهـا ، شاهد عليها ينطق بالحق (6) .

وينمو هذا الوعي ويتطور من وعي الصبا والطفولة الى وعي الشباب فوعي الكهولة ثم وعي الشيخوخة .

فالصبي مثلا يولد على الفطرة (7) واسرته هي التي توجهه دينيا منذ نعومة اظفاره بصورة شعورية (مباشرة) وبصورة لا شعوريـــة (غير مباشــرة) وتسميه باسماء المسلمين ، وتربيه تربية اسلامية ، وتلقنه الوعي الاسلامي فى كل حين ومناسبة ، فينشأ ويترعرع مسلما حنيفا على ملة الاسلام ان كانـت اسرته مسلمة وفى بيئة مجتمعية مسلمة .

اما اذا كانت اسرته على ملة او عقيدة اخـرى وتنتمي الى بيئة مجتمعية تسودها هـذه الملـة او العقيدة الاخرى فانه يسمى بالاسماء التي تناسبهـا ويربى بتربيتها ، ويلقن وعيها الديني او العقيدي فى كل حين ومناسبة وينشأ متدينا بها ومعتقدا فيها .

ويتأثر هذا الوعي بعد ذلك بالمعطيات والمؤثرات البيئوية والمجتمعية ، وبالمعرفـة وبالالتزامـات المذهبية والتجارب الحياتية ، وبالتجاوبات العديدة الاخرى مع تيارات الوعي الانسانية المعاصـرة فى العالم وخاصة فى عصر كعصرنا تتجاوب فيه تيارات الوعي،وتتداخل،وتتفاعل بسهولة مدهشة وبسرعة عجيبة

وقد وجد هذا التداخل فى تيارات الوعــي ، وهذا التجاوب بينها ايضا منذ القدم ، منذ بدايـة الوجود الانساني ، وقد بدا بصور بدائية واخذ يتطور تدريجيا ، وهو يتسع فى كل حين باتساع آفـاق المعرفة ,وابعادها وامتدادها اللانهائية اللامحدودية .

وسيستمر هكذا حتى تثوب الانسانيـة الى رشدها ، وتهتدي الى وجود الله ، والايمـان به ، وتتعاون تعاونا انسانيا واعيا على عمـران الارض ، واكتشاف الكون ، ومحاولة تعميره ، وتكـف عـن التعارضات الخطيرة ,والحروب العدوانيـة ، وتخرج من جاهليتها التي تتجدد دائما وترتدي فى كل عهد رداء يلائم روح عصرها ، وتتوحد على هدى وعـي انساني راق فى مفاهيمه ومثله ، سام فى غائيته ، عال فى قيمه واخلاقه وآرائه ومعاييره ومقاييسه .

ومنذ بداية الوجود الانساني بدأ الايمان بالله ، وبدأ دينه الحنيف (8) ، وبدأ معه ، بطبيعة الحال ،

---

(6) الآية 29 من سورة الجاثية : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » . والآية 30 من سـورة آل عمران : « يوم تجد كل نفس ما عملت محضـرا » .

(7) اشارة الى الحديث الشريف « كل انسان تلده امه على الفطرة ، وابواه بعد ، يهودانه ، وينصرانه ويمجسانه ، فان كانا مسلمين فمسلـم » — صحيـح مسلـم .

(8) دين الله الحنيف هو الاسلام .
يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى الآية 67 من سورة آل عمران : « ما كان ابراهيـم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين » . وفى الآية 78 من سورة الحج : « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكـم وتكونا شهداء على الناس » . ودين الله الحنيف بدأ مع سيدنا آدم ابى البشر ، واستمر مع الانبيـاء والرسل : شيث ، وادريس ، ونوح وغيرهم ، وعززه سيدنا ابراهيم الخليل عليهم جميعا ازكـى السلام ، وختمه ودعمه سيدنا محمد (ص) .
ويقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريـم فى الآية 19 من سورة آل عمران : « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبـل منــه » سورة آل عمـران الآيـة 85 .
وهو سبحانه وتعالى يرضى لنا الاسلام دينا فيقول فى الآية 3 من سورة المائدة : « اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسـلام دينـا » .
واليهودية والمسيحية فى اصالتهما الاولى قبل ان يلحقهما التحريف تعتبران من دين الله الحنيـف الاسلام ، وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى الآية 13 من سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبـر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » .
وشاءت ارادة الله الرحمن ان تصطفى سيدنا محمدا ص. ليرث عن جده الاعلى سيدنا ابراهيـم الخليل دين الله الحنيف الاسلام ويتممــه ويكملـه .
والاسلام دين الله الحنيف دين المحبة ، والاخوة ، والسلام ، والتعاون ، واليسر .

الايمان بالبعث بعد الموت وبخلود الروح (او النفس).

وعند ما بدأت الفلسفة واخذت تتابع بجراة مسيرتها الطويلة التي تتقدم دائما في طريق المعرفة الانسانية شرع الفلاسفة يقولون بخلود الروح (او النفس) .

ولقد تقدم دين الله الحنيف الفلسفة وسبقها ، ولا بد ان يتقدمها ويسبقها لان الدين دين الله، ومنزل من عنده وبامره ، وتشهد على ذلك الكتب الالهية (السماوية) كلها ، و « الفضل للتقدم » كما يقول القول العربي المشهور .

وفي بداية الوجود الانساني تجلى الله الخالق للانسان الاول سيدنا آدم ابي البشر ، وعلمه دينه الحنيف فكان اول انسان مؤمن مسلم واول نبي رسول (9) .

وابناء الانسان المؤمنون بالله ، وبدينه الحنيف يؤمنون بسيدنا آدم ، ويصدقون قصته ، اما الذين لا يؤمنون منهم فانهم ، دون شك ، يعرفون أشياء كثيرة من الحقائق والاخبار المتعلقة بسيدنا آدم ، ويقصونها كحقائق ، او كاخبار ، او كمجرد قصص ، وهذا في حد ذاته يعتبر تصديقا به ، وبقصته ان لم يمكن اعتباره ايمانا به .

ويعد هذا كافيا لتأكيد تقدم دين الله الحنيف للفلسفة وسبقه لها (10) .

وهو يدل دلالة واضحة على ان فكرة خلود الروح (او النفس) في الفلسفة استمدها الفلاسفة واخذوها من دين الله الحنيف ، وشرعوا بعد ذلك يبحثونها ، ويجتهدون في فهمها ، وسبر أغوارها ودراستها كل حسب مداركه ومبلغه من المعرفة ، وحسب التأثيرات البيئوية او المجتمعية او السياسية (العقائدية والايديولوجية والمذهبية) التي يخضع لها .

ولكل فيلسوف ، بطبيعة الحال ، فيها اراؤه التي قد توافق آراء الاخرين ، او قد تختلف معها اختلافا صغيرا أو كبيرا .

وخلود الروح (او النفس) في الفلسفة عند الفلاسفة الذين يؤمنون به يختلف عن خلودها كما ورد في دين الله الحنيف .

فخلود الروح (او النفس) عند بعضهم لا يقترن بالبعث والحساب والجزاء باستثناء المتدينين منهم ، وبخاصة فلاسفة المسلمين .

والخلود عند بعضهم الآخر يختلف عن هذا ، فهم يرون انه يكون هنا في هذه الحياة الدنيا ، ويربطونه بالسعادة (11) .

اما خلود الروح (او النفس) كما ورد في دين الله الحنيف فهو يقترن ويرتبط بالبعث والحساب والجزاء (12) .

---

(9) راجع قصة سيدنا ابراهيم في القرآن الكريم وهي موجودة كذلك في التوراة « في سفر التكوين ، (الكتاب المقدس ــ العهد القديم) .

(10) ارسل الله سيدنا موسى في القرن الثالث عشر ق. م. ولم تبدأ الفلسفة في صيغها المعروفة لدينا كفلسفة الا في بداية القرن السادس ق.م. بطاليس الميليتي اول فلاسفة اليونان واول حكيم من حكمائها السبعة ، ورئيس المدرسة الفلسفية الايونية التي قامت في مستعمرة ايونية بتركيا على ساحل البحر الابيض المتوسط .
وقد سافر طاليس الى بلدان الشرق الاوسط وزار بابل (العراق) وكانت مركزا حضاريا وثقافيا عظيما حينذاك ، وتعلم في مصر علوم عصره ، وتخصص في الرياضيات والفلسفة .
وبمقارنة التاريخين ، تاريخ بعثة سيدنا موسى مع تاريخ بداية الفلسفة اليونانية يتضح لنا سبق دين الله الحنيف للفلسفة ، ويؤكد تأثيره فيها، وقبل بعثة سيدنا موسى بعث الله سيدنا ابراهيم الخليل .
ونرى بوضوح تأثير دين الله الحنيف من جهة ، وتأثير ثقافات وعقائد الشرق الاوسط وبخاصة ثقافة مصر وثقافة بابل (العراق) في الفلسفة اليونانية التي تزعمت الفلسفة الانسانية كلها في عالمنا من جهة ثانية .

(11) احدهم الفيلسوف أبو بكر محمد بن باجة (سرقسطة 475 هـ ــ فاس 533 هـ) ــ راجع كتاب « من الكندي الى ابن رشد » للدكتور موسى الموسوي ص 195 .

(12) يوضح القرآن الكريم هذه القضية في آيات عديدة .

واذا تأملنا هذا القول المأثـور : « اعمـل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » تأملا عميقا يتضح لنا انه يدعو المسلمين الى العمل لسعادة الدارين ؛ الدنيا والآخرة ، والخلـود فيهما معا ، في الاولى بالعيش الهنـي ، وبالذكـر الطيب في التاريخ عند الناس مدى الاجيال والازمان وفي الآخرة بالخلود في النعيم المقيم الدائم في الجنة.

واذا كانت الفلسفة لا تلتزم بالديـن في حالات عديدة فهي تلتزم بوجود الله الخالـق ، وتؤكـده ، وتؤمن به ، وتدعو الى الايمان به ، وهي تبعا لهـذا تقول بخلود الروح (او النفس) .

ويمكن ان نفهم ان سكوتها عن ذكـر البعـث والحساب والجزاء ناتج عن عدم التزامهـا بالديـن لسبب من الاسباب التاريخيـة او الاجتماعيـة او السياسـية ، او لسـبب آخر مهم جدا بالنسبة لهـا وهي ضمان حريتها ، وتأمين استقلالها عـن الدين .

ومهما كانت الاسباب فلا بـد من العـودة الى الظروف التاريخية التي بدات فيها الفلسفة لنفهـم كيف بدأ عدم التزامها بالدين .

فالفلسفة ، كما هو معلوم ، بدات في اليونان ، في بيئات اجتماعية وسياسية تسودهـا الوثنيـة والكهانة والاساطير ، ويسيطر عليها الكهان ، وتعبد فيها الكواكب والاوثان ، ويؤله الانسان .

وكانت النزعات اللا شعورية (13) هي التـي تحكم في توجيه الحياة عند اغلب السكان ، واعقبتها النزعات الشعورية (14) بعد مدة طويلة ، اما الوجدان (الضمير) فلم يكن له وجود حقيقي الا عند قلـة ممتازة نادرة منهم .

في هذه الظروف جاءت الفلسفة لتلعـب دورا عظيما في توجيه الافكار والعقول الى الحقيقة والبحث عليها ، وارشادها الى وجود الاه واحد حق ، ازلـي وسـرمدي ولا نهائي ، والى الفضيلة والى خلود الروح (او النفس) ، وهذا في حد ذاته مهـم جـدا ، وذو قيمة انسانية ثمينة تشكر عليهـا ، وخاصـة بالنسبة لتلك العهود .

واذا رجعنا الى التقييمات العلمية التي وضعت لفلسفة تلك العهود لألفيناها لا تقل فيما بلغته مـن سمو وشموخ عن التقييمات التي وضعت للفلسفـة الحديثة بشتى مذاهبها وافكارها التي تسـود في عصرنـا هـذا .

ويمكن اعتبار عدم التزامها بالدين راجعـا الى عدم الاقتناع بدين من الاديان السائدة في ذلك الزمان، وخاصة العبادات الوثنية او الفلكية .

وتبين محاكمة الفيلسوف سقراط (15) بأثينا باليونان واعدامه تأثير هذه الظروف ، وتؤكد لنـا سببا من اسباب عدم الالتزام بالدين ، فهو قد اتهم بالتهـم الآتيـة :

— انكار لآلهة اليونان — دعوته الى الاه واحـد لا تعرفه الميثولوجيا (16) اليونانية .

— افساده لعقائد الشبان اليونانيين اذ كان يدعوهم الى التوحيد بدل التعدد .

ان قضية محاكمة سقراط رقت بالفلسفة رقيا عظيما ، وهي تؤكد اهمية الدور الذي لعبته في توجيه الافكار والعقول الى الحقيقة والى الايمان بالله الخالق في ذلـك الزمـان .

لقد كان سقراط ، كما نرى مؤمنا بالله ، ولكنه كان غير متدين بدين الله الحنيف ، وكان فاضلا يدعو

---

(13) عبـد اليونانيون في القرنين السابع والسادس ق. م. الالاه ديونيزوس،وهو الاه وثني لا شعوري اتصفت عبادته بالنزعات الشيطانية الشهوانية الفاجـرة .

(14) وعبدوا كذلك الالاه ابولو ، الاه الشمس ، والنور ، والطب الذي يشفي النفوس وهو الاه وثنـي شعوري يمتاز بالاشراق والصفاء والعقل .

(15) سـقراط : (470 — 400 ق. م.) فيلسوف يوناني كبير من أثينا ، كان يؤمن بوجود الاه واحد حق ويدعو الى الايمان به ، ومات شهيد ايمانه به ودعوته الى الايمان بـه .

(16) الاساطير اليونانية تمجد تعدد الالهة والعبادات الوثنية والفلكية وغيرهـا .

الى الفضيلة ، ويلتزم بها سلوكيا ، كما كان يدعو الى ترك الرذيلة ويلتزم ايضا سلوكيا بهذا الترك .

والفضيلة فضيلة منذ كان وجود الانسان على ارضنـــــا .

والرذيلة رذيلة منذ كان وجود الانســـان على ارضنـــا ايضـــا .

ودين الله الحنيف يدعو الى الفضيلة والتحلي بها ، وترك الرذيلة ونبذها .

ودين الله الحنيف تقدم الفلسفة وسبقهـــا ؛ والفضيلة الدينية تقدمت بدورها تبعا لهذا الفضيلة الفلسفية (العقلية) وسبقتها .

ويعني هذا ان الفلسفة التي استمدت فكـــرة خلود الروح (او النفس) من ديـــن الله الحنيـــف استمدت منه ايضا الفضيلة وناقشتها فلسفيا (عقليا) والتزمت بها سلوكيا .

وكذلك الشأن بالنسبة لترك الرذيلة ونبذها .

وتأمر الفضيلة الدينية بمعاملة الناس معاملة حسنة (17) وبالصدق في تقديم النصيحة اليهم (18)

وهو نفس ما تأمر بـــه الفضيلـــة الفلسفيـــة (العقلية) تقريبـــا .

فاذا عوض سقراط وامثالـــه من الفلاسفـــة المؤمنين عبادة دين الله الحنيف بالنجوات والتأملات والابتهالات الفردية الخاصة مع الالتزام بالفضيلـــة الفلسفية (العقلية) افلا يكون موقفهم هذا مماثـــلا لدين الله الحنيـــف ؟ .

اذا كان الامر هكذا فان سقـــراط وامثالـــه سينالون عند الله الجزاء الاوفى ، وتخلـــد روحـــه وارواح امثاله في النعيـــم مثل ارواح المؤمنيـــن المتدينين بدين الله الحنيف .

ومن العدل ان تقدر لرجل مثـــل سقراط عاش في القرن الخامس ق. م. في وقت كانت يهوديـــة موسى عليه السلام قد اصابها التحريف ، وقبـــل « مسيحية عيسى عليه السلام ، وقبل اسلام سيدنا محمد (ص) ايمانه بوحدانية الله الخالق ، وبخلـــود الروح (او النفس) ، وبالفضيلة في حين يوجـــد كثيرون في عصور ما بعد المسيح عليه السلام ومـــا بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ما يزالـــون يشكون ويفترون بالافكار الالحادية الزائفة ، ويتأثرون بالمظاهر الزائفة .

ومن العدل ايضا ان تقدر للفلسفة خدماتهـــا الجلية للايمان بوحدانيـــة الله ، وبخلـــود الـــروح (او النفس) ، وبالفضيلة في اشخاص الفلاسفـــة المؤمنين فلقد حلت محل دين الله الحنيف عند غيابه بينهم ، ونابت عنه في القيام بالتزاماته .

وما ذا يخاف بعد الموت في الحياة الاخـــرى انســـان آمن بالله الواحـــد ، وبخلـــود الـــروح (او النفس) ، وبالفضيلة ، والتـــزم بها التزامـــا سلوكيا في حياته ، وتجنب الرذيلة وتخلى عنها ؟

وتقدم لنا الفلسفة في شخص سقراط وامثاله مثلا من الامثلة الحية الرائعة في الدعوة الى الايمان بالله وبخلود الروح (او النفـــس) ، وبالفضيلـــة واجتناب الرذيلـــة .

ومن الناس من يهتدي الى الايمان بالله بدعوة دين الله الحنيف .

ومنهم من يهتدي اليه بطريق التأمل الفلسفي ، وبالقراءات او المناقشات او الدعوات الفلسفيـــة والعقليـــــة .

ومنهم من يهتدي اليه بالعلم وتجاربه التطبيقية .

ومنهم من يهتدي اليه بالسياحة والتجوال في البلـــدان .

ومنهم من يهتدي اليه بطرق واسباب اخرى .

والهداية كانت دائما من الله واليه مهما تعددت اسبابها وطرقها واشكالها .

ولهذا يجب ان تكون اسباب الهدايـــة الى الله الخالق والدعوة الى الايمان به كثيرة ومتنوعة ليهتدي خلق الله اليه ، ويومنوا به بسهولة .

---

(17) اشارة الى الحديث النبوي « الدين المعاملة »

(18) اشارة الى الحديث النبوي « الدين النصيحة » .

ويعرض على الله الخالق يوم القيامة عند البعث من آمن به ومن لم يومن ، ومن آمن بالبعث والحساب والجزاء ، وبخلود الروح (او النفس) بعد الجزاء ، ومن آمن بخلودها دون بعث او حساب او جزاء ، ومن آمن بخلود هنا فى الدنيا فقط كما يعرض عليه سبحانه وتعالى من لم يؤمن باية حقيقة من هذه الحقائق .

ويكون البعث يوم القيامة بعثا عاما ، شاملا جامعا ، لجميع الناس ، لا فرق بينهم فى دين او لون، او جنس ، او زمان او مكان ، او لغة او لهجة ابتداء من الانسان الاول سيدنا آدم عليه السلام الى آخر انسان فى الحياة الدنيا .

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم : « وعرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ا حصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك احدا » (19) .

فلنتصور الآن عظمة الله الخالق الذي يبعث من القبور ويحاسب ويجازي على صعيد واحد جميع ابناء الانسان فى كل عصور الوجود الانساني من جميع الاعتقادات الدينية ، والانتماءات العقلية والفلسفية ، والنزعات المذهبية والطائفية ، وجميع النوايا والرغبات والشهوات والافعال ومنهم المتخاصمون والاعداء وذوو القضايا والمشاكل المعقدة الشائكة جدا .

ويكون يومئذ الحكم الفصل هو حكمه الالهي ، فهو القاضي الاوحد فى ذلك اليوم العسير ، ويحكم بالعدل المطلق المجرد ، ولا يظلم أحدا .

ودين الله الحنيف تنزيل من الله الخالق الرحيم ، وتجل من تجلياته الربانية على العالمين ، اما التفكير التأملي الفلسفي (العقلي) فانه نزوع صاعد من عقل الانسان للبحث عن الحقيقة والمثل العليا .

والفضيلة الالهية الدينية كما امر بها الله الخالق الرحيم هي الفضيلة الحقة لانها فضيلة الاهية، وهي المعتمدة اعتمادا ربانيا فى الحساب والجزاء حين البعث .

والالتزام بالفضيلة الالهية الدينية يساعد على تزكية الروح (او النفس) ، وصفائها وارتقائها روحيا فى معارج الارتقاءات الروحية .

وكل مؤمن مسلم ينشد هذه التزكية ، ويروم هذا الصفاء ويبتغي رضوان الله الخالق الرحيم .

وهكذا يتضح لنا ان الحديث عن الروح (او النفس) وخلودها حديث ديني ، وصوفي وفلسفي (عقلي) ، ومثالي .

وترقى « الصوفية الفلسفية والمثالية » حتى تقارب الصوفية الدينية او تصبحها وتكونها او تكاد كما هو الحال فى قضية سقراط وأمثاله .

وتتسع الصوفية الدينية حتى تشمل وتستوعب الصوفية الفلسفية والمثالية كما هو الشان فى حالة الصوفي الفيلسوف محيي الدين بن عربي الحاتمي وامثاله .

+ × +

راينا فيما تقدم ان الروح تبدأ وجودها فكرة خلقية ايجادية (الوجود التقديري) فى فكر الله الخالق وعلمه الالهي تنتظر أمر الكينونة بخلقها لتحل فى جسمها فى الحياة الدنيا (الوجود الحسى) وهي بعد الموت تخلد دائما ابدا .

وخلودها بعد الموت حين البعث والحساب والجزاء تكون فى الجنة ان كانت مؤمنة من أصحاب اليمين ، او فى الجحيم ان كانت كافرة من اصحاب الشمال .

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى حق المؤمنين وأصحاب اليمين :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » . (20)

---

(19) الآيتان 48 ، 49 من سورة الكهف — راجع كتابا من كتب التفسير فى هذا الشان .
(20) الآيتان 107 ، 108 من سورة الكهف .

ويقول سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى حق الكافرين وأصحاب الشمال :

« ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيه أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا » (21) .

وفى القرآن الكريم آيات اخرى توضح هـذه القضية توضيحـا بينـا .

وتنص هذه الآيات القرآنية على خلـود الروح (او النفس) ، وكيفيته ، وظروفه نصا الاهيا (قرآنيا) صريحـا واضحـا .

ان خلود الروح (او النفس) من خلـود الله الخالق سبحانه وتعالى .

فمن خلوده الالهي الازلي السرمدي المطلـق تستمد خلودها الانساني الدائم الابدي الجزئـي .

لقد وجدت بوجوده الالهي وتخلد بخلوده .

اما عندما تكفر وتتدنس ، وتكون من اصحـاب الشمال ، وتطغى عليها الصفات السفلى والنزعـات والرغبات الدنيا ، فانها ــ عكس الحالة الاولى ــ تكون ابعد حالا ومقاما منه سبحانه .

وهي واعية بمصيريها هذين ، ومسؤولة بوعيها عن اختيار مصيرها بهدى من الله الخالق .

ومن مسؤوليتها ان تعني بخلودها ، وبعثهـا ، وحسابها ، وجزائها وعيا دينيـا ، ووعيـا عقليـا (فلسفيـا وعلميـا) .

ومن مسؤولية الائمة الواعين ان يسهلوا لكـل روح (او نفس) أسباب وعيها الدينـي والعقلـي بالتوعيات الروحية الدينية والعقلية المستمرة .

ويتضح لنا من هذا ان خلود الروح (او النفس) فى الحياة الآخرة بعد الموت يوم البعث والحسـاب والجزاء يتوقف على وعيها الديني والعقلي (الفلسفي والعلمي) فى الحياة الدنيا ، وان مصيرها يتعلق على اقتناعها بوجـود الله واختيارهـا الايمـان به ، وبدينه الحنيف ، والالتزام بما فيه وبالفضيلة الالهية او العكـس .

وبين ما هو الاهي ديني منـزل من عنـد الله الخالق وبأمره ، وبين ما هو عقلي (فلسفي وعلمي) انساني صادر من عقل الانسان يجب ان يختار كـل انسان عاقل رشيد دائما ما هو الاهي ديني أنزله الله وامر بـه .

اما ما هو عقلي (فلسفي وعلمي) صادر مـن عقل الانسان فينبغي ان يستخدم لتأكيد ما هو الاهي ديني وتدعيمه ، والتمهيد له فى كثير من الحالات .

ان الانسان العاقل الرشيد يجب ان يختار الله الخالق الرحيم ، وما انزل من عنده وبأمره وان يرجو ويطلب خير ما عنده .

ــ ولمـاذا ؟

لان الحقيقة الالهية والدينيـة من عنـد الله الخالق تختلف عن الحقيقة العقليـة (الفلسفيـة والعلمية) الصادرة من عند الانسان ، فعلم الله علم مطلق يقيني ، اما علم الانسان فعلم جزئـي نسبـي وتقـريبـي .

والعقل الانساني يتصور الحقيقـة كما يظـن ويتخيل ، او كما يريد ، او يستطيع تصورها وكذلك شأنه فى وجود الله ، والايمان به ، وبخلود الروح ، والفضيلة ، وغيرها من القضايا .

اما الله سبحانه وتعالى فيتجلى للانسان تجليا صريحا امرا معلنا انه هو الله الذي لا الاه الا هـو ، خالق كل شيء فى كثير من الآيات البينات فى القرآن الكريـم .

ولذا كانت الحقيقة من عند الله حقيقة ثابتـة ثباتا ابدا، لا تتغير ولا تتبدل فالله دائما هو الله الواحد الخالق ، ودينه الحنيف هو دائما دينه الحنيـف ، والفضيلة التي يأمر بها هي دائما نفس الفضيلـة ، وخلود الروح (او النفس) كما بينه سبحانه وتعالى وشرطه بالبعث والحساب والجزاء هو نفسه دائمـا ايضـا .

وتميل روح الانسان الى الايمان بالثابت الدائم الواضح الصريح ، والاعتقاد بالخالد المستمر الذي لا يلحقه التبديل والتغيير .

---

(21) الآيتان 64 ، 65 من سورة الاحزاب

ومن البديهي والطبيعي ان يتدعم الايمان الحق بالله على الحقيقة الالهية الازليـــة السرمديـة وعلى الحقائق الدينية الثابتة المستقرة التي لا يمكـــن ان يلحقها شك او ريب ، او ينال منها اى باطل او تحريف أى منـــــال .

اما العقل الانساني وان بذل ما يستطيع بذله من جهود توخيه الدائم المستمـر المثابـر لنشـدان الحقيقة الصرفة المجردة ، وتصورها التصور القيم ، المثالي ، الفاني ، ومعرفتها ، وصياغتها الصياغـــة المطلوبة او المقبولة فانه معرض للخطأ ، لانه عقـــل مخلوق ، ينسى ، ويغفل ، وقد يصاب بكثير او قليل من اسباب التعب والوهن والضعف والمرض او اى مؤثر آخر من المؤثرات او المكيفات .

ويعني هذا ان الحقيقـــة التي يتوصـــل الى ادراكها تكون فى بعض الحالات والاحيان او اغلبهـــا حقيقة مكيفة خاضعة لتأثير ما من التأثيرات البيئوية (المجتمعية) او الشخصية او غيرها .

والتجارب الحياتية والتاريخية توضح لنا هذا وتؤكـــده .

وعليه ، فما دام الامر هكذا فان الواجب يقضي ان يعتمد الانسان الواعي على الحقيقة التي انزلها الله الخالق ، ويؤمن بها ، ويلتزم بأوامرها ووصاياهـــا ، ويتجنب نواياها لانها صادرة من الله الخالـــق ، ذي الكمال المطلق فى كل شيء وعلمه هو العلم المطلق ، وعقله الالهي هو العقل المطلق الذي لا يمكن ، ولـــن يمكن ان يصيبه اى سبب من اسباب التعب او الوهن او الضعف او المرض او اى مؤثر آخر من المؤثرات والمكيفات التي تصيب العقل الانساني .

كما يجب ان نؤمن برسل الله وانبيائه ، ونثق فيهم ، لانه سبحانه اختارهم واصطفاهم .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان دين الله الحنيف ، الاسلام ، هو الدين الحـــق الابـــدي الدائم ، وان الفلسفة لها اغراض ، وحدود ، وتكيف تكيفات خاصة (مجتمعية او شخصية) لانها فلسفة صادرة من العقل الانساني المخلوق الذي يصـــاب بأسباب التعب والوهن والضعف والمرض وغيرها .

ومن حق كل انسان كائنا من كان ، ان يتفلسف لان هذا حق وهبه الله الخالق ، ومنحته اياه حريـــة الفكــــــر .

وان الله الخالق هو الذي يحيي ويميت ، وهو الذي يبعث من فى القبور ، وهو قادر على ان يسوي بنـــان كـــل انســـــان .

اما اى فيلسوف ، كائنــــا من كان ، فانـــه لا يستطيع لنفسه نفعا ولا ضرا ، وان ما يتوصل اليه من نتائج اثناء بحثه عن الحقيقة لا يعدو ان يعد مجرد اراء شخصية ، او وجهة نظر خاصة فى قضية ، او قضايا ، معينة ، تتغير وتتبدل بمـــرور الزمـــان ، وتؤثر عليها عوامل التطور .

وينبغي ان تؤخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار اثناء قراءة كل راي من اراء الفلاسفة او غيرهم مـــن العلمـــاء .

وهذه الملاحظات لا تبخس قيمة العقل الانساني ابدا ، ولكنها تضعه فى مكانه اللائق به كعقل انساني مخلوق

ولهذا يجب على العقل الانساني الواعي أن يخدم الحقيقة فى اطار الايمان بالله وبدينـــه الحنيـــف وبالفضيلة الدينيـــــة .

ويؤكد لنا هذا ان الفلسفة الحقـــة لنا نحـــن المسلمين ولسائر العالمين هي الفلسفة القرآنية لانها تجليات وتنزيلات ربانية من الله الخالق الرحيم .

فعلى هذا يكون القرآن الكريـــم ، كتـــاب الله المنزل على سيدنا محمد (ص) ، هـــو المرجـــع الروحي الاصلي والاعلى للمسلمين وسائر العالمين ، فيه الحقيقة الروحية الصادقة التي لا يمكن ان يلحقها التبديل او التغيير .

---

(21) فكر الله الخالق اسمى حيز فى الوجود اللانهائي اللامحدود ولعل الفيلسوف ابن سينا قصـــد هذا المعنى فى مطلع قصيدته العينية المشهورة فى الروح والنفس .

هبطت اليك من المحل الارفـــع ورقـــاء ذات تعـــزز وتمنـــــــــع

والورقـــاء : الـــروح (او النفـــس) .

وخلود الروح (او النفس) فى الاسلام يبـدأ بالوجود التقديري فى فكر الله الخالق والمسطور فى اللوح المحفوظ ، وبالوجود الحسي فى الحياة الدنيا، ويتعلق بالبعث والحساب والجزاء بعد الموت .

وعلى العقل الانساني المسلم الواعي ان يبحث الروح (او النفس) وخلودها ، وما يتعلـق بها من قضايا فلسفيا وعلميا ونفسيا واخلاقيا فى هذا الاطار الروحي (المذهبي ان شئنا) الذي قرره الله الخالق وامر به فى دينه الحنيف الاسلام .

ونحن اليوم فى امس الحاجة الى كتب حديثة تتناول موضوع الـروح (او النفس) فى الاطـار المذهبي الروحي الذي امر به الله الخالق فى دينـه الحنيـف .

وهذه مهمة لا يمكن ان يضطلع باعبائها الجسيمة الا علماؤنا الافاضل الاجلاء .

ولقد وجد دين الله الحنيف الاسلام فى الامام ابى حامد محمد الغزالي العلامة الفيلسوف الصوفي خير مدافع عنه فى القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي) ، افلا يجد من ينتصـره فى القرن العشرين ويدعو اليه ؟ .

ان التفكير الفلسفي يجب ان يكـون سلاحـا يستخدمه ائمة الدين فى تدعيم دفاعهم عن دين الله الحنيف الاسلام ، وكذلك الشأن بالنسبـة للعلـوم النفسية والاجتماعية وغيرها .

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالجدل ، ودفع الحجة بالحجة فقال فى القرآن الكريم : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن » (22) .

والآداب التي اوصى الله المسلمين باتباعها فى الجدل مع اهل الكتاب ينبغي اتباعها ايضا مع غيرهم .

والجدل يتطلب الفلسفة ومعرفـة مذاهبهـا ومدارسها ومناهجها ، وهو الفلسفة ذاتها بما يصدر عنه من دلائل ، وبراهين ، ونتائج او يمهد لها .

ولهذا يجب علينا ان نجادل دائما بالتـي هـي احسن كما امرنا الله ، وان نلتزم بهذا الامر وان كان الحق معنا وفى جانبنا .

واذا تأملنا تاريخ حياة الانسانية الروحي منذ وجودها على كوكبنا الارضي نجده دائما ينقسـم الى قسميـن :

— الاول : يضم فريـق المؤمنيـن بالله ، وبدينه الحنيف ، والملتزمين بالفضيلة الدينيـة او الفضيلة المثالية (العقلية والفلسفية) القريبة منها، وهم اصحاب اليمين .

— والثاني : يضم فريق المشركين الكافرين بالله ، وبدينه الحنيف ، ولا يلتزمون بالفضيلة وهـم اصحـاب الشمـال .

وتاريخ حياة الانسانية الروحي فى هذه الحياة الدنيا يعيد نفسه فى الحياة الآخرة بعد الموت .

ومهما كانت الظواهر فان الله الخالق الرحيـم وحده العليم بالسرائر ، والمطلع على خفايا ومكنونات الصدور والعقـول .

فرب من ظن انه كافر ضال قد يكون مؤمنا بارا حنيفـا .

ورب من يتظاهر بالايمان قد يكون بالعكس كافرا ضـالا .

ومنذ بداية الوجود الانساني تعايش الايمـان بالله وبدينه الحنيف وبفضيلته مع الكفر والشرك به ومع الرذيلة بجميع انواعها .

وتواجدت منذ ذلك التاريخ القديم ايضا مـع الرشد الانساني الوضاء ، الجاهلية الانسانية الرعناء.

وسيستمر هذا التوازي بين التعـايش بيـن الايمان بالله ، وبدينه الحنيف ، وبفضله وبين الكفر به ، وهذا التواجد بين الرشـد الانسـانـي وبيـن الجاهلية الانسانية الى ما شاء الله .

والتاريخ فى جميع العصور يؤكـد لنا هـذه الحقيقة الانسانية الروحية وما يعانيه ابنـاء الانسان من جراء هذا التناقض الخطير فيها .

ونعرف اليوم جيدا الحياة الروحية فى عصرنا هذا الحديث المتقدم جيدا فى النصف الثاني مـن القرن العشرين ، وما تعانيه من ازمات حادة بسبـب الطغيان الجارف للافكار والمظاهر والدعوات المادية التي يدفعها دفعا عارما فى تياراتها .

ولهذا يجب ان نجادل بالتي هي احسن لتدعـم تعاليم دين الله الحنيف الاسلام ولنثبت اركان الحياة الروحية الاسلامية كمـا قررهـا الله الخالـق فى القـرآن الكريـم .

والعلـم الحـق للـه وحـده .

---

(22) الآيـة 46 من سـورة العنكبـوت .

تقرأ في العدد القادم

- الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ـ 9 ـ للاستاذ عبد الله كنون .
- الاسلام والنصر للواء الركن محمود شيت خطاب .
- الامير ابو عبد الله العالم وندواته الادبية (2) للاستاذ سعيد أعراب .
- عرض لكتاب التاريخ والسير للاستاذ المهدي البرجالي .
- نقد التحليل الماركسي للفلسفة الاسلامية للاستاذ محمد العربي الناصر .
- تاريخ شالة الاسلامية للدكتور عثمان عثمان اسماعيل .
- مصعب بن عمير : فاتح المدينة بالقرآن وحامل لواء الرسول يوم احد للاستاذ انور الجندي .
- الروح وصفاؤها للاستاذ محمد حمادي العزيز .
- ملامح شخصية : الحاج علي عواد للاستاذ محمد بن الطيب العلوي
- التفتح الاموي واثراء الفكر العربي بالاندلس للاستاذ الحاج احمد البوعياشي .

دراسات مغربية

- جهاد واتحاد
- عن الظاهرة الجزائرية
- نماذج من أدب الصحراء
- دفاعا عن الاسلام والمغرب والمنصور



جهاد واتحاد

للأستاذ محمد بن تاويت

من نعم الله على هذا الشعب انه يعصوصب فى كتلة واحدة اذا ما حز به الامر وأحدق به الخطر ، فيهب هبة الزوبعة المعصرة ، ويقوم قومة الرجل الواحد ، ويمتثل القولة الحكيمة «عند الشدائد تذهب الاحقاد».

عرفنا هذا وقد تعرضت البلاد لاكتساح البرتغال، فى العهد الوطاسي ، وعرفنا هذا فى العهد السعدى وهؤلاء البرتغال ، يتقدمون بملكهم لخوض المعركة بوادى المخازن، ثم عرفناه فى اواخر ذلك العهد حينما امتدت يد الاسبان الى بعض ثغورنا ثم واجهناه فى فجر العهد العلوى المجيد .

حقيقة ان الدولة ، لم تكن شرارتها الاولى ، الا منبعثة من «التحدى» ولكن سرعان ما استقر الامر لها، حتى كان هذا الشعب ينضوى بكليته تحت لواء المولى الرشيد ، الذى لم يلبث ان ادرك الرسالة الحقيقية ، التى ينتظرها منه هذا الشعب المتلهف لاسترجاع ورمنه ، كاملة غير منقوصة، والتى لم تزده الايام الا تأجيجا لشعلته وتاريثا لناره .

فما كان من المولى الرشيد الا ان بدأ يفكر ويعمل بكل جهد وقوة ، للاضطلاع بهذه المهمة التى يشرئب لها الوطن ورجاله قاطبة. هذا الاستعداد لخوض المعركة الحاتمة ، هو الذى جعله لا يأذن للسفير الانجليزى للاتيان لتهنئته بعاصمة ملكه ، عن طريق البر ، حتى لا يطلع على هذا الاستعداد الذى كان سينال بقسط منه ، هؤلاء الانجليز الذين منحهم الغاصبون طنجة ، منذ بضع عشرة سنة خلت .

ولبى المولى الرشيد نداء ربه ، وتلقى الراية منه اسماعيل باليمين ، فجهد فى قوة وعزم ، لتتميم الرسالة المنوطة به ، وكاد سعيه ذلك يكلل باليوم الذى يكمل فيه تخليص اطراف البلاد من النير النصرانى ، اسبانيه وبرتغاليه .

وطال الصمود وتحققت جل الجهود ، ولكن اسماعيل العظيم انتقل الى جوار ربه ، وبعض الاطراف ما زالت بيد الاسبان والبرتغال، وتوزعت كلمة الامة بعده ، بعامل الفتن الداخلية لا الخارجية، وتحارب الاخوة ، وانهمك رجالهم فى القتال ، الذى لم يجرؤ به اولئك الجاثمون على الامتداد او الاستحواذ على شبر من الارض يضيفونه الى الرقعة التي بأيديهم .

وما خمدت جذوة النزاعات والمداهمات لاولئك الاخوة ، وتربع على دست الملك المولى محمد بن عبد الله ، حتى اتجه لاتمام تلك الرسالة ، رسالة التحرير الشامل ، فاستخلص «مازكان» من يد البرتغال ، وسماها الجديدة ، وتوجه بجيوشه الى مليلية لاستخلاصها من الاسبان ، واشتد الحصار عليها ، الحصار الذى كان سيشتد ـ لا محالة ـ على سبتة بعد خلاص مليلية ، وعودتها الى حظيرة الوطن .

غير ان الدبلوماسية ، وقفت حجر عثرة فى هذا السبيل ، فاحترمها المولى محمد ، مراعاة لبنودها التى امضاها سفيره الغزال، ففك الحصار على مضض، وبقيت الامة تنتظر فرصة اخرى ، صامدة عازمة على فك قيود ثغورها وسواحلها ، مهما كان الامر عسيرا.

وتولى المولى اليزيد ، فاستجاب لصرخة الشعب الذى التف حوله ، وتوجه به الى استخلاص سبتة ، التى كانت ستستجيب له كذلك ، لولا التحول الذى حدث ، وأودى بحياته ، فتغير المجرى ، وسكت الصوت الى حين .

نعم ، سكت الصوت ، ولكن العزم لم يفتر ، ولكن القصد لم يحل ، فجاء احتلال الجزائر من الفرنسيين ولم يطل الامر بهم حتى كان المولى عبد الرحمن ، يوجه بجيوشه الجرارة ، وأعتدته الوافرة ، تحت قيادة فلذة كبده الامير محمد ، لنجدة عبد القادر الجزائري الثائر كما يسميه ابنه ، في كتابه تحفة الزائر . فاشتبك الجيشان مع الفرنسيين ، وشاءت الاقدار ، ان ينهزم جيشنا ويفقد عتاده في المعركة ، التي لم يستفد منها الا غيره ...

وعاد الامير محمد بفلوله ، ومرض ابوه مرض موته ، والمغرب يتعرض لامتحان آخر اقسى من سابقه .

ذلكم ان هذا الامير ، ما تربع على كرسي السلطنة التي توفي صاحبها حتى كان يواجه حربا أخرى ضد الاسبان المهاجمين . هؤلاء الذين لم يرد عمه المولى سليمان ، ان يعترف لاخي نابليون ملكا عليهم ، مقابل تسليمه سبتة ومليلية وغيرهما اليه ، فاجتمعت الجيوش ، من جديد ، وما فت في عضدها الكسرة التي أصيبوا بها منذ سنة واحدة فقط ، وتحمس الشعب وشمر عن ساعده ولكن القدرة خانته ، فتغلب الخصم ، وأذعنت الدولة للصلح ، على تعويض مالي تؤديه بارهاق عظيم .

ومع هاتين الغلبتين ، اللتين منيت بهما جيوش المولى محمد ، أميرا ثم ملكا ، فانه لم يستسلم للواقع ، وصار يتهيأ للمستقبل الذي لم يحجبه اليأس ، فكان يعد جيشه اعدادا حديثا ، وينسقه تنسيقا يستجيب للعصر ، كما كان يعد للمملكة بعده اميرا كان ساعده الايمن ، المولى الحسن الاول ، فسار هذا الامير ، منذ تربعه على العرش ، سيرة ابيه ، في عمل دائب وسعي حثيث لادراك الغرض الذي استهدفه اجداده وآباؤه الكرام .

فعمل على تقوية الكيان السلطاني بكل عزم وسخاء ، فالجيش يعد بأحدث الاعتدة ، والبعوث توجه الى الخارج للتزود بالعلوم الحديثة المختلفة ، ودور السلاح تبنى في الداخل لتسعف البلاد بما هي في حاجة اليه ، وجهات من الجنوب تسترد من غاصبيها في رفق وسخاء كذلك .

ثم البعوث الدبلوماسية ، توجه الى جميع الدول الاوربية ، لشرح وجهات النظر فيها ، للملوك والرؤساء الذين تلقوا الهدايا مهما تلقوا من مختلف القضايا ، فتحرك بعضهم وقبع آخرون ، لا يعنيهم الا جامات المصالح يكرعونها ، ولا يهنيهم الا كؤوس الاطماع يحتسونها ، وعقدت المؤتمرات الدولية ، وقال الملك في نهايتها قولته القرآنية «انما اشكو بثي وحزني الى الله» .

واستمر الملك المجاهد ، في جهاده الاصغر والاكبر حتى لبى نداء ربه ، بعيدا عن عاصمة ملكه ، محتسبا لله وكفى بالله شهيدا .

وامتحن الشعب امتحانه العسير ، وكانت نقرات التاريخ ، تتحول الى اصداء صاخبة مصمة للآذان ، مزلزلة للافئدة ، حتى كانت الواقعة ، التي - بحمد الله - لم يفقد المغرب رشده فيها ، ولم يقع تحت وطأة الاستسلام ، كما وقع غيره بها ، بل تشبث بسيادته ، التي فرضت عليها الحماية مبدئيا ، وان اتسع نطاقها نهائيا ، فكان هذا النطاق ، غلا لها لفظت به نفسها الاخير ، وسيقت به الى الخارج .

ان الموقف البطولي الذي وقفه هذا الشعب ، ازاء كرامته ، ليجعل الانسان يطأطىء رأسه له اجلالا واحتراما وتبجيلا .

لقد رأيناه يقف مع اصحاب الامر ومع من ينازعهم هذا الامر على السواء ، ولكن ذلك يتحقق دائما وفي حقب التاريخ المغربي ، وفي جل الدول القائمة به او الطارئة عليه ، من اسرة الاسلام ، ادارسة ، وفاطميين ، وامويين ومن خلفهم من دول الطوائف ، ثم الموحدين والمرينيين والسعديين وأخيرا العلويين ، كل هؤلاء خاض الشعب المغربي ، في غمار احداثها ، وخضل سيفه بالمنازعات التي نجمت فيها .

ولكنه ما جال بسيفه ، وذب به عن من استنجد بجيوش العدو النصراني . فمحمد المتوكل السعدي ، وهو الملك الذي افضت اليه المملكة بارث من أبيه ، وقف الى جانبه المغاربة ، كما وقف الى جانب عمه عبد الملك مغاربة كذلك ، وهو ينازع ابن اخيه السلطان .

غير ان المتوكل ، ما سولت له نفسه الاستنجاد بالملك النصراني ، ضون سبستيان البرتغالي ، وجاء معه يجر قوى النصرانية الكاسحة ، حتى انفض عنه المغاربة ، وانحازوا الى عمه بالاجماع ، ولم يجد الى جانبه الا ذلك الفقيه المتورط معه . فوقعت معركة المخازن بين النصرانية والاسلام ، قتل فيها النصارى

فى جانب المتوكل ، ولم يقتل فيها من المغاربة الا المتوكل نفسه وفقيهه ، ولا احد غيرهما عرف صريعا فى هذا القبيل المستصرخ ، وأصبح عبد الملك الذى نازع السلطان الشرعي ، بطل الموقف والى جانبه أخوه المنصور ، الذى خلفه فيه .

وجاء دور ابن المنصور المامون ، الذى كان ولي عهد ابيه في حياته ، ثم صار بعد موته ، أحد الاخوة الثلاثة الذين توزع الملك بينهم . ونشبت الحروب الطاحنة ، بين هؤلاء ، وانضم اليهم ابن المامون عبد الله ، فكان المغرب مسرحا لمعارك شتى دارت رحاها بين فاس ومراكش . ولم تقف هذه الرحى ، الا حينما التجا المامون الى الاسبان ، وملكهم فليبي الثالث ، فامده بعشرات الالوف من النصارى والمتنصرين واحتل بهم بعض ثغور المغرب ، ولكن المغاربة نبذوه ، فتوقفت رحى تلك المعارك توقفا ما . وقتل المستصرخ وطرح فى العراء مكشوف العورة، ولم يجد بجانبه احدا ، فواراه التطوانيون التراب ، الذى استحقه ، كما استحقه المشركون فى غزوة بدر ، حيث أمر النبى بمواراتهم فى القليب .

وبهذا كفى الله المؤمنين قتالهم فيما بينهم ، وخفت صوت ذلك الامير الشديد الشكيمة والعنيد المراس عبد الله بن الصريع ولم يبق حوله الا عرب شراكة التلمسانيين .

وكان الامير سيستقر فى نصابه ، لولا نجوم بعض الطامعين فى الملك وبعض المرابطين ، الذين تحاربوا فيما بينهم ، كما حاربوا الملك الشرعي زيدان ومن اتى بعده ، فكانت المواقع تتلوها الاخرى ، لا تفتر يخوضها المغاربة من الاطراف المتناحرة جميعها .

نعم ، ان المامون الموحدى ، فيما مضى ، اتى بجيش اسبانى مسيحى ، ليتغلب به على ابن اخيه يحيى بن الناصر الذى بايعه الموحدون بعد أن بايعوا المامون وخلعوا بيعة أخيه العادل ، ثم تخوفوا المامون فبايعوا يحيى .

غير أن المامون هذا أتى بجيش اسباني مسيحى لا مساس له بكرامة الدولة ، فكان هذا ، كما ياتى بأعتدة اجنبية وأسلحة يزود بها جيشه ، فلم تكن لهؤلاء سيادة يبتزونها منه ، ولا كانت لهم شروط يملونها على المامون، يقتضون بموجبها احتلال بلاد لانفسهم فتصبح تابعة لاسبانيا ، كما فعل سميه

المامون السعدي الذي مكنهم من ثغر العرائش فاصبح محتلا بجيش اسبانى ، مقتطعا من الرقعة المغربية خارجا عن نطاق السيادة للبلاد ، ولهذا لم يقف الامر عند هذا الحد ، بل رأينا سنة بعد سنة ، خطر هذا الاحتلال يمتد حتى المعمورة ، أو المهدية التى اصبحت تهدد باقى الثغور المغربية .

فاتخاذ المامون الموحدى للجيش الاسبانى ، كان لا يختلف كثيرا عن اتخاذ المرابطين لذلك الجيش فيما قبله ، فلم يجد رجال المغرب فى ذلك غضاضة ولا رأوه مخلا بالدين وتعاليمه ، بخلاف ما اقدم عليه المامون السعدي الذي جوبه بغضبة عارمة من الشعب الابى ، فتعرض به رجال المداهنة والملق الذين أفتوا بحله ، ثم وافوا المحتلين بحجر بادس ، للفتك بهم ، وقد عاجوا من تهنية المامون وشكر الطاغية بالحجر المذكور ، فلم ينج منهم الا القاضى ابن ابى النعيم ، الذى احترمه القوم ، لما بدا به من زى القضاء، وليتهم ما فعلوا، جزاء المداهنة والنفاق.

فشتان بين هؤلاء العلامين الذين أفتوا للمامون السعدى، لما استفتاهم (هل يجوز له ان يفدى اولاده (الذين خلفهم رهينة فى اسبانيا) من ايدى الكفار بهذا الثغر (العرائش) ام لا ؟ بقولهم :

ان فداء المسلمين سيما اولاد امير المومنين، سيما اولاد سيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم ، من يد العدو الكافر ، باعطاء بلد من بلاد الاسلام له ، جائز..؟)

وبين اولئك العلماء الخلص ، الذين استفتاهم ابن عمه المتوكل، لما استصرخ بملك البرتغال، فاجابوه :

فيا لله ويا لرسوله لهذه المصيبة التي استحدثتها وعلى المسلمين فتقتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد ، ثم لم تتمالك ان القيت بنفسك اليهم ورضيت بجوارهم وموالاتهم ، كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم» ان أمير المومنين يوسف بن تاشفين اللمتونى، رحمه الله، استفتى علماء زمانه ، رضى الله عنهم ، وهم ما هم ، فى استنصار ابن عباد الاندلسى بالكتابة الى الافرنج ، على ان يعينوه على المسلمين فاجابه جلهم رضى الله عنهم ، بردته

وكفره ، فتأمل هذا مع قضيتك تجدها احروية ، مناسبة لقضية ابن عباد فى عقدها ابتداء..)

وكان المتوكل ، كابن عمه هذا ، قد اتفق مع البرتغال، على تمكينهم من دخول ثغر اصيلا، واعطائهم بلاد الاسلام ، كما يقتضيه ما اشترطه سبسطيان من سائر السواحل المغربية ، ومنها ما كان السعديون قد استنقذوه من البرتغال فى الجنوب والشمال .

فما فعله المامون السعدى مع فيليبى الثالث ملك اسبانيا والبرتغال ، مثيل ما فعله ابن عمه المتوكل مع صنو سبسطيان ملك البرتغال ، وكان الموقف الشعبي واحدا ، فتعرض لغضبتهم المفتون بحلية الاستنصار بالاعداء ، فقتل بعضهم بالقرويين فيما بعد ومن قبل جرد الآخرين وسلبوا حتى ثيابهم ، وهم عائدون من حجر بادس ، كما سلف .

اما موقفهم من المتوكل ، فزيادة على موقف علمائهم ، قد توج برقعة وادى المخازن الخالدة، التى فقد بها البرتغال ملكهم وتاج ملكهم ، بل فقدوا بلادهم التى استحوذ عليها فيليبى الثانى ، وورثها منه ابنه فيليبى الثالث .

اذن فالقضية فى جوهرها ليست استخدام جيش مسيحى ضمن الجيش الذى تهيمن عليه سيادة البلاد، وانما هى فى تمكين الاجنبى من بقعة وطنية ، تنفصم بذلك عن باقي التراب المقدس عند المغاربة اجمعين ، والا فالسعديون استمروا فى استخدام مختلف الاجناس النصرانية بمدفعياتها وأساطيلها فلم يعترض عليهم بل ان اولئك المرابطين الذين حاربوا رجالهم كانوا يستمدون بعض العون من تلك الاجناس مثل المرابط العياشي والنقسيس والدلائي .

وانطلاقا من هذه النقطة ندرك سر الانتفاضات العارمة التى كانت محطات لقافلة السير التاريخى ، فى هذا البلد الابى ، منذ عرف نفسه ، وعرفه الناس، حق المعرفة فاكبروه ومجدوه .

لقد كانت حادثة اصيلا ثم العرائش كما تقدم ذات اصداء اهتزت لها اركان البلاد من اقصاها وادناها فى الدولة السعدية .

وجاءت دولتنا العلوية وحصل فيها من النزاع ما حصل فى غيرها ، ووجدت الملوك والامراء ، الى جانبها الرجال والاموال والسلاح ، ولكن المغرب ، ما تدخل فى شأنه العدو الاجنبى ، فابعد ملكه وأجلس دمية من بيت الملك ، حتى هب المغاربة الاحرار ، وحتى ضربوا بقوة الامثال فى البطولة والفداء والتضحية ، مما جعل قوى العدو الغشوم العنود ، تقذف باشلائها فلا تفيدها شيئا فى الداخل ، ثم تقذف بها خارجا مدحورة مغلوبة ، تجر معها ذيول الخيبة والهزيمة والعار الى الابد .

وبذلك ردت السيادة الى اصحابها ، فى شموخ واباء منهم،ومن شعبهم المناضل المناهض ، المنتفض لكرامته والمقتنص لعداته ، ثم جاءت قضية صحرائه المغصوبة ، فكان غضوبا لهضمه حقه فيها، واقفا الى جانب ملكه ، المؤيد بالله ، موقف المجاهد المضحى بكل نفيس وغال قائما فى قضيته قومة الرجل الواحد ـ كما قلنا ـ لا فرق فى ذلك بين مختلف احزابه، ومفترق نزعات غيرها، من المحايدين فصاروا جميعا ، بعدما كانوا طوائف شتى ، لا فرق بين المتعلم والجاهل والحضرى والبدوى ، وكان شلال المسيرة الخضراء يولد طاقة واحدة من هؤلاء الامشاج هى طاقة الشعب المغربى ـ والشعب المغربى معتز بملكه ـ لا فرق فيما بينه ، فكانت المسيرة الصيحة الكبرى للمغرب الاكبر .

وبها تراجعت زحوف الاستعمار المسيحى ، وانجزر مدها ، واخيرا غاض خضمها فى سحقة العزم فتطهرت الصحراء، من احياء النصرانية وأمواتها ، واذا بالوطن ، قد اكتملت فى جنوبه ، سيادته باسترجاع أراضيه ، وتحققت معجزة القرن العشرين بيد المغاربة الميامين وملكهم العظيم ولم يبق الا ما ينقصه فى شماله ، وهو فى همته ما لانت قناته وما فتر عزمه، منذ الامد البعيد ، وسيظل بتلك الصرامة وذلك العزم الى ان يحقق مبتغاه ويضم الى اقاليم الشمال ما اهتضم منها ، فى غابر الزمان ، فلن يهدأ بال هذا الشعب الا بالسيادة الكاملة الشاملة للبلاد بكل اصقاعها والعزة الممتدة على جميع ارجائها ..

وما موقفنا اليوم من قضيتنا ولو طال بنا الامد الا موقف الغاصبين فيما مضى من قضيتهم «الاسترجاع» فانتهت الى غايتها بعد ثمان مائة سنة اتسمت بالصراع العنيف والنزال المرير، لا هوادة لها كانت فى تلك ، كما لن تكون لنا هوادة فى هذه . ولله العزة ولرسوله وللمومنين .

محمد بن تاويت

عن الظاهرة الجزائرية

للأستاذ المهدي البرجالي

لعله لم يكن هناك من يتصور قبل خريف سنة 1963 ، ان الجزائر هذا البلد الذي كان لم يمض عليه الا سنة وبضعة اشهر ، حينما احرز على استقلاله ، سيشتبك في مواجهة مسلحة قوية ـ وان كانت قصيرة الامد ـ مع اشقائه وجيرانه المغاربة ، الذين كانت دماء شهدائهم من أجل القضية الجزائرية بالذات ، لا تزال لم تجف بعد ، وكانت معالم التدمير الواقع في اقاليمهم الشرقية ، نتيجة لغارات القوات الاستعمارية على تلك الاقاليم ، تحت ذريعة حق المتابعة ، ما زالت ماثلة للعيان ، كما لم تكن قد طويت حينئذ ، صفحات المعاناة الطويلة التي تحملها المغرب في مجموعه ، سواء على الصعيد العسكري او الديبلوماسي او الاداري ، أو السيكولوجي ، في نطاق مساندته ـ لقضية اولئك الاخوة ، الذين وجد نفسه مشتبكا معهم .

كانت مواجهة 1963 ـ بحق ـ مفاجاة لجميع اولئك الذين لم يكونوا مستعدين لتوقع تقلب درامي مثير وسريع في العلاقة بين اخوة القرابة والجوار ، ورفقاء السلاح ، مثل ذلك التقلب الذي جعل الجزائريين يحولون فوهات بنادقهم مباشرة من ساحة المعركة مع الاستعمار ، الى ديار اشقائهم ، وجيرانهم ، مطلقين النار على نفس الديار التي كانت مأوى امينا لهم ساعة معركتهم مع الخصم الاستعماري ، ومركز استعداد وتحرك وكر وفر وحرية مطلقة في العمل والتصرف .

على ان من كان من المراقبين الدوليين ، قد لاحظ قبل تلك المواجهة ، عنف السلوك الجزائري في مناطق الحدود الجنوبية الشرقية مع المغرب ، غداة اعلان استقلال الجزائر مباشرة ، ربما لم يندهش كثيرا من المواجهة التي حدثت سنة 1963 ، لان ذلك السلوك كان في حد ذاته أكثر من مفاجاة بالنسبة للمغرب نفسه ، الذي كان قد أقر اثناء حرب الجزائر من اجل التحرر ، اتفاقا مع حكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة يعترف فيه الاشقاء الجزائريون بمبدا المشاكل الترابية التي احدثها الاستعمار في مناطق الحدود بين البلدين ، وحق المغرب في المطالبة بتصفية تلك المشاكل ، مع ارجاء البت في الامر ، الى ما بعد استقلال الجزائر .

ويبقى السؤال قائما لامد طويل : من كان المسؤول عن تلك التوترات المبكرة التي وقعت في فجر استقلال الجزائر على الحدود الجنوبية الشرقية للمغرب ؟ وعلى من تقع مسؤولية البادىء في المواجهة المسلحة ، التي شهدتها الحدود المغربية الجزائرية على طولها سنة 1963 ؟

غير ان السنوات التي تلت المواجهة ، قد قللت ـ بالتدريج ـ من اهمية الجواب على السؤال ، بعد ان دخلت العلاقات المغربية الجزائرية ـ طوال الستينات وأوائل السبعينات ، في طور من الهدوء والسكينة ، جعل الكثير من المراقبين ينظرون

ساعتئذ الى الشمال الافريقي ، على انه واحة مسالمة واعتدال ، بالنسبة لما كانت تعرفه العلاقات العربية في المشرق من توترات ناجمة عن الخلافات بين دول المنطقة .

لكن ، ماذا كان في خلفية ذلك الهدوء الذي خيمت مظاهره على جو العلاقات المغربية - الجزائرية؟

ان واقع العلاقة بين الاقطار المغربية في الوقت الحاضر ، كفيل بالاجابة - ضمنيا - عن هذا السؤال لارتباط الحاضر على صعيد المنطقة بالماضي القريب ، وتداخل العوامل وتشابكها فيما بين - فترة سابقة ، وفترة لاحقة :

فما هو واقع العلاقة الان بين المغرب وشقيقتيه تونس وموريطانيا ؟

بديهي ان هذه العلاقات تقوم مثالا نموذجيا لما يجب ان يربط بين الاخوة من صلات التفاهم والتواد والتآخي والصفاء ، وكذلك كان - قبل الان - حال العلاقات بين الاقطار المغربية الثلاث ، تفاهما وتواد وتآخيا وصفاء .

اما الموقف الجزائري من المغرب في الوقت الراهن ، فقد تجاوز - كما يعرف الجميع - نطاق التوتر ، والمواجهة المحدودة مثلما وقع سنة 1963 ليتخذ الان صبغة عداء صاخب ومرير ، ملأت اصداؤه ، الافاق الدولية ، وشغل لمدة طويلة ، المحافل الاممية والمنظمات الجهوية ، وكافة أوساط الرأي العام العربي والاسلامي والافريقي .

وقد يظهر غريبا ان يتخذ التناقض بين المغرب والجزائر فجأة هذه الصورة الراديكالية بعد سنوات الهدوء الطويلة في علاقة البلدين ، وبعد ان تعددت في ظل ذلك الهدوء ، محاولات ايجاد اسس للتعاون والتناسق بينهما سواء في الاطار الثنائي ، او في اطار المغرب العربي ؟

الحقيقة ان الامر ، ولو انه يبدو غريبا من اول وهلة ، فانه قد يفقد هذه الغرابة في اعين المراقبين اذا ما تجاوزوا سطحية الهدوء الذي كان موجودا من قبل ، ونفذوا الى عمق الخلفيات التي كانت قائمة وراء ذلك الهدوء ، وفي هذه الحال ، سيجدون انه كان يكمن وراء ذلك الهدوء عاملان متناقضان ، الا انهما متفقان في كونهما كانا يساعدان على تجميد عوامل التوتر عند حد ، واطالة أمد المسالمة القائمة عندئذ ، أطول فترة ممكنة .

العامل الاول ، عامل الرغبة التي ما برحت تراود المغرب في تجاوز دواعي الخلاف بين الاشقاء، وامتصاصه ، وذلك عن طريق مد جسور التفاهم بينهم ، والتماس صيغ للتعاون ، باعتبار ان ذلك مؤد الى تذويب التناقضات بين البلدين الشقيقين ، في غمرة المؤالفات والموافقات التي تكون نشأت لديهما في ظل ذلك التعاون ، وهذا ما كان يدعو المغرب الى الاغضاء ما امكنه عن كل ما يبدو له من عدم تلاؤم الجزائريين معه ، متشبثا بالحرص على رعاية مظهر الوفاق الظاهري القائم حينئذ بينه وبينهم وتعهد ذلك المظهر ، وتلميع نصاعته ما وسعه الامر .

العامل الثاني، وكان مضادا للاول، ويتمثل فيما سار عليه الجانب الجزائري من سلوك يتراوح بين التظاهر بالوفاق والتعاون ، وبين العمل على تجميد اية مبادرة تعاونية حقيقية ، واستهلاك الوقت وتمريره في ظل اقوال تطلق حول المغرب العربي ، مع استبعاد كل تناسق بين المجموعة المغربية ، سواء في مضمار العلاقات الاقتصادية بين وحداتها وفي نطاق علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع مناطق العالم الاخرى .

ومهما كان الحال ، فقد ظل الهدوء مع ذلك مخيما على جو العلاقات المغربية الجزائرية طوال معظم نصف العقد الماضي ، واوائل العقد الحاضر ، وكان ذلك - في حد ذاته - مظهرا طيبا ، وان يكن بلا فاعلية ، في تطوير حالة المسالمة القائمة حينئذ ، الى حالة تقدم على طريق بناء المغرب العربي ، او بعث ارهاصات مبشرة بالشروع - على الاقل - في ذلك البناء .

+ × +

وشهدت سنة 1974 ، دخول قضية النضال القومي المغربي من اجل تحرير الصحراء مرحلتها الحاسمة .

وقد كان طرفا الصراع الوحيدان في القضية ، هما ، المغرب وموريطانيا من جهة ، واسبانيا من جهة اخرى ، وكان أكيدا حتى في أحرج ساعات ذلك

الصراع ، ان القضية ستجد حلها الطبيعي بتراجع القوة الاستعمارية مثلما يحدث دائما في مثل هذه الاحوال عندما تشعر قوى الاحتلال ، بانه لم يعد امامها سبيل سوى تسليم الامر لاهله والعودة من حيث اتت .

وذلك ما حصل بالفعل .

لكن ما حصل ايضا ، هو ظهور الجزائر في نفس الظرف كتيار مضاد ، يسير في اتجاه تأخير ساعة جلاء الاجنبي الدخيل ، والعمل على خلق أوضاع بالمنطقة ، يتعرقل بها تحرير الصحراء ، واستكمال المغرب لوحدة ترابه .

لقد كان الموقف ، موقف الجزائر هذا غريبا بحق ، لكن يتعين على المراقب ان يرجع الى الوراء ، الى تلك الفترة من الهدوء في العلاقات المغربية الجزائرية ليجد جذورا لذلك الموقف ، تتجلى في ان ذلك الهدوء ـ كما ذكر من قبل ـ لم يكن يعكس اية حالة مسالمة حقيقية ، وانه لم يكن الا عبارة عن فترة من الترقب والتربص التكتيكي ، ريثما تحين المناسبة للاشتباك مع المغرب في نزاع جديد ، اذا ما ظهر ان هذا المغرب ، سيخطو خطوة واحدة الى الامام في طريق استكمال وحدته .

لقد تعلل الحكم الجزائري بغير ما تعلة ، لتبرير الموقف الذي اتخذه من المغرب غداة دخول بلادنا في المرحلة الفاصلة من اجل تحرير الصحراء ، الا ان تلك التبريرات لم تستقر أبدا على قرار مقبول ، واستمرت تدور في دوامة من التناقضات لا حد لها ، الى ان اخذ يظهر ان الجزائر قد استغنت في النهاية عن تلك التبريرات ، لتتمسك اخيرا بموقفها ضد وحدة التراب المغربي ، دونما اعتماد على تبرير .

وكان من المقولات التي روجوا لها عند البداية في تفسير موقفهم ، كثير من الكلام اطلقوه حول دول « مهتمة » بالصحراء الى جانب الدول المعنية بالقضية ، وما درى احد في الحقيقة بوجود دول « مهتمة » بالمنطقة ، الا ما كان من الجزائر التي ارادت ان يكون لها هذا الاهتمام ، كما لم يدرك احد كذلك أسباب الاهتمام الجزائري بالموضوع ، ولا المنطق الذي تقوم عليه قاعدة اهتمام من هذا النوع .

ثم انتقلوا في مرحلة تالية الى الترويج لاسطورة التهديد الموجه للثورة الجزائرية دون ان يكتشف احد معنى هذا التهديد ؟ ولا كيف حصل ؟ وما وسائله ومسوغاته ؟ ومن غير أن يدرك لماذا لم يقع الشعور بهذا التهديد الا بعد رحيل قوات الاحتلال الاجنبي عن الصحراء ، لا قبل ذلك ؟

وفي مناقضة لمقولتهم هذه ، ذكروا عن المغرب انه ضعيف ، ولم يفهم الناس كيف يوفقون بين وصف بلد بالضعف ، والخشية منه كقوة مهددة .

ثم روجوا بعد ذلك أو أثناءه ، لاطروحة « شعوب المغرب العربي » طاردين في نفس الوقت عشرات الآلاف من ابناء الشعب المغربي من الجزائر .

واوردوا اقوالا كثيرة ، حول المؤامرات الاستعمارية عليهم ومحاربة الاستعمار ، وفي خلال ذلك ، كانت استراتيجيتهم في مناواة المغرب بالصحراء ، تنبني كلها على التواطؤ مع غلاة الاستعماريين بالمنطقة ، وتنسيق الخطط معهم ، والسعي الحثيث لتاجيل تصفية الاستعمار في عين المكان .

وبينما كانوا يرددون ـ في اطروحاتهم حول السياسة الدولية ـ القول عن ضرورة تطهير حوض البحر الابيض المتوسط من عوامل التوتر الدولي ، واستبعاد مظاهر النفوذ الاجنبي في المنطقة ، كانوا منهمكين ـ عن طريق مناواتهم لقضية المغرب بالصحراء ـ في خلق بؤرة للتوتر الدولي في غربي البحر المتوسط ، تنعكس على مناطق ابعد مدى في الحوض المتوسط ، ويسهل بها انفتاح مجالات واسعة لتسرب التدخلات الاجنبية في المنطقة .

ولم يفتهم في حملاتهم هذه وقبلها ، أن يلوحوا بما يعتقدونه من انهم طليعة العالم الثالث ، والحال انهم لم ينسجموا لا مع العالم العربي ولا الاسلامي ولا الاسيوي ولا الافريقي في موقفه المؤيد للمغرب في قضية الصحراء ، ولا مع العالم الثالث ككل ، أو عالم عدم الانحياز كما تجلى ذلك في مؤتمر «كولومبو» الاخير .

تناقضات شتى ، مما أوقع الحكم الجزائري فيه نفسه حول الصحراء ، دون أن يكون له في الامر طائل .

تناقضات لا داعي لاستهلاك الوقت فيها ، وهناك من القضايا المصيرية التي تشغل العالم العربي

والاسلامي والافريقي ، ومن حدة المنعطفات التاريخية التي تمر بها حياة الشعوب فى كافة العالم الثالث ، ما يكفي لصرف الطاقات المتوفرة كلها ، وبذل الجهد المذخر جميعه ، اسراعا بوتيرة العمل على حل مثل هذه القضايا ، واجتياز مثل هذه المنعطفات :

قضية فلسطين المتأرجحة بين الحل السلمي ، وحل الحرب .

مشكلة الاستعمار الاستيطاني ، والنظم العنصرية فى القطاع الجنوبي من القارة الافريقية .

المعضلات الخاصة بالامن الدولي ، واشتداد حدة التناقض — فى ازمة الشعوب المستضعفة — بين حاجتها لتكريس مواردها المحدودة لاغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبين الاضطراب الذي يقودها الى تخصيص جزء هام من هذه الموارد لاغراض الدفاع ، نتيجة لتصاعد مخاطر التسلح فى العالم ، وازدياد الاتجاه لاستعمال القوة فى حل المنازعات الدولية .

وعلى صعيد المغرب العربي :

البناء الاقتصادي والاجتماعي للشعوب المغربية

تنسيق السياسة التجارية الخارجية ، وما يتعلق بها ، لتأمين قدرة المغرب العربي فى مجابهة المنافسات الدولية على الصعيد التجاري ، واقامة جبهة متماسكة ومؤهلة لتحقيق مزيد من الرخاء والازدهار لشعوب المنطقة .

مواجهة انعكاسات التضخم العالمي ، واختلال الموازين الاقتصادية فى العالم — على المنطقة —

فهلا وجد الذين يبذرون الوقت والجهد تبذيرا ماساويا فيما يعتبرونه قضية الصحراء ، داعيا ، لصرف الامكانيات التي يبذرون ، نحو العمل على مواجهة مقتضيات البناء والانماء ، متضافرين فى الامر مع جيرانهم ومع كافة شعوب العالم الثالث التي يرتبط مستقبلها فى الواقع بما تحققه من منجزات،لا بما يصطنع بينهما من خلافات ومنازعات ؟.

> المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،
> والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .
>
> **حديث شريف**



للأستاذ
شبيهنا حمداتي ماء العينين

قد يكون من الصعب ان لم يكن من المستحيل الاحاطة بكل جوانب موضوع ادب الصحراء وشعرائها في عرض موجز كهذا ، فرجال الادب ، والشعر بالصحراء المغربية كل واحد منهم يكفي لعدة محاضرات ، او امسيات شعرية للتعرف على اساليب شعره ، ونقاش مختلف اغراض انتاجه ، لكن قد يكون من باب التهاون ان يغفل الموضوع بسبب ما يعترض طريق الباحث عنه من صعوبة العثور على جله، فيبقى بذلك سرا مكنونا لا يعلم عنه أي شيء سوى تلك الجماعة القليلة التي ولد في محيطها ، وترعرع ، وها هو بدأ يتلاشى ، ويندثر بسبب فقد الكثير من رواته ، ومنشئيه ، وعدم نشر ما دون منه .

فحصيلة جهد المثقف بالجنوب يصعب العثور عليها حسب الحالة التي اعدت بها ، فذلك التراث الفكري جله لا زال مخطوطا ، وفي بعض الحالات لا يوجد حتى بالخط . اذ لم تخلف غارات المستعمر منه سوى بقايا اثر فيها تعدد الرواة ، وعدم تكافؤ معرفتهم ، فبطش الجيوش الغازية بمكتبات الجنوب ابان تسرب المد الاستعماري الى الوطن كاد ان يقطع كل تراث فكري ، قبل الثلاثينات من هذا القرن ، وخير شاهد على ذلك ما تعرضت له خزانة الصمارة التي كانت من اعظم المكتبات الاسلامية ، فلم تترك منها افتراسات الاستعماريين اي شيء ، فما لم يحرق منها الفرنسيون ، حمله الاسبانيون ، ونفس الشيء تعرضت له اهم الخزانات ، والزوايا باقليمي سوس ، والصحراء ، لكون حملة القلم بهما هم الذين واجهوا الغزات بكل شجاعة ، وصمود ، ومن تلك الصعوبات ايضا انعدام وسائل النشر واحتكار المخطوطات ، وكون كل من حصل بوسيلة او بأخرى على شيء منها ، يبقى ضنينا به عن زملائه المثقفين ، وقد اثرت هذه العوائق في روح البحث من جهة ، ومن جهة أخرى نتج عن احتكار الموجود منه تأثير بالغ في عدم انسجام اسلوب الشعر حيث أننا نلاحظ ابناء فترة واحدة ولا تناسب بين أسلوب شعرهم كل ينتج تقليد الطبقة التي توفر على أشعارها او اقتنى بعضا من كتبها ولا يخفى ما يواجهه ساكن البادية من صعوبة الحصول على الكتب سواء المخطوط منها او المطبوع ، بناء على ذلك نلاحظ ان شعراء تناولوا موضوعا واحدا يحسون فيه بنفس المؤثرات وتربطهم به نفس العلاقة ،لكن نسج بعضهم على منوال شعراء الجاهلية ، وآخر تأثر بشعراء المدرسة العباسية ، وثالث نحى صوب المدرسة الاندلسية مثل ابن العتيق ، ومحمد بن آبوة البوحسني رفيقان في الشعر — والدراسة ، وفي شعرهما دائما اتحاد الاغراض ، غير ان ابن العتيق تأثر بشعر العهد العباسي ، أما محمد بن آبوة فانه يمثل نسخة طبق الاصل من شعر طرفة العبدي او غيلان ذي الرمة وسنلاحظ ذلك عند سردنا لنماذج من شعرهما كغيرهما من الشعراء . تلك بعض العقبات التي تواج الباحث في شأن ابراز كل الجوانب الفكرية لرجالات الجنوب المغربي ، وان كانت تلك الملاحظات لا تمس جوهر الموضوع ، فمثقفو تلك الناحية واكبوا مراحل التطور في الوطن ، مطبوعين في كل مرحلة بميز التفكير الصحراوي الاصيل ، وما نتج عنه من متانة الاسلوب ، وتحكم المؤثرات العاطفية ، وا

كان في بعض الاحيان يستمد من قساوة الطبيعة شيئا من غرابة اللفظ .

ومن الملاحظات الهامشية ايضا هي : ان التعلم الى عهد قريب يكاد يكون وراثيا يحصر على عائلات او زوايا معروفة به دون غيرها ولعل هذا يبرر عدم استشهادي بمجموعة من مختلف الانتماءات في اقليم الصحراء ، ثم ان مجال الادب رغم وفرة الانتاج لم يحظ بعناية كافية خصوصا التاليف ، وبالميل الفطري الى الشعر فانه شكل اهم تراث فكري هنالك فانشاوه او حفظه امر يكاد لا تخلو منه اي اسرة ، ومن لم يتمكن من انشائه او حفظه عوضه بالشعر الحساني الذي تناول هو بدوره جميع اغراض الشعر العربي ، ولم يكن الادب والشعر خاصة منه هو كل التخصص بالاقليم ، فهنالك نخبة هامة اتجهت شطر البحث العلمي المتنوع فبرع في حفظ النصوص واعداد مجلدات لشرحها وتحليلها ، والتعليق عليها يذكر من بينهم :

— سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي الذي الف في جل العلوم الاسلامية ثم الشيخ محمد المامي وكذلك الشيخ ماء العينين الذي الف ما يربو على 360 كتابا في مختلف العلوم ، ومحمد بن محمد سالم ، وسيدي بوبكر ، والليلي ، وغيرهم كثيرون ، لكن جل ذلك الانتاج بقي مخطوطا واذا لم يبادر المتوفرون عليه الى طبعه او تمكين الجهات المختصة منه فسيتحملون جريمة اندثاره امام الاجيال القادمة، أما كتب الادب فكان نصيبها من جهدهم قليلا . اذا ما قيس بغيره من العلوم الاسلامية الاخرى كالفقه ، والتاريخ ، والنحو ، والحديث ، والسيرة ، والفلك. اذ لم يعرف لحد الآن كتاب اهتم بالموضوع بعد الوسيط للعلوي ، وسوس العالمة للعلامة المختار السوسي ، والنفحة الاحمدية ، وان وجد بعدهما تأليف اهتم بالموضوع فلا زال لم يكتب له التداول ، وكذلك تندر الرسائل النثرية ، والمقامة ، والخطب، مما يؤكد أن أهم تراث يحفظ عنهم هو الشعر .

واذا كان الشاعر عادة يتجاوز المرئيات مبتكرا معنى او وصفا ، او مهذبا احد المعاني المالوفة او متنبئا بظاهرة معينة أوصله الى ادراكها خياله الشاعري ، او حدسه الفاحص لسر تفاعلات الفترة التي عاشها فيستطيع بذلك ان يعكس اهتمامات امته فيصور لها ما تطلعت الى تجسيده وعجزت عن التعبير عنه ، فان جميع تلك الابحاث الشعرية ما استطاعت ان تخرج اي شاعر ما ، عن نظام ، واحساس ، وذوق البيئة التي ولد ونشأ فيها ، فعدم انتشار التعليم ، وعدم امكانيات الاتصال منذ دخول الاستعمار حتى مع بقية الوطن الام ، وانعدام أي نوع من الصحافة والحدود المصطنعة التي حاول بها الاستعمار ايجاد ما امكن من الفوارق لفرض الحواجز بين اجزاء المملكة كل تلك العوائق اثرت في شعر الصحراء فجعلته يبقى الى عهد قريب عاطفيا يتناول مواضيع ذاتية كالغزل ، المدح ، الرثاء ، المحاورة ، ذكر الديار ، وصف الناقة ، اي نفس الاسلوب الذي درج عليه امرىء القيس واصحابه ، وكان رائد تلك المدرسة الاول بالصحراء هو امحمد بن الطلبة الذي عاش باقليم وادي الذهب ، وكان دائما ينسج على منوال قصائد عظماء شعراء العرب القدامى مثل معارضته لجيمية : الشماخ بن ضرار بقوله :

تطاول ليل النازح المتهيج
أما لضياء الصبح من متبلج

ولا لظلام الليل من متزحزح
وليس لنجم من ذهاب ولا مجي

فيا من لليل لا يزال كائما
تشد هواديه الى هضبتي اج

كأن به الجوزاء والنجم ربرب
فراقدها في عنة لم تفرج

وهي طويلة تربو على ثمانين بيتا وقد عارض بها امحمد جيمية الشماخ بن ضرار الصحابي التي يقول فيها :

الا ناديا اظعان ليلي تعرج

فقد هجن شوقا ليته لم يهيج
اقول واهلي بالجناب واهلها

بنجدين لا تبعد نوى ام حشرج
وقد ينتاي من قد يطول اجتماعه

وتخلج اشطان النوى كل مخلج
صبا صبوة من ذي بحار فجاوزت

الى آل ليلي بطن قور فمنعج

وقد عارض أيضا حميد بن ثور فقال :

تأويه طيف الخيال بمريمـــا
قبات معنى مستجنا متيمـــا

تأويه بعد الهجوع فهاضــــه
فأبدى من التهيام ما كان جمجما

لطاف بها حتى اذا النفس اجهشت
وابدت بنانا لي خضيبا ومعصمـــا

وهي عصماء طويلة تسير على هذا النهج معارضا ميمية حميد بن ثور الهلالي التي يقول في مطلعها :

الا هيما مما لقيـت وهيمـــا
وويحا لمن القى منهن ويحما

ا اسماء ما اسماء ليلة ادلجت
الي واصحابي باي واينمـــا

سل الربع اني يممت ام سالم
وهل عادة للربع أن يتكلمـــا

ولم أعثر فيما استنطقت من مصادر ولا مـــا استفسرت من حفاظ ذلك الادب على شاعر تعرض لذكر المناطق المعروفة بالساقية الحمــراء قبـــل خريجي الصمارة الآتي ذكرهم اللهم ما كان من قطـع لسيدي محمد بن الشيخ سديا الاديب المشهــور بأقصى جنوب القطر الموريطاني الشقيق حيث يقول.

طال في اربع القرار قراري
ليت شعري مالي ومال القرار

طال مكثي وان ما طال فيهـا
باختيار المليك لا باختيـار

لم أكن مرفع القدوم اليهـــا
بل رمتني لها يد الاقــــدار

صار فيها هكذا تشكي من زيارته لربوع الساقية الحمراء ثم حنين الى مسقط رأسه بابي تيملت .

لعل هذا من أول ما وصل الينا من شعر تعرض لذكر الاعلام الجغرافية بشمال الصحراء المغربية ، ثم ان بعض الذين عبروا تلك المناطق سجلـوا على ربوعها قصائد شعرية تتعلق اما بمديحـات للرسول صلى الله عليه والسلم مثل ابن رازكة العلوي حيث انشد عند مروره عبر الصحراء قصيدته التي مطلعها:

غرام سقى قلبي مدامته صرفـا
ولم يقم العذل عدلا ولا صرفـا

قضى فيه قاضي الحب بالهجر مذ غدا
مريضا بداء لا يطب ولا يشفـى

نهاري نهرين جفني والكـرى
وليلي بحر مرسل دونه سجفـا

جريح سهام الحب عاث به الهوى
فأبدى الذي ابدى واخفى الذي اخفى

ومن الذين عبروا ذلك الاقليم ابن محمـدي العلوي المشهور بمديحاته النبوية وبتمجيده لمولاي عبد الرحمان ، والذي نشر الوسيـط كثيـرا من اشعاره ، وأتأسف لكون شعراء الطبقة الاولى لم يصل الينا كثير مما جد من انتاجهم بعد كتابي الوسيط ، والنفحة الاحمدية للشيخ احمد بن الشمس والابحر المعتنية للشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين وذلك لكون جهود المستعمرين استجابة لحقدهم الدينـي والحضاري على المغرب انصبت طيلة وجودهـم بالاقليم على طمس المعالم الحضارية والفكرية التـي تجسد أصالة المغرب مع ادراكهم لان الفكر المغربي هو الذي حمل عبء نشر الدين ، والثقافة الاسلامية في الاقطار الافريقية ، وجنوب القارة الاوروبيـة ، فكان ذلك الحقد يباشر عن طريق اطراف المملكـة كمحاولة لتجزئتها الى دويلات ضعيفة ، ومتناحـرة يسهل التغلب عليها ، وقطع الصلة بينها مع اصالـة الماضي المغربي . فلا غرابة ان يكـون المثقـف والعالم هما اللذان قادا معركة النضال من اجل بقاء الوحدة الوطنية مما عرض رجال الفكر بالصحراء الى انتقام الاستعماريين الاسبانيين حتى ذهب بهـم ذلك الى : ملاحقة الشعراء وبث عيونهـم ليتتبعـوا الاندية الشعرية ، ثم شرح الكلمات ، وبالتالي انزال أشد العقوبات على من تعرض في شعره للقضايـا الوطنية ، هذا بالنسبة لشعـراء الساقيـة الحمراء ووادي الذهب الذين خضعـوا لكابـوس الحكـم الاسباني ، وعلى اي حال وحسبما وصل الينا مـن تلك النصوص الشعرية يمكن تقسيمها مـن حيـث مدتها الزمنية ومواضيعها الى ثلاث طبقات :

1) شعراء ما قبل الاحتلال أي القدامى

ومن أبرزهم امحمد بن الطلبة المتقدم الذكر ، ومولود بن أحمد اجويد ، وعمر اللمتوني وعبد الودود

ابن احمد ، ومولود المجلسي ، ومحمد اليعقوبي ، ومحمد فاضل اليعقوبي ، وغيرهم كثيرون ، وقد احصى منهم محمد الغيث النعمة المتقدم ذكره 550 شاعرا تقاطروا على مدينة الصمارة ثم تباروا في مدح الشيخ ماء العينين بصفته خليفة السلطان بالصحراء. تلك الطبقة التي سبقت دخول الاستعمار وهي مرحلة اوج قيمة الشعر ، فبه توقد اوار الحرب آنذاك ، ويعقد السلم فاذا مدح الشاعر بسط رداء الوقار ، والعظمة على ممدوحه ، واذا هجا خلع جلباب الستر عمن هجا ، وقد كان الى عهد قريب عنوان العلم والحكمة لاهله الصدارة ، ولرواته احسن مكانة ، وكانوا يعتبرونه ، من اهم المراجع لتاريخ القبائل نذكر على سبيل المثال لامية بن الطلبة التي عدد فيها مفاخر قبيلته ، والتي مطلعها :

صاح قف واستلح على صحن جال
سبخة النيش هل ترى من جمال

قف تأمل فأنت أبصر مني
هل ترى من حدوج سعدي التوال

الى أن يقول :

حي يعقوب انهم خير حي
اذا تسامى الكرام عند النضال

ثم ما لبث ان اكتسب مكانة دون تلك ، وان كانت لم تقلل من اهميته الا انها قومت التفكير ففتحت آفاقا جديدة جعلته يدرس كمادة ضمن المواد الدراسية ، اما قوله فأصبح كموهبة من بين المواهب التي تزيد من توفر عليها ولا تنقص من حرم منها ؛ ورغم الشعور الطافح بضرورة تغيير المضامين القديمة ، وما نتج عن ذلك من سلاسه اللفظ ، ورقة التعبير فان ذكر الدمن ، ووصف الناقة ، والتغني بالمحبوبة ، والتباري في شتى فنون المديح ، والاعتزاز بالامجاد ، بقيت بسبب الرقابة الاستعمارية هي اهم اغراض الشعر حتى متم العقد الرابع من هذا القرن ، اي سنة 1947 التي كانت بداية انطلاقة المرحلة الجديدة حيث أصبح فيها شعرا موضوعيا ، قادته فكريا جماعة الطبقة الثانية التي كافحت المد الاستعماري ثم مس انتاجها نوع من الركود اذ من سنة 1937 ما عرف عنهم اي انتاج وطني اللهم ما كان من استطراديات تدرج في حنايا قصائد ذات مواضيع عادية الى سنة 1947 فعندها كان تفجير بركان الوطنية عن طريق تعميم الشعور الوطني بواسطة قصائد لأكابر العلماء مثل : ماء العينين بن العتيق ، ومحمد بن ابوة ، والشيخ الامام ، ومحمد فال بن محمد الامين ، ومحمد المامون ، فهؤلاء يمكن أن يطلق عليهم طبقة المخضرمين فكريا ، فهم الذين انحصر جل انتاجهم في الاسلوب القديم لكن أفكارهم الوطنية قادتهم الى التقرب شيئا ما من اساليب موضوعية ، تجاوبت مع اهتمامات الامة من الناحية الوطنية فامكن لهم بذلك ان يصبحوا رواد المدرسة الحديثة بالصحراء ، وان كانوا لم يتمكنوا من البلوغ الى هدفهم بسبب كبت المستعمر كما أسلفنا .

فعلى يد هؤلاء تخرجت نخبة استطاعت ان تتجاوز الاساليب العتيقة من حيث الاغراض وان تدون في انتاجها مواضيع غير مالوفة فاصبح الشعر عندهم وسيلة لالهاب المشاعر من اجل تعميم الشعور الوطني ، وتحريض المواطنين على مواصلة الكفاح . لمواجهة مخططات الاستعمار فغدت بذلك انصع صفحة من صفحات أدب الجنوب هي ما يطلق عليه شعر الوحدة الذي تخلص من المواضيع الذاتية القديمة ليساير بأسلوب موضوعي ، تطور الامة واصفا تطلعاتها ، موجها الانظار لاختياراتها بتعبير قريب من مفاهيمها ، مستجيب لرغباتها ، مجسد لمفاخرها ، مخلد لتضحيات عظمائها ، متميز مع كل هذا بشمولية الاغراض فغدى شعرا اجتماعيا يتناول مشاكل الجماهير العامة بدل البكاء على الاطلال ، والتغزل .

فبما ان الشعراء ادركوا الواقع المأساوي الذي سيواجه تلك الاقاليم عبر النوايا المبيتة من طرف الحكام الاستعماريين لمحاولة فصل تلك الاجزاء عن الوطن الام ، ثم بدات تلك النوايا تدريجيا بالتلويح بعبارات مسمومة تنفي الصلة مع بقية الوطن المغربي، ولمواجهة تلك الحبائل حصر الشعراء جل انتاجهم في استحثاث المواطنين على مواصلة النضال وتمام اليقظة ثم لسرد الحجج التي تثبت مغربية الصحراء معبرين عن افكارهم الوطنية في مدائح لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ، ولجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني أيده الله ونصره ، محقق آمال جميع الوطنيين باسترجاع تلك الاقاليم بمعجزة المسيرة :

قدت المسيرة نحو وحدة امة
لعب الزمان بأهلها وبهم غدر

فتجرع الاسبان نار هزيمــــة
بعد الغلو وقبل جيشك ما اندحر

هذا وفي كل تلك المراحل لم ينج آدب الصحراء من مؤثرات التخلف التي ينجم عنها خلــق طبقـــة استقراطية ليست عن طريق المال والحكم ، وانمـــا هي عن طريق الذوق والوجدان والتطلع ، والميول ، مما جعل علية مثقفي ذلك الاقليـــم من المبدعيــن الممتازين اذا ما قيسوا بسواهم من أبناء مناطقهـم مكنهم من ذلك يسر اقتناء الكتب وسهولة التردد على معاهد المملكة وخزاناتها الادبيـــة . اذ يلاحظ مـــن تفحص أشعارهم أن من بينهم جماعات اقتصر دورها على النظم فقط بينما نجد بعضا منهم استطـــاع ان يتمكن من ازمة الادب بالمفهوم الصحيح .

هذا عن اهتمامات شعراء الصحراء واغراض شعرهم والدوافع الكامنة وراء كل اختراع شعـري بالاقليم اما تحليل ونقد ، جودة الالفاظ والمعانـــي ، وصفائها وبهاء وطلاوة الشاعرية ، ومتانـة سبــك الاسلوب وصحة التركيب ، والخلو من اود النظـــم ، والتاليف ، وكون المعنى صوابا او خطأ ، ومـــدار البلاغة الشعرية على اي من تلك المقومات مجتمعة او متفرقة فاني تحاشيت التعرض له في هذا العرض الموجز من اجل ان اقدم نماذج من شعر اولئك القوم الذين لا زال الجل من انتاجهم مجهولا حتى يتسنى نقاشه وتحليله في مناسبات قادمة بعد ان يتمكــن الكل من التعرف على مجمله .

وكان بالامكان ان اقتصر في النماذج الآتية على شاعر او شاعرين من ابرز شعراء كل مرحلة لكن ايضا رغبة في ابراز ما امكن من النصوص لمختلف الشعراء قد اوردت مقتطفات من شعر اكبر عدد ممكن مـــن الطبقتين الثانية والثالثة .

والملاحظة الوحيدة التي ابديها هي ان منهم من اعتنى الى حد بعيد بتركيب فني اجتمع فيه جمـال اللفظ والمعنى فاكتملت الوحدة الجمالية بين عنصريه اللفظي والمعنوي اي ما يطلق عليه الوحدة البيانيـة وقد يلاحظ هذا في شعر امحمد بن الطلبة من الطبقة الاولى ، وبن العتيق من الطبقة الثانية ، وسداتــي هيبة والكبير العلوي ولاربلس من الطبقة الثالثة .

والى عهد قريب كان شعر الصحراء يصاغ على الطريقة القديمة ، وهي قصائد ذات ابيات مستقلــة بعضها عن البعض الآخر تجري على قوافي متماثلـــة الروي تعبر عن عواطف ناظمها تجاه فرد ، او غرض ما . وقد يجره ذلك في كثير من الاحيان الى نظـم مواضيع متباينة لا يربط بينها الا شخصية الشاعر .

لكن تطور الحياة ، وتشعب مناهج التفكيـر ، واختلاف الاحساس ، والوجدان وتنـوع اساليـب التعبير ، وتغير ملامح الاجرام . والاشكال ، اثر كل ذلك الى حد بعيد في الشعر ، واسلوبه وحتميـة وحدة موضوعه ، وفي الشعراء ودرجة تقديرهم فكان لا بد استجابة لهذه المؤثرات ان تتطور رؤى الشاعر في الحياة ، والمجتمع ، وان يتجه شطر مواضيـع اكثر اهمية من البكاء على الحبيبـة وذكر الدمـن ووصف وعثاء السفر ليستجدي ممدوحه مما يحصر فعالية شعره في المجون او الاسترزاق او الايحـاء بالغرور لفرد معين ، بذكر ما ليس فيه ، بغواية الشعر كما اسلفنـا .

وبسبب تلك المؤثرات المشار اليها تقـرب الشعر الى ذوق الامة محاولا مسايرة التطور مكتسبا وحدة التفكير بالبحث عن المواقف التي تستميـل انتباه اكبر عدد ممكن من ابنائها بتحريك عواطـف الوطنيين مسايرا بذلك المناهج الجديدة ، الملحمة ثم الشعر التاملي ، ثم القصصي وقد تعاطى شعراء الصحراء قول الشعر في الاساليب الثلاثة ، ففـي الشعر القصصي نذكر مثلا الشام عبد السلام الذي برع في هذا النوع بأسلـوب خال من التعقيـد او التعسف كقولـه :

سقاها غير شاعرة رحيقـا
ليحدث في تحصنها خروقـا
فدب لها دبيب الراح منهـا
يرى اتعوقه أم لن تعوقـا

وهي قصيدة طويلة تعرض فيها لحكاية حسب حاول فيها المحبوب من محبوبته ان تمكنه من نفسها بشتى الاغراءات ، ولما اعيته الحيلة سقاها خمرا دون ان تشعر ثم دب لها دبيب الراح حتى صاد ابلغهـا المقوقا حسب تعبير الشاعر ، ولما فاقت انتحرت ثم ظهرت الجريمة على المجرم فالقي في السجـن ، وله عدة قصائد استعرض فيها قصص رحلات قـام بها بين الشمال والجنوب .

اما الملحميات فمنها قول احمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

كففت انسجام الدمع فانهل وانهمر
وعاد عقيقا بعد ما كان كالـــــــدرر

وابدل مني من جوى البين والاسى
سبات الكرى والنوم بالسهد والسهر

وجفني مبني على الفتح رفعــــــه
ولا يتاتى فيه ضم وما انكســــر

وهي تربو على 200 بيـــت فى نفس الــروى والبحر ، ومن ذلك النوع ايضا قول محمد سداتـــي هيبة وهو بسجن الجزر الخالدات يحث المواطنين الموجودين معه فى السجن على قوة الشكيمة والتشبث بالمبدا الوطني مهما بلغت مضايقات المستعمر :

صبرا صاحبي فالنجاح لمن صبر
والحر يعرف فى الشدائد والخطر

ومقامكم فى الخالدات مخلـــــد
مجدا لكم والمجد اسمـــا مدخـــر

ومن اسلوب الملحميات ايضا قول امربيه رب فى مدح الرسول :

حي الربا من معهد لمعهـــــــد
ان كنت ذا عهد وذا تعهـــــــــد

وهي ارجزية تجاوزت ثلاثمائة بيـــت فى نفس البحر والروى عدد فيها معجزات وشمائـــل الرسول صلى الله عليه وسلم .

اما الشعر التأملي فقد نال حصة الاسد مــن انتاج اولئك الشعراء من ذلك قول الشيخ ماء العينين لاربـــاس :

بني وطني لا زلتموا منزل الشعرا

علوا واولاكم من الخالـــق البشـــر
وكقصائد الاستاذ العلوي محمد الكبير مثل :

الارض تبر والسمـــاء زبرجـــــد
والافق نور والطوالـــع اسعـــــد

وفى المحاورة ترى مجالسهم مطبوعة بارتجال هذا النوع من الشعر خصوصا الطبقة الثانية . اما الشعر التأملي فكما اشرنا قد برع فيـــه السادة : المرحوم سداتي ، ماء العينين والمرحوم العبادلة ، الكبير العلوي ــ الشيخ ماء العينين لارباس ، الشام عبد السلام ، الداه محمد ، الدرجاوي عبد الرحمن، ماء العينين بحجب ابو بكر بن الشيخ امربيــــه ، محمد بن قاري ، الرصافي معروف ابشيرنا ، بالاضافة الى ثلة من الشباب تتأهب لتاخذ مكانتها البارزة فى الادب ، ومحمد فال بن محمد الامين ، ومحمد الامين ابن حبيلتي ، وخيرهم ابراهيم وغيرهـم كثيـــرون سنتعرض لهم فى حلقات قادمة بحول الله .

+ × +

بعد هذه الملاحظات العامة اورد نماذج من شعر الطائفتين الثانية والثالثة .

الطائفة الثانية ماء العينين بن العتيق : مـــن ابرز شعراء الجنوب بصفة عامة وان كان يوخذ عليه حصر جل اغراض شعره فى الغزل والمـــدح ، فى حين انه من اعظم العلماء بذلك القطر ايضا ، مـــن خريجي الصمارة امتدح جلالة المغفـــور لـــه محمد الخامس بعدة قصائد نشرت اولاها بجريدة السعادة سنة 1937 وقد نشرها الاستاذ الجليل عبد الوهاب ابن منصور بكتابه الاخير « مناقب اهل الصحراء » وان استمرار شعراء الجنوب فى ذكر شمائل اميـــر المؤمنين وتباريهم فى مدحه ظل من اعظم التحديات التي واجه بها المثقف الصحراوي الاستعمار ، وبقي كذلك من بين العوامل التي حافظـــت على تركيـــز الشعور الوطني فى سكان الاقليم المسترجع حتـــى تمت الوحدة الوطنية ، لله الحمد .

ومطلع القصيدة المشار اليها هو :

بشر المنى بك اشرقت اعلامها
يشدو على فنن السرور حمامها

وحظائر العرفان منك تنسمـــت
ارواحها وتبسمت اكمامهـــــــا

زانت امامتك الزمان وكيـــف لا
تزدان ازمنة وانت امامهـــــــا

الى ان يقـــــول :

ما انت الا البدر فى هالاتـــه
لما احاط بجانبيك ندامهـــــا ؟

ومنهــــــــا :

وولي عهدك يقتفيك فنفســـه
عن رسل مجدك يستحيل فطامها

وبمناسبة عيد الفطر الذي وافق عيد العرش سنة 1956 كان ابن العتيق من بين وفود الصحراء التي اتت لتقدم ولاءها لصاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس فانشد بين يدي الحضرة السلطانية القصيدة التاليـة :

تتابعت البشائر والخيـور
بحمد الله واتصل السـرور

وصبح السعد لاح له ضيـاء
وروض الحق فاح له عبيـر

بمشهد طلعة الملك المفـدى
من ازدانت بدولته الدهـور

ومن طود السعادة مستقـر
بأمرته وناظرها قريـر

امام العصر محمود السجايـا
محمدنا بن يوسفنا الشهيـر

واولى الشعب بعد الذل عزا
وبعد العز ذل به الكفـور

وفى سبيل العلا من المنايـا
لديه كانه المـاء النميـر

الى ان يقول :

ونعم ولي عهدك من اميـر
بسيرك فى خلائقـه يسيـر

اشدت بعزمه اركان حـرب
تحاط بها النوادي والقصور

فتى حسن الشمائل والسجايا
جواد ماجد بطل جسـور

ونعم الشعب شعبك خير شعب
تعمهم الثقافة والحبـور

تآخوا فى ديانتهم فكـل
على اوطانه أسد غيـور

اساتذة جهابـذة ابـاة
غطارفة قساورة بحـور

رجال الغرب فيه بدوا بدورا
لهم تعنو بمشرقها البـدور

الا فاهنأ قرير العيـن وان لا
تفارقك المسرة والحبـور

ومن غرر شعره قوله فى مدح الرسـول صلى الله عليه وسلم :

الا من لعين عز وجد اجودها
وهان عليها بالمدامع جودهـا

تفيض لذكر الفيضتين بعبرة
كاني اذا كفكفتها استزيدهـا

ومن لحجا اذكى به الشوق شعلة
تشب استعاراً اذ يرام خمودها

واني على نار الغـرام تجلـد
وما غير حبات القلوب وقودها

الى ان يقـول :

وماذا به نثني عليـه وانمـا
نعوت الثنا من وصفة نستفيدها

شفت شفتي مما يشف وفكرتي
مدائحها انشاؤها ونشيدهـا

وفى سنة 1937 عين الشيخ محمد الاغظف بن الشيخ ماء العينين نائبا لخليفة السلطان بالصحراء فهناه ابن العتيق بقصيدة استعمل فيها من اساليب البلاغة صنوفا لم تات لغيره وهي :

بجانب الهودج مربع دثـر
من سلك جفني جوهر الدمع نثر

الى ان يقـول :

يزرى ان افتر وراع وترنم وناء وتثني وسفر

بالاقحوان والرشا والعندليب والكثيب والقضيب والقمر

حتـى يقـول :

وان سخا وان سطا وان عفى
وان وفى وان رسى وان ظهر

اين الغزالة ورضو والسمـو
ال واحنف وعمـر والزفـر

يا بهجة الدنيا وقوت روحها
لله درك من استـــــاذ وزر

قد تبت عن خليفة بقطرنـــا
فدم لمثلها اعــز مدخـــــر

واهنا بها من ثقــة اولاكهــا
خليفة السلطان من البشـــر

بالمنصب الجديد نلت المبتغى
وعندما خلفك الندب الابـــر

خلفت فى اليقين واللين ابـا
بكر وفى الشدة والعدل عمر

وقد انشأ القصيدة التالية وهو لا زال لم يتعـد ستة عشرة سنة وهي :

عج بالركاب على الكعاب وسائـل
لم لا تقابل بالقبول وسائـــل

او ما راين لذكرهن مدامعـي
ما بين جار بالخدود وسائل

الى ان يقـــول :

جهل العذول هوى الملاح فلامنى
وعلمته فعصيت امر الجاهـــل

أني أحاول فى الصبابة مخلصـا
من وجدهن وقد أصبن مقاتـــل

ما هكذا الانصـــاف لكــــن
لا اعتراض على الحبيب ولو قضى بالباطل

تخلص منها لمدح جده الشيخ ماء العينين الذي اتبع معه طريقة بن سناء الملك مع القاضي الفاضل اظهار المقدرة الشعرية فى الغزل ، والمدح وعـــدم الخروج عنهما كثيرا لغيرهما من الاغراض الشعريـة الاخـــــرى .

وفى بعض الاحيان يبدأ ابن العتيق القصيـــدة بخطاب التثنية أو الجمع فى التغزل ثم يسلك نفس الشيء فى المديح كقوله :

الما بالمرابـع لا عداهـــــا
ربيع منه يرتع مركداهـــــا

ولا فى عهدها تنيـــــا وردا
لمعهدها النواء ورداهـــــا

الى ان يقـــول :

وواسطتا قلائدها وبيتـــا
قصائدها وصــدر منتداهـــا

وقد ترك ديوانا خاصا بمدائح الرسول كتـب عليه هو بنفسه انه اتبع فيه اسلوبا لم ير من سبقـه اليه لكونه رتب تلك القصائــد على الحروف وكـل قصيدة يبدأ بيتها الاول بحرف فيكون هو رويها ثـم خصص كل قصيدة لذكر بعض شمائل الرسول مـع تحاشي التكرار ، مثلا فى حرف الالف قال :

اثار الهوى بعد الحبيب اداؤه
فوجدي به حق علـــي اداؤه

وكعادة ابناء الصمارة فقد خف لزيارتها عندمـا سمحت له ظروف الكفاح الوطني بذلك فانشأ يقول :

عفت الديار وهل ترى شيئـا
لم يعف الا الواحـد الحيـــا

هذى الصمارة ويك مقفـــرة
تكوي الفؤاد ربوعها كيـــــا

وفى الفخر انشأ قصيدة هنا فى آخرها امربيه رب على تأدية فريضة الحج سنة 1938 ثم تفنيـــده لدعايات الفلات الفرنسيين فى شأن كفاح الصحراء وسوس من اجل صد المستعمرين عن حوزة الوطـن قال فى مطلعهـــا :

هو الشعر للاكفاء شهدته تحلو
اذا صاغه من كنز باعثه الفحـل

فينساق عذبا للفهوم كأنمـــا
باثنائه تلقى مجاجتها النحـل

الى ان يقـــول :

ليهنئك حج البيت اديت فرضـــه
وقد ما يؤدى عنده الفرض والنقل

وبايعت للعرش العظيم مجــــددا
لبيعة اسلاف بها اجتمع الشمـــل

تلقاك في أقصى الشمال خليفـة
لخير عباد الله يا حبـذا الاصـل

به الوطن الاسمى يصون لوحـدة
فاقواله فصل واحكامـه عـدل

وله عدة قصائد في الغزل والرثاء والحكـم لا تقل جودة عما ذكرناه واننا لنأمل ان تتـاح فرصـة قريبة لعرض نماذج شعرية خاصة به .

وله عدة قصائد في الجهاد وحث المواطنيـن المغاربة بالجنوب على الصمود في وجـه المـد الاستعماري ابان الكفاح الوطني لسوس والصحـراء منهـا قولـه :

كفى المرء غيا للغواية صغاره
كذا لكبار الاثم تفري صفاره

ويوشك ان يغشى الحما الرائع الذي
رعى حوله والجار يعديه جـاره

وان الرضى بالذنب ذنب وان يقع
عذاب يعيم الفرقتين تبـاره

2) الشيـخ محمد الامـام :

تنافس هو وابن العتيق على الدرجة الاولى من بين شعراء الصمارة حسب حكم الاستاذ المختـار السوسي في الجزء الرابع من المعسول .

ألف محمد الامام كتاب الجاش الربيـط في النضال عن مغربية شنقيط سنة 47 تعـرض فيـه لاسلوب عمل المخزن بالصحراء والاسر التي حمل رؤساؤها ظهائر والوفود التي قدمت على عاصمـة المملكة لتادية واجب البيعة باسم سكان الجنـوب المغربـي .

ثم ضمنه فصلا خاصا بالعادات وطرق التعليم وفي نفس السنة استدعى من طرف خليفة السلطان سمو الامير مولاي الحسن بن المهدي الذي ظلـت صلاته الوطنية قائمة بالصحراء حتى اواخر سنة 55 وفي تلك الطريق عرج الشيـخ الامـام على وادي المخازن فتذكر معركته الشهيرة التي دافـع فيهـا أجدادنا عن سيادتهم بينما نحن في تلك الايام موزعون عبيدا لاولئك الذين كانوا يوما ما من جملة رعايانـا فانشـد يقـول :

خليلي مرابي بواد المخـازن
نجدد شكرا بين تلك المواطن

مواطن كانت للجهاد مشاهدا
بهن مياه العز غير اواسـن

به وقعة ما زال يسري نسيمها
على بعد عصر وابتعاد الاماكن

بأيدي رجال شيدوا الدين وارتدوا
رداء من العلياء ضافي المحاسن

فلم تثنهم عن راحة العز راحـة
ولا حسو كأس بين شاد وشادن

رجال من ابناء المغاربة الاولـى
هم الناس ان عدت كرام المواطن

فنشمخ انفا ثم نطـرق بعدهـا
حياء لفوت بيننا وتبايـن

اولاك حموا اقصى البلاد وانتـم
مساكين محميون وسط المساكن

ومنهـا :

الاعرق للمجد المؤثل نابـض
فينهض منا قاطن اثر ظاعن

الى ان يقـول :

تظنون سورا من حديد امامكم
وما هو الا من ركام الدواخن

حتى يقول للمتقاعسين عن المقاومة الوطنية :

وقلتم مقال العجز في اليأس راحة
فتصليم آذان وجدع مـوازن

وقد زار الاندلس ثم تذكر شموخ عز الاسـلام وحاله اوان تلك الوقعة . فانشد قصيدتين قال في الاولـى :

ان قصر الحمراء قصر جميل
طاب فيه المقدى وطاب الاصيل

كل شيء تراه فيه انيــــق
فمياه تجري وظل ظليـــــل

ما مللنا من الوقوف لديهــا
واعترانا من الهيام ذهــول

حتــى يقــول :

تلك آثار قومنا يــال مجــد
وطدته من القــروم فحــول

ومطلــع الثانيــة :

الدهر ذو عجب وذو الــوان
لا تنقضي بتقلــب الاحيـــان

فى كل آن يستجد عجائبــا
تنسيك معجب سالف الازمان

عاطتك اندلس مجازك نحوها
عبرا تذيب الصم من ثهــلان

ولما سمحت له الظروف بزيارة الصمارة كغيره من بقية ابنائها بعد ان ارغمتهم هماتهم الوطنية على الخروج منها انشد قصيدة رائعة مطلعها :

لا بدع ان حن ذو لب الى وطــن
اوهاجه دارس الاطلال والدمــن

عوجا على طلل محت معالمــه
هوج الرياح وصوب الصبيب الهتن

وقفت بالربع لايا ما ابينـــه
لولا ارتسام الهوى بالقلب لم يبن

ماذا اثارت من افنان الغرام بــه
ورقا ترجع الحانا على فنـــن

الى ان يقــول :

فاستبق ويك على قلب تياسره
ما يعلم الله من بث ومن حــزن

شوقا الى زمن لم ينس طيبــه
ما قد جرى بعده من حادث الزمن

هي المنازل كم اذكي تذكرهــا
جمر الاسى بفؤاد الواله الشجن

ومنهـــا :

دهر الصمارة وما ادريك ما زمن
حدث ولا حرج عنه فلم تمــن

وله عدة وطنيات ، ومديحيات لجلالة المغفور له محمد الخامس فمن مدائحه قوله :

حي المليك الذي بمجده اشتهر
محمد الخامس السامي عن الامرا

ذاك المليك الذي ما زال مرتقيا
الى سماء العلا يسمو عن النظرا

ومن وطنياته قوله سنة 1947 ردا على محاولة اسبانيا لادماج اخواننا الباعمرانيين فى الجنسيـة الاسبانية : مطلعها «بني وطني قوموا على اسوق الجد»

ومن أساليب تغزلــه :

الام الهوى يدعوك من حيث تسمع
فتخفض انفاس الغرام وترفــع

وانت مقيم لا تبلـى دعـــاءه
كأنك لم تسمع لما انت تسمــع

وفى المراسلات قال لاخيه مربيه رب :

سلام فى المزار ينوب عنــي
ويخبر عن صفاء الود منــي

الى ان يقــول :

اذا اصغى اليراع على يميني
لفكري فى مناقبه كانـــى

ارى بيدي الحجار درا نثيرا
فينظم ما يشاء بلا تعنـــى

وتزدحم القوافي فيه حتــى
اقول لها وراءك ويك عنــى

ابا لاطناب بالغــة مـــداه
رويدك فاربعى والتطمانــى

وله عدة وصفيات فى الطائرة ومنظر الطبيعة وفى المحاورة كما سنرى فى مكان آخــر ، وفى الفخــر والحماســة ، وفى الحكم له قصيدة طويلة منها :

وقر اذا الاحداث سادوا وان
شرار فبطن الارض خيب لمن ثما

وكن حيث وافقت البلاد واهلها
ولاترضى اذلالا بأرض ولا هضما

وله عدة مؤلفات منها الجواهر المنتخب على انساب من فى المغرب من العرب ، ثم اسعاف السائل ، وحلي الاوراق فى ضرورة التخلى عن الاسترقاق .

3) محمد المصطفى امربيه رب بن الشيخ ماء العينين له عدة مؤلفات فى الفقه ، والسيرة ، والتصوف ، اما شعره فتنحصر جل اغراضه فى الغزل ، ومدح الرسول ، والحكم ، والمحاورة ، وفى تقاريضه لكتب والده لكونه تولى الاشراف على جل ما طبع منها بالمطبعة الحجرية بفاس .

نماذج من شعره :

افهكذا ميسان غصن البان
يرتج من محقوقف الكثبان

لو كان غصن البان هذا ميسه
لارتاح للكثبان غصن البان

الى ان يقول فيها :

ما هند وبات بأيدي جحاجح
أسد تصول اذا التقى الجمعان

فينا بامضى من عيون نعس
تفنى الاسود وهي من الغزلان

ومنها عندما تعرض للمدح :

بحران يلتقيان فى اوج العلى
ذا دابه بحران يلتقيان

بأكفه فر كرام عشيرة
نسخت مياه المزن والغدر

سبع لسبعة ابحر وثلا
ثة للسحب والانهار والطوفان

ومن بدائع شعره ملحمة فى بحر الرجز مدح بها الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام مطلعها :

حي الربى من معهد لمعهد
ان كنت ذا عهد وذا تمهيد

وفى نفس الموضوع ايضا قصيدة مطلعها :

بشرى لدهر كان من حسناته
وصل محي ما كان من هفواته

تمحو ليالي هجره حسناته
ليلاته تقتص من ليلاته

زار مدينة الصمارة بعد خروج والده منها وقبل دخول الاستعمار اليها وهو آنذاك بصدد تكوين جيش من ابناء الصحراء لمواجهة الغزاة الاجانب ، فوجدها يبابا داثرا فانشد يقول :

هذي الصمارة فى انبائها العبر
منها تحيرت الالباب والفكر

دار بصحراء من رأى عمارتها فيما
مضى او رآها اليوم يعتبر

ثم زارها بعد رزوحها تحت حكم الاستعمار الاسباني فاذا هي ترسف فى قيود استعمار ماكر يتوقع انفجار بركان المقاومة منها من حين لآخر وعهد امربيه ربه بها قبل ذلك قاعدة لانطلاق فصائل المجاهدين نحو كل الجهات لصد اي غزو يواجه اطراف المملكة فانشد يقول :

هلا عجبت وكيف ينقضي العجب
والدهر ذو عجب وصنعه عجب

هذى الصمارة لا حي ولا ملاء
بها ولا فرح بها ولا طرب

ولا بها حلق الذكر العظيم ولا
علم تدرسه قوم ولا ادب

هذا تضلع من شرع العلوم وذا
من الحقيقة كالمحروق يلتهب

دار بوفق المنى كانت معمرة
من فضها يقطف السرور واللعب

ثم مثلها بغادة رضعت ثدي العلوم ، ونشأت على العفاف والكرم فقال :

تبارك الله كم كانت مخدرة
هناك تكتنفها الاستار والحجب

درج فيها على هذا المنوال الذي اتبعه شوقي حول احدى المدن اللبنانية . وفي موضوع الحكم، له عدة قصائد مطلع احداها قوله :

اهاجك من وهج الهوى والنوى ذكري
وما الصب الا من تهيجه الذكـــــرى

دعي الغيد وافر البيد واللجج الخضرا
الى المنصب الاعلى ولو كان فى الخضرا

حتى يقـــول :

وما الخل الا من يواليك دائمـــــا
ولم يتبع فيك النوائب والدهرا

ومنهــــــا :

وللدر انواع وهذا ارقهــــــا
واصغرها جرما واكبرها قدرا

وفي اداب المجلس قال :

الا فامنح اطايب الكـــــلام
لقومك بعد معسول الســـلام

وراعي الحال فى النادي وحدث
على قدر المجالس والمقـــام

وللالغاز والمغزى تيقـــــظ
فكم بين التيقظ والمنـــــام

وان حدثت فاصغ بحسن سمع
الى قول المحدث باحتـــرام

ولا تسرع الى الافتاء واحذر
معارضة الكلام مـع الكـــلام

(يتبع فى العدد القادم بحول الله)

المؤمن اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، واذا رضي لم يدخله رضاه فى باطل ، واذا قدر لم يأخذ اكثر مما لــــه .

جعفر الصادق

دفاعاً عن الاسلام والمغرب والمنصور

الرد على مقال أحمد بابا التمبكتي السوداني

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

رجال الاسلام والمواقف العظام تنهشها الاقلام :

كان لبنى أقيت فى تنبكتو وجاهة ورياسة ببلاد السودان . وقد أبقاهم جيش الفتح الاسلامى الذى وجهه المنصور السعدى على وجاهتهم الى ان كانت سنة 1002 للهجرة حيث اكتشف امر تحريضهم الناس ضد المغرب ، فالقى قائد المنصور القبض على جماعة منهم ونقلهم الى مراكش ، وكان من بينهم العلامة ابو العباس احمد بابا المعروف بأحمد بابا التمبكتى السودانى ، بقصد منع الفتنة واقرار الاسلام وتوحيد كلمة الله فى غرب القارة الافريقية .

حادث عابر . تغريب او نكبة اسرة او فرد لبادرة بدرت . تحديد اقامة شخص من الاشخاص عالما كان او قائدا او اميرا من البيت المالك نفسه لتحقيق سلامة المجموع وتوحيد كلمة الله، امر قد لا يخلو منه عصر من العصور فى قطر من الاقطار .

لكن حملة بعض الاقلام الذين يهلل لهم الخصوم، لا يتركون الحادث يمر بسلام ، ويعكفون على النفخ فيه ليتضخم حجمه فيطفو على السطح بأمل ان يحجب تحت ورمه صفاء الحقيقة الرائعة .

ظهر اخيرا فى مجلة «المناهل» مقال حول احمد بابا التمبكتى السودانى المذكور آنفا لا اريد ان احلله او انقده تفصيلا ، وانما اكتفى بالاشارة جملة ، الى التعريض المكشوف بشخصية المنصور السعدى احد رجالات الإسلام العظام ، والى التنديد المردود بجهود المغرب وتضحياته ومواقفه البطولية لنصرة الاسلام ، وتوحيد ارض المسلمين ايام الاشراف السعديين ، وتحرير الشعوب الافريقية من دنس الكفر والشعوذة والسحر والاسترقاق .

لقد الفنا تحامل بعض المستشرقين اليهود والمبشرين المسيحيين والخصوم على ابطال الاسلام وتشويه سيرتهم وطمس معالم الاحداث العظام فى تاريخ الاسلام .

هاجموا الصحابى الجليل سيدى عقبة بن نافع واتهموه بالقسوة مع زعماء البربر واتباع سياسة العنف وجردوه من الدهاء السياسى والخبرة الادارية. وفاتهم حتمية فشل مسعاهم وافتراءاتهم لان عقبة الذى كبر فى حجر صحابة رسول الله لا ينسى موقف الاسلام من المؤلفة قلوبهم وحديثى العهد بالاسلام ، كما لا يمكن ان ينسى المرابط العابد مستجاب الدعوة قول ربه : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» وقوله تعالى : «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك». سيدى عقبة الصحابى الذى انفق ربع قرن بالصحراوات وسط البربر بطول وعرض مساحة المغرب العربى يفتح البلاد ويهدى العباد للاسلام ويعلم الى ان اصبح الشخصية الاسلامية المثالية بالنسبة لهم ، يتهم بجهل نفسيات البربر . عقبة مخطط الاستراتيجية الاسلامية بالغرب الاسلامى ومؤسس القاعدة المتقدمة الكبرى بالقيروان سبب تثبيت الفتح وتحويل الشمال الافريقى كله الى العروبة والاسلام ، يتهم بنقص الخبرة الادارية اللازمة للامراء.

الكاهنة الزناتية اليهودية صاحبة الرئاسة والزعامة على البربر البتر بجبال الاوراس هزمت جيوش حسان فعاد الى برقة يستعد للقاء حاسم. لم تدخل الكاهنة القيروان وعادت الى الاوراس وشرعت فى تنفيذ سياسة الارض المحترقة او الارض المخربة ويثبت ابن عذارى قولها للبربر (ان العرب انما يطلبون

من افريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نريد منها المزارع والمراعى فلا نرى لكم الا خراب افريقية كلها حيث ييأس منها العرب). وكانت افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة فخرجت الكاهنة ذلك كله . نهض المستشرقون ونهض زعيمهم ليفي بروفنسال اليهودي ليؤيد جاتو في نسبة حادث التخريب الى العرب وتبرئة الكاهنة اليهودية دون دليل مادى او تاريخى على الرغم من ان النصوص التى يعرفونها توضح الحكمة من التخريب كخطة عسكرية شكلا وموضوعا تهدف الى صرف انظار الفاتحين عن الارض المحترقة . لقد اكتشف ذلك البرانس وأسفوا لزوال العمران ، وندم الروم على زوال العمارة وفطن البتر الى ضياع الاقتصاد الوطنى وانصرفوا عنها فكانت نهاية الكاهنة ولجأ ولداها الى حسان وعاشا مكرمين فى ظل الاسلام . ولا زال المستشرقون يتهمون العرب بالتخريب .

تحامل مقال احمد بابا التمبكتي السوداني :

اقول تحامل المقال ولا اقول تحامل كاتب المقال الدكتور شوقى عطا الله ، ذلك اننى احترم كاتب المقال والا ما سمحت لنفسى ان ادخل معه فى الحوار ولهذا الخص الآن بعض المآخذ فقط على شكل ومضمون وهدف المقال .

اولا ـ فمن حيث الشكل : نلاحظ ان المقال يشغل ثلاثا وثلاثين صفحة من صفحات المجلة خصصت تسع عشر منها للتعريف بالشخصية فى مقدمة المقال ثم اثنتى عشرة صفحة بآخر المقال لمؤلفات احمد بابا السودانى بينما يتركز صلب المقال بطول اثنتى عشرة صفحة على الظروف التى جاء فيها الى المغرب مما لا يتفق مع عنوان المقال ، احمد بابا فى ضوء بعض مخطوطاته . هذه الملاحظة ذاتها تدفعنا لنسأل سؤالا جديدا ، هل وضع المقال لدراسة شخصية احمد بابا السودانى ودراسة مؤلفاته، او انه خصص اصلا لاثارة مشاكل جديدة حول فتح الاسلام للسودان ؟ لماذا اقحم الفتح الاسلامى للسودان وشوه على هذا النحو ؟ يقول كاتب المقال (ليس هذا مجال الحديث بالتفصيل عن دوافع تفكير المنصور فى غزو السودان ، لكننا نشير فقط لبعض الاحداث المتصلة بهذه الحملات لارتباطها بموضوع حديثنا) ثم يقحم فتح الاسلام للسودان بالصورة التى يريد .

ثانيا ـ ومن حيث المضمون : فليس من الصعب على القارىء ان يلمس بكل سهولة عددا من المواطن تتخلل المقال تثير التهكم على المغرب ، والتهكم على المنصور وتبرز وتبرر وتشجع التصدى للسلطان ومناوأته ، مع تجسيم حادث النكبة والتأكيد عليه وتكراره اكثر من ثمانى مرات فى المقال الواحد ، ورسم هالة كبيرة فى عدة مناسبات حول الاسرة المنكوبة ليصبح الحادث العابر جريمة لا تغتفر ونكتفى هنا بالاشارة فقط الى بعض النصوص الواردة بالمقال.

يبدو التهكم على المغرب مقحما دون هدف علمى واضح يحتاجه البحث من ذكر رواية خروج احمد بابا من مراكش فى طريق العودة لموطنه . نقل كاتب المقال ان اعيان الطلبة خرجوا لتشييعه فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى : «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » على عادة المودعين للمسافر ، فنزع ابو العباس يده بسرعة وقال (لا ردنى الله الى هذا الميعاد ولا رجعنى لهذه البلاد)، هذه العبارة ماذا تفيد الباحث فى دراسة حياته ومؤلفاته ؟ وما الهدف منها ؟ ثم القصة الاخرى التى ينقلها المقال للتهكم على المنصور من خلال مقابلة احمد بابا للسلطان بقصر البديع ومخاطبة السلطان بقوله : أنت تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة فى الكلام معنا فانزل لنا وارفع الحجاب عنا. اى حاجة لك فى نهب أمتاعى وتصفيدى من تنبكت الى هنا . وعندما قال السلطان (أردنا كى تجتمع الكلمة) قال الشيخ (هلا جمعت بترك تلمسان وما يليها من البلدان فانهم أقرب منا) فقال السلطان : قال النبى صلى الله عليه وسلم : اتركوا الترك ما تركوكم فامتثلت للحديث، فقال الشيخ (ذلك زمان ـ وبعده ـ قال ابن عباس لا تتركوا الترك ولو تركوكم، فسكت السلطان ولم يجد جوابا .

ان مهمة النقد التاريخى التى ينبغى الا تغيب عن الاستاذ الجامعى تمنعه من استعمال النصوص قبل تحليلها ومقابلتها ودراستها دراسة موضوعية لاستخلاص وجه الحقيقة التاريخية من الشوائب وتنقيتها من الاخطاء .

لا تقف امام سلطان النقد بأى سلاح . اذ كيف يعقل سيادته ويقبل الرواية التى تجعل من احمد بابا المثقف فى النكبة بطلا يهدد اكبر سلاطين الاسلام علما وعملا على عصره وداخل قصره الذى احتار فى

وصفه المؤرخون . ان الوقاحة التي تخرج عن حدود الالتزام بالآداب السلطانية بلغت من الحدة ما بلغت لا يمكن ان تصل الى الحد الوارد في القصة .

اليس في اقحام مثل تلك القصة التي يرفضها المنطق والواقع تشجيع ضمني لكل حاقد وحاسد بالخروج على السلطان ، وتجاهل الاوامر الالهية باطاعة الله والرسول وأولي الامر ما داموا على هدى من الله؟

الم يجد الكاتب في حياة احمد بابا غير قصة النكبة فيذكرها ويعيدها ثم لا يلبث ان ينكرها ليعيدها ثماني مرات؟ ولنتامل بعض فقرات المقال حول النكبة :

يقول الكاتب (لكن الظروف التي جاء فيها احمد بابا نفسه الى المغرب ـ كما سنوضح ـ كانت ظروفا قاسية بالنسبة له وتركت في نفسه اثرا اليما) ص 153 (1) .

ويقول (ولقد فقد احمد بابا في هذه الرحلة ستمائة والف مجلد من الكتب والمؤلفات التي كانت تحتويها خزانته ومما ورثه من اسرته فقد كان الامر ان يقتادوا ومعهم كتبهم كما سقط اثناء الطريق عن ظهر جمله فكسرت ساقه) ص 153 .

ويقول (لاشك في ان هذه الظروف التي المت به في رحلته هي التي جعلته يشعر في نفسه بالمرارة طوال مدة اقامته بالمغرب) ص 154 .

ويقول (ويشير احمد بابا . انه هو وطائفة من اهل بيته امتحنوا بثقافهم في بلدهم في محرم عام اثنين والف على يد محمود بن زرقون لما استولى على بلادهم وجاء بهم اسارى في القيود فوصلوا مراكش ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف الى ان انصرم امر المحنة) ص 158 .

ويضيف كاتب المقال (فانهم لم يتحملوا وعورة الطريق والرحلة التي ارغموا على القيام بها ولا سيما انهم كانوا قد قبض عليهم ووضعوا لمدة أشهر في السجن متقلين بالسلاسل ولذا فقد مات منهم كثيرون . لكن عمر اكمل الرحلة هو واحمد بابا المؤرخ المشهور والذى فقد في هذه الرحلة كل اعماله فلم يبق منا شيء) ص 159

ويذكر كاتب المقال على لسان احمد بابا قوله (ولما خرجنا من المحنة طلبوني للاقراء.) ص 161 ويضيف (ويبدو ان ما اصابه في اثناء نقله من بلده الى مراكش حيث وقع من على الجمل وكسرت ساقه وفقد معظم كتبه لم يفارق مخيلته وكان دائما يعبر عن هذا الظرف في كلامه بالكائنة العظمى) ص 163.

وكان من قبيل تشويه صورة المنصور وصفه بالغدر كما يستنتج من روايته عن عمر بن محمود قاضي تمبكتو الذي ارسل رسلا الى السلطان المنصور وان الرسل استقبلوا في القصر استقبالا وديا وأعيدوا ومعهم قاض يسمى بوختيار يحمل امرا مشددا بحسن المعاملة . لكنهم بعد ان وصلوا تغازى علموا انهم خدعوا وأن المنصور ارسل خلفهم رسولا بأوامر مغايرة تقضي بالقبض على عمر وعلى علماء تمبكتو وارسالهم وأسرهم وكتبهم وما يملكون الى مراكش بحد الصحراء ونفذ الامر . ص 159 .

ومن حيث المضمون كذلك يلح الكاتب على تضخيم المشكلة بالتاكيد مرارا على مسألتين ، الاولى بتنظيم قيمة الاسرة وتكرار ذلك مرارا ، والثانية رسم عملية الفتح الاسلامي في ابشع صورة :

* هذا وينتمي احمد بابا الى بيت علم وصلاح توارث العلم فيه نحو خمسمائة سنة ، لا يخافون في الحق لومة لائم يهابهم الخلق كلهم السلطان فما دونه . ص 147 .

* وكان والده صلبا في الحق يغلظ للملوك فما دونهم وكانوا ينقادون له اعظم الانقياد .

ولما مرض في كاغ في بعض اسفاره كان السلطان الاعظم اسكيا داود يأتي اليه بالليل ليسهر عنده . ص 147 .

ويشيد الكاتب بمكانة جني وتمبكتو ليبرز حجم الجريمة التي يراها في الفتح الاسلامي للسودان .

يقول الكاتب ص 150 (كانت جني وتمبكتو في ذلك الوقت من مراكز العلم والحضارة الاسلامية) ويضيف ان تمبكتو كانت في ذلك الوقت الذى حاول المنصور فيه مد نفوذه للسودان العاصمة الثقافية للاقليم ص 157 .

1) مجلة المناهل ، الرباط ـ العدد السادس

اما الفتح الاسلامي في نظره فهو التوحش والقوة (.. لكن الفوضى عمت البلاد بسبب غارات الطوارق . كما ظهر بين شعب الصنغاي ثائر جديد فاضطر القائد المغربي محمود بن زرقون ان يشن على تمبكتو هجوما عنيفا ودخل المدينة وقتك بعدد من الصنهاجيين ، واستباح الاموال والثروات، وقبض القائد محمود بن زرقون على العلماء، ورجال الرأى الذين بقوا احياء من اهل تمبكتو.) ص 158 من المقال موضوع الرد .

وكان من أخطر ما تضمنه المقال على سبيل المثال :

1 ـ كان ذلك في عهد المنصور السعدى حيث نشب الخلاف بين المغرب ودولة صنغاى او مملكة غاتر وترتب على ذلك دخول القائد المغربي مدينة تمبكتو حيث قبض على احمد بابا وافراد اسرته واقتيدوا الى مراكش ، وقيل ان السبب في القبض عليهم وترحيلهم الى المغرب انهم رفضوا الاعتراف بسلطان المنصور على بلادهم ودعوة الناس الى ذلك. ص 153 .

2 ـ وقبض القائد محمود بن زرقون على العلماء ورجال الرأى الذين بقوا احياء من اهل تمبكتو . ص 158 .

3 ـ يمكن ان نستنتج ان اعتقال هؤلاء وابعادهم عن بلادهم يرجع الى ما كان لهم من نفوذ وتأثير على مواطنيهم ، وانه كان يخشى من مقاومتهم للجيش المغربي ودعوتهم مواطنيهم لذلك بعد ان اتضح عدم انقيادهم لما دعاهم اليه السلطان المغربي من الطاعة ودعوة الاهالي لذلك . ص 159 .

4 ـ يشير كاتب المقال الى قصة حوار احمد بابا مع السلطان المنصور السعدى بقصر البديع بمراكش، تلك القصة الخرافية التي ساقها دون درس وتمحيص ونقد تاريخي ، يشير اليها بعبارة (هذا الحديث الطريف بين المنصور واحمد بابا يعكس بعض الآراء التي اثيرت حول حملة السلطان للسودان) ويعلق عليها بقوله (وهذا يدل على ما كان يتصف به احمد بابا من جراة في التعبير) ص 160 ، وهكذا يعتبر الكاتب تلك الرواية حادثا تاريخيا ثم يصف الوقاحة (ان حدثت) بالجرأة ويؤكد جهل المنصور بالحديث الشريف ورواية ابن عباس .

ثالثا ـ من حيث الهدف :

يسوقنا هذا كله للكلام عن هدف كتابة المقال في مجلة مغربية مسؤولة وفي قمة الاحداث التي يخوضها المغرب اليوم .

ولهذا نتساءل عن هدف الكاتب من تفسير القبض على العلماء واصحاب الرأى في تمبكتو بانهم رفضوا الاعتراف بسلطان المنصور ، هل يقصد الكاتب التعريض بالمغرب وسلطانه المجاهد في سبيل نشر الاسلام بالسودان وجمع كلمة المسلمين ؟ او انه يهدف الى تشتيت الصف ووحدة الهدف في معركة الوحدة الوطنية الجارية احداثها بقصد عودة الاسلام المعاصر لاحياء معالم الحرية والعدالة والحق والبعث الحضاري بالعالم الافريقي عبر الصحراء المغربية .

ان التاريخ لا يعدو ان يكون مجموعة جهود وتصرفات وانجازات تعرف النجاح كما تعرف الفشل وتعرف التوفيق كما تعرف الخطأ ، انه مسيرة لا تخلو من اشراقات كما لا تخلو من ثغرات . ان الدخول من الثغرات لاصطياد الشكوك والباسها ثوب الحقيقة دون تحقيق ظاهري وباطني للنص التاريخي لا يفيد الاجيال الحاضرة وانما يقصد به التضليل على طريقة ابى نواس (.. بل قال ويل للمصلينا) ان المسيرة المثلى التي يحياها المغرب اليوم تحتاج الى رؤية الامجاد ومعرفة فضل الوحدة والجهاد ، لتدفع المثل والمبادىء السامية المستخلصة من سجلات التاريخ مجموع الامة الى انجاز جلائل الاعمال التي سطرها الشعب بجده ونضاله ، وقديما قالوا لكل مقام مقال .

جوهر الموضوع والتكوين النفسي للمنصور السعدي

لقد اغفل كاتب المقال لب الدوافع التي تمخض عنها الاحداث الكبار ، وتغاضى عن جوهر الحقيقة في دراسة الموضوع الا وهي الدوافع النفسية الكامنة وراء الاحداث على الرغم من انه اشار الى كتاب بوفل الذي ذكر ان الاثار المترتبة عن موقعة وادى المخازن قد ملأت السلطان بالثقة في نفسه وجيشه . فلو ان الكاتب تنبه الى الحقيقة التي قررها بوفل وسعى باخلاص لتحديد المعالم الشخصية والتكوين النفسي للمنصور السعدى لما سمح لقلمه ان يخط تلك التهجمات على الاسلام والمغرب والمنصور .

ان اول ما ينبغي ان يلتزم بـه ناقـد لحـادث تاريخي او شخصية تاريخية بارزة ان يضع نفسه في ظروف المكان والزمان والتصورات النفسية والمكونات الشخصية التي تدفع الى سلوك اسلوب معين كيفما كان . انه لم يفعل ، سوف يصدر احكاما بعيدة عن الصواب تدور حسب هواه حول مظاهر الاحداث ولا تتصل بحقيقتها او تمس جوهرها .

ولعلي استطيع القول بأن فلسفة الاسلام لازالت خافية على كاتب المقال رغم احتكاكه الظاهر بالمسلمين، وان الناحية الروحية البارزة في تصرفات الساسـة المسلمين لا زالت بعيدة عن مدى مشاعره .

التكوين النفسي للمنصور السعدى :

هو ابو العباس احمد المنصور بالله ابن ابى عبد الله الشيخ والحرة للا مسعودة الوزكيتية . نشأ فـى بيت عفاف وصيانة وتعاط للعلـم ، وكـان حسـن السياسة حازما يقظا مشاورا فى مهام الامور . اتخذ يوم الاربعاء للمشورة وسماه يوم الديـوان لمشـاورة وجوه الدولة فى جلائل الامور .

وهو المنصور صاحب الانتصار الشهير في واقعة من اكبر مواقع الاسلام الفاصلة بوادى المخازن سنة 986 هـ (1578م) ، تلك الموقعة الشهيرة التى شهدها اربعة ملوك وقتـل فيها الطاغيـة سبستيان . انـه المنصور مؤسس الحصون ومدعم الثغور لحماية ارض الاسلام . انه المنصور الذى احدث مصانع السكـر بالبلاد فتدفقت على المغرب الخيرات التى بنى منهـا قصر البديع الذى انفقت فيه جلائل الاموال وتسابقت فى وصفه الاقوال .

انه المنصور الذى لمعت مكانة المغرب على عصره فى شتى نواحي الاقتصاد والعمران والحضارة والقوة العسكرية الضاربة . لقد وردت على المنصور رسائل السلطان العثماني وأصحاب الجزائـر والبرتغـال والاسبان ، كما قدمت رسل طاغية افرانسة وسائـر ممالك الاسلام بالهدايـا والنفائـس بعد واقعـة وادى المخازن احتراما لكلمته وتقديرا لقوته .

انه المنصور الذى نجح فى انعاش الاسلام ببلاد الصحراء تيكورارين وتوات واحيى بتلك النواحي ذكر الله وسنة رسوله الكريم سنة 990هـ ودخل فى طاعته صاحب مملكة برنو من ملوك السودان وتسامت همته لانجاز اكبر نجاح سياسى ودينى بتجديد الاسـلام وتوحيد ممالك المسلميـن ببـلاد السـودان الغربـى وافريقيا الغربية ، الى ان انتظمت الممالك السودانية فى سلك طاعته ما بين بحر المحيط من اقصى المغرب الى بلاد برنو المتاخمة لبلاد النوبة ، فكانت كلمتـه نافذة فيما بين بلاد النوبة الى البحر المحيط مـن ناحية الغرب فى ملك ضخم لم يعرف لملك من قبله.

عرف المنصور كيف يوجه الثروة الاقتصادية الهائلة لانجاز المشاريع العمرانية الجليلة بالمغرب ، تلـك المشاريع التى توج هامها بتشييد قصر البديع ، كما وجه همه وسخر اقتصاد المغرب لصالح الاسلام بالقارة الافريقية ، لقد ادرك بثاقب نظره وتكوينه الاسلامـى ان ثروة المغرب فيئا للمسلمين اينما كانوا .

ومن كل هذا نتبين اهم العناصر المكونة لشخصية المنصور السعدى من حيث النشأة على الدين الصحيح والعفاف وتعاطى العلم وحسـن السياسـة والتمسـك بالمشورة ، والالتزام بمثل الاسلام ومبادىء العـزة والنخوة العربية التى توارثها اجداده الاشراف كابر عن كابر ، كل ذلك فى رحاب الروح قبل المادة، والغاية النزيهة والقصد الشريف قبل المظهر والوسيلة .

انه اذا التسامي بالروح فوق قيـود المادة ، والاقتناع الداخلي العميق بقوة الاسلام المستمدة من قوة عليا فوق حدود الطبيعة تستلهم غاياتها المثلى لسعادة الانسان فى الدارين والجمع بين الحسنيين .

الناحية الروحية فى حياة وتصرفات امير المؤمنين أبى العباس أحمد المنصور بالله

أولا : عاش ابو العباس احمد المنصـور بالله حيـاة الروح المتعلقة بـرب العالميـن ورسـول رب العالمين ، وانعكس ذلك الاحساس على المؤرخيـن الذين تناولوا سيرته قصدا او ضمنا ومنذ ما قبـل توليته ، والناس كما يقال على دين ملوكهم .

نقل ابو العباس احمد السلاوى فى الاستقصـا عن الامام ابى زيد من كتابه الفوائد الجمة قوله : (اخبرنى الفقيه ابو العباس احمد صاحب الحسبـة بتارودانت انه رأى فى منامه كانه فى حلقة يسرد فيها صحيح البخاري بموضع من دار الخلافة بها ، وابـو العباس المنصور يومئذ بها ، وذلك قبل ولايته ، قال فرأيت فى طرة الكتاب هذا اللفـظ ـ ورى الزند ـ

فكنت اتأمل معناه فالتفت فاذا برجل انعزل ناحية على طنفسة .. وقلت ياسيدى ، ما معنى هذه الكلمة .. فقال لى : قل لمولاك احمد انا الذى اوريت زنداه ما دمت على الحق.. فقلت له ومن انت ياسيدى فقال لى: رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لم يمض الا قليل حتى ولى الخلافة وحمدت سيرته) (2) .

ونقل السلاوى كذلك عن صاحب ابتهاج القلوب (ان الشيخ ابا عبد الله الملقب بكدار . رأى النبي صلى الله عليه وسلم يوما فشكا اليه اولاد مطاع لما رآهم عليه من العناد فى الارض . فقال له النبي : يأتيهم احمد فكان كذلك ، اتاهم عقب ذلك السلطان ابو العباس المنصور فأخذهم وفل جمعهم)(3) واخبار المنصور فى هذا النمط كثيرة .

ان رؤية الرسول صلوات الله عليه امر شائع يتمتع به المخلصون المتحرقون شوقا الى رؤياه وهو امر كثير الوقوع ، ولو شك منكر فى حقيقة الرواية التاريخية وافترض انها موضوعة من جانب المؤرخين والرواة ، فان ذلك الشك لا ينفى ان المؤرخين والكتاب والقراء يعلمون تعلق المنصور بربه ونبيه الكريم منذ ما قبل خلافته ، ويدركون مبلغ تساميه الى القوة الروحية العظيمة ، فسجلوا ما يعلمون انه يسره ويتفق مع خاطره .

ثانيا : وكان من دلائل بروز الناحية الروحية فى حياة المنصور اعتناؤه بارسال رغبته الى علماء مصر(4) يستجيزهم رغبة فى اتصال حبل السند ، فكان ممن اجازه الامام العارف بالله ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابى الحسن البكرى (فمولانا مجاز من هذا العهد . وكذلك مجاز اهل العصر اجازة عام بعام ليكون ابناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام فانه هو السبب فى تحصيل ذلك المرام وكتب تحريرا فى رابع عشر ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة محمد بن ابى الحسن العلامة ابو عبد الله محمد بن يحيى المصرى الشهير الصديقى سبط آل الحسن) .

وكان ممن اجازه ايضا من علماء مصر الامام بدر الدين القرافي صاحب ذيل الديباج فاجازه اجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله :

وقد ابديت حقا لا محالا

بما صار الامام به مجازا

بدار الهجرة العليا امام

بما ابداه من فضل مجازا(5)

ثالثا : وكان من دلائل تعلقه بالشرع والدين واحترام ارباب العلوم والفتوى اقدامه على استفتاء علماء حضرته بشان ملاحة تغازى فى جنوب اقليم توات ليبتنى امره على اساس من الشرع فافتى كبار المشيخة وأرباب العلم بما هو معلوم فى ذلك لأئمة المذهب وعلماء السنة من ان للامام فيها النظر بما يوافق مصلحة الجماعة الاسلامية . وعندما سطروا بذلك فتاويهم ووضعوا عليها خطوط ايديهم امر المنصور بكتابة رسالة الى ملك كاغو ارسلت صحبة الفتوى، وقد تضمنت اللين من القول والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . ونقرأ منها :

(..الى رئيس كاغو وكبيرها .. اسحاق سكية ابن داود وصل الله لكم اسباب هدايته وتوفيقه ... وغير خفى على من ذاق حلاوة الايمان وخالطت بشاشته قلبه وألقى الى عواتف الشريعة كتابا وسنة سمعه ولبه ، اننا بهذه الاثقال دون غيرنا مطالبون... لما اختصنا الله به من امامة الجماعة... وقلدنا من حماية بيضة الاسلام والذب عن امة نبيه عليه السلام.. هذا ومما وقف بنا عليه بعد استخارة الله زائد الاختيار .. وما تعاضدت شواهد الشرع على اعتباره.. وذلك هذه الملاحة المعدنية التى تضرب اليها اكباد الابل.. لبلاد تغاز.. وقد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الاسلامي والاسطول الجهادى .. وها نحن انفذنا اليكم بما لأئمة المذهب فى هذه المسالة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج والنصوص لتعلموا ان للامام فيها النظر والاجتهاد(6) .

2) الاستقصا ج 5 ص 90
3) الاستقصا ج 5 ص 91
4) الاستقصا ج 5 ص 115
5) الاستقصا ج 5 ص 116
6) الوثائق ـ المجموعة الاولى ، المطبعة الملكية ـ الرباط 1976 ص 372 وانظر مناهل الصفا ص 123

رابعا : حرص المنصور على ان يسجل في الرسالة الدورية التي ارسلها لسكان المملكة بعد تمام فتح السودان تلك العبارات التي نلمس فيها قوة الناحية الروحية :

(.. فاستخرنا الله الذى لا يخيب من توكل عليه ولجا في عظائم الامور اليه واحتفلنا لذلك بما يليق له من الاهبة والاستعداد..)

خامسا : كان المنصور شديد التأثر بالحديث الشريف الذى حفظه عن الرسول عليه السلام فيما يخص خطة السلوك تجاه الاتراك ، ولهذا كان المنصور ـ حسب ما نقله السلاوى عن خلاصة الاثر ـ موادعا سلاطين آل عثمان فيرسل اليهم بالهدايا في كل سنة وكانوا هم يرسلون اليه بالمكاتب والخلع السنية حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب اليه : لك على العهد الا امد يدى اليك الا للمصافحة..(7)

وهكذا يتضح على ضوء ما قدمت من حجج وبراهين وجوب النظر اولا في التكوين النفسي للمنصور لمعرفة الخلفيات التي تفسر اسباب حملة السودان وتكشف عن سلوك المنصور وجيش الاسلام في فتح تلك الديار.

اشارات وتنبيهات حول حملة السودان

اولا :

نشير اول ما نشير الى نص رسالة وجهها المنصور السعدى الى داود كانته رئيس المملكة الكابية لنلمس منها نوعية السياسة التي اتبعها المغرب في فتوح الاسلام بالسودان وندحض بها النصوص الافترائية الواردة بمقال احمد بابا موضوع ردنا والتي تتهم المغرب بالعنف وتنعت المنصور بالقسوة :

(الى رئيس المملكة الكابية من تخوم ممالكتنا السودانية ، داود كانته الهمكم الله رشد انفسكم...

وانك مع ذلك تصد من جاء من اهل الممالك التي وراءك كأهل أكنو وأهل كاشنة ومن اليهم ممن يبتغي الدخول في الطاعة لينتظم في حزب الله المفلح فتردهم وتصدهم بذلك عن السبيل المنجح ، ونحن وان أقدرنا الله تعالى بعونه على معالجة كل من حاد عن طريق الهدى ولم يسلك سبيلا راشدا ، فلا بد ان نجرى في طريق الاعذار على مجارى السنة ونتمثل قوله تعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . ونحن ندعوك اولا الى الطاعة والدخول في سلك الجماعة ، الا انك ان كنت آخذا بشعائر الاسلام ، فلا يخفاك ما افترض الله لأمتنا النبوية عليك وعلى طوائف السودان من الطاعة الواجبة بالكتاب والسنة واجماع الائمة الاعلام ، والى هذا **فان أجبت الى الطاعة وشروطها ، فانت آمن في نفسك ورعيتك وبلادك ومكنون برعايتنا التي تكنفك من جميع جهاتك .. بل تنام مطمئنا هادئا على مهادك ولك منا مع ذلك الاعتضاد باجنادنا المظفرة بالله على اعدائك وأضدادك**(8) .

ثانيا :

لم يكن المنصور من الاستبداد المطلق بالرأى والغطرسة والكبرياء والتعالى المفرط الذى قصده كاتب المقال من سرد الرواية الخرافية لمقابلة احمد بابا للمنصور ومحادثته من وراء الحجاب بقصر البديع. ولم تكن جماعة المسلمين من الخنوع والخضوع المطلق لرأى الحاكم ان لم تتوسم فيه الصواب . ولم تكن سياسة الاسلام في عصر الاشراف السعديين سياسة كبت وتكميم للافواه .

دليلنا على ذلك رواية مفاوضة المنصور لاصحابه وأهل الحل والعقد والرأى والمشورة في امر غزو اسحاق سكية بعد رفضه الطاعة والدخول في الجماعة.

ذكر الفشتالى خبر ذلك الاجتماع الشهير حيث (قال المنصور لمستشاريه انى عزمت على منازلة امير السودان صاحب كاغو وبعث الجيوش الاسلامية لتجتمع كلمة المسلمين وتتحد الرعية .. وسكت الحاضرون ولم يراجعوا بشيء فقال لهم أسكتم استصوابا لرأيي او ظهر لكم خلاف ما ظهر لي ، فاجاب كلهم بلسان واحد ورأى متفق ان ذلك رأى عن الصواب منحرف. فلما قضى اولئك الاقوام كلامهم. قال : ان كان هذا غاية ما استضعفتم به امرى .. اما قولكم... وأما قولكم .. ، وأخذ المنصور يرد على ما جاء بمقالهم ويفنده ويوضحه ، فلما فرغ من خطابه وأبدى اسبابه استحسن الحاضرون جوابه واستجادوا

---

7) **الاستقصا ج 5 ، ص 97**

8) **الوثائق ـ نفس العدد ص 394 ـ 396**

رأيه واستبانوا صوابه وانفصل الجمع على البعث الى السودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور فى رأيه..)(9)

تـالثـا :

التزم المنصور فى سيرته خطة الوفاء بالعهد فى وضوح وامان واطمئنان ، ولو ان آل سكية فى كاغو وضعوا الثقة فى عهود امير المؤمنين المنصور كما فعل غيرهم ما كانت الغزوة لتخرج ، ولو ان احمد بابا السوداني وآله قد تنبهوا الى تلك الميزة التي طابعها خاتم الايمان المطلق بالله واطمانوا على مكانتهم فى بلدهم بعد الطاعة وتطويع ونصح الرافضين ما حلت بهم النكبة ، خاصة وانهم كانوا اهل علم وقد سبق لهم الورود على المغرب الذى تعرفوا سلوكه واستجلوا سياسة الاسلام فيه ولمسوا صدق وعود المنصور لغيرهم من امراء وملوك السودان .

جاء فى الوثيقة 126 من المجموعة الاولى للوثائق نقلا عن رسائل سعدية نص كتاب المنصور السعدى الى الرئيس محمد باى بن سورى ، وهى احدى رسائل المنصور الى ملوك السودان وامرائهم :

(الرئيس المكرم الارضى ... الامجد الانزه المكين الانبه..

... هذا وقد انهى الى مقامنا العلى كتابكم الاثير قرر انكم على السعى الجميل .. فاستوعبنا كل ما قررتم من ذلك جملة وتفصيلا وشكرنا فيه تعريفكم شكرا جميلا ... وان اغراضكم فى هذه الابواب العلية مقابلة بوجه الترحيب ، وما ينهى من رسائلكم مودع من جميل رعايتنا وشريف التفاتنا بالمحل الفسيح والمكان الرحيب...)(10) . الا ما اشبه اليوم بالبارحة اليس هذا نفس ما قاله امير المؤمنين الحسن الثاني غرة الاشراف العلويين للحاج خطري ولد سيدي سعيد الجماني الزعيم الصحراوى الكبير عندما اعلن دخوله فى الطاعة ، ثم ما اجمل الوفاء الذى وفى به ملك العلويين كما كان وفاء ملك السعديين .

كما جاء بالوثيقة 127 من المجموعة الاولى للوثائق نص رسالة اخرى من المنصور الى الرئيس محمد باى بن سورى ننقل منها :

(الرئيس الذى اخلص له خلوص ولائه لمقامنا .. وأوضح له صفاء وده من جنابنا الكريم.. والى هذا فاعلموا أن هذا المقام الكريم مقام رعيكم واعتباركم والتنويه بشأن مقداركم ، وأن اغراضكم فى هذه الابواب العلية مقابلة بوجه الترحيب ، وكل ما ينهى من مسائلكم ويرد فى رسائلكم مودع من جميل رعايتنا وشريف التفاتنا بالمحل الفسيح .. والبرور الشامل لكم والبر الموصول والسلام . (11)

أليس من حقنا الان ان نتساءل ، لماذا يعرض كاتب مقال احمد بابا بالمنصور ويدس النصوص التى تتهمه بالغدر ولا ينظر فى تلك النصوص التي تفسر سلوكه الروحي والاسلامي . أليس البر بالوعد خطة ملوك الاسلام بالمغرب قديما وحديثا ، فلنتأمل اذا مضمون الرسالتين السابقتين ونتصور مدى التطابق المدهش بين سلوك الاشراف فى الدولتين عندما نستحضر امامنا لقاء الحاج خطرى بأمير المؤمنين الحسن الثانى لتجديد بيعة اهل الصحراء وتقديم قائمة طويلة بطلبات عديدة لاصلاح ما افسده الاستعمار بالصحراء، ألا يذكر كاتب المقال رد جلالة الحسن الثانى تلقائيا ودون تردد وسط خضم الاحداث العالمية التى عاشها المغرب الا يعرف كاتب المقال المكانة البارزة التى يحتلها الحاج خطرى وأهله الآن وما خطته السياسة المغربية الحسنية على أرض الصحراء !

رابـعـا :

رأينا فى سبب الحملة المغربية للفتح الاسلامى ببلاد السودان :

لم تكن فتوح الاسلام المغربية بالسودان ذات طابع اقتصادى او توسعا اقليميا طامعا فى خيرات البلاد المجاورة .

لم يكن القصد المادى سبب الفتح الاسلامى هناك وهو حجة طالما فسر بها المستشرقون حركة الفتوح الاسلامية . لقد تحركت الحملات بعد ان بلغ المغرب درجة عالية من الاكتفاء والمنعة والرخاء الاقتصادى الذى مهد لاقامة قصر البديع ذلك القصر

9) الاستقصا ج 5 ، ص 111 ـ 112
10) المجموعة الاولى الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية ص 397 ـ 398
11) نفس المصدر ص 399 ـ 400

الذى كان يكفى بمفرده للاخلال باقتصاد اية دولة اخرى على عصره . ان احمد بابا نفسه عندما اقتيد من بلاده بسبب عصيانه ومثل امام المنصور كان ذلك الحدث بقصر البديع .

لقد كان سبب الحملات التكوين النفسي الديني والقومي للمنصور السعدى ، واستشعاره المسؤولية كامير للمؤمنين فى توحيد كلمة المسلمين والجهاد فى سبيل الله ، ونشر الاسلام والعدالة وتحرير الانسان المسلم بممالك السودان ، ومحاربة الكفر والسحر والشعوذة .

كما كان من تكوين المنصور النفسي التحيط الشديد والميل للحزم فهو الذى اخترع اشكالا من الخط على عدد حروف المعجم يكتب بها ما لا يريد ان يطلع عليه احد ويدفع بسره الى خواصه وقواده ليفكوا بها رسائله بالشفرة التى حددها(12).

وكان من حزمه مع المسلمين انفسهم ما قابل به اولاد مطاوع عندما مالوا الى الفساد فى الارض وشكا بهم الناس قبل ولاية المنصور فجاء المنصور وطوعهم وقل جمعهم (13) . وكذلك فعل بعرب الخلط عندما عاثوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد ومدوا ايديهم الى اولاد مطاع فنهبوهم وضايقوا بنى حسن وكثرت الشكاية بهم ، لقد انتزع خيلهم ثم احكم السيف فى رقابهم واستاصل جمهورهم (14).واذا كان ذلك هو حال المنصور مع عرب المغرب المسلمين اذا مالوا عن الجادة ، فكيف نتصور موقفه ازاء الكفار والسحرة وتجار الرقيق ببلاد السودان ؟

ذكر احمد بابا السودانى نفسه بمعراج الصعود تفصيلا ختم به كلامه وذكر قبائل من كفار السودان مثل موشى وغيرهم وقال ان كل من كان من هؤلاء من القبائل فيجوز استرقاقه .

كما نقل السلاوى عن ولى الدين بن خلدون ان وراء النيل قوما من السودان يقال لهم لملم كفار يكتوون فى وجوههم واصداغهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب(15).

وكان فى جيش اسحاق سكية الذى قصدته جيوش الاسلام المغربية بأمر المنصور كثير من السحرة والكهنة ، لقد شعر سكية بقدوم جيوش المنصور ونزولها على مدينة تنبكتو ثغر السودان فحشد امم السودان وقبائلها فجمع مائة الف مقاتل وأربعة آلاف مقاتل . قال الفشتالى ولم يقنع بالجيوش التى جمع حتى اضاف اليها اشياخ السحرة واهل النفث فى العقد وأرباب العزائم والسيمياء، ظنا منه ان ذلك يغنيه شيئا(16) .

خامسا :

اذن كانت ممالك السودان على الرغم مما فى بعضها من الاسلام فلا زال بها الكفر والسحرة والشعوذة واسترقاق الانسان لاخيه الانسان وكل ذلك يعلمه امير المؤمنين المنصور وكان ذلك همه وهدفه بصفته امير المؤمنين وحامى بيضة الاسلام كما يتضح من الوثائق التى نشير الى فقرات منها :

❋ قدم احمد المنصور السعدى بين يدى جيشه المنطلق لتمهيد اقليم توات رسالة الى الشرفاء والاعيان والمرابطين يبين لهم الغاية من بعث الجيش وانفاذ العساكر . وقد نشرت الرسالة بكتاب رسائل سعدية الذى حققه العلامة المغربى سيدى عبد الله كنون ونقلت فى الوثيقة 116 بالمجموعة الاولى للوثائق الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية ، وفى صلب الرسالة نقرأ :

(... انه لما كانت تلك البلاد من اجل ممالكنا.. التى نحمى حماها من طوارق البغى والفساد باستئصال شوكة اهل البغى والعناد وحسم ادواء الاشرار من

---

12) عثمان عثمان ، مقالنا عن المنصور السعدى بسلسلة ابطال الاسلام بالمغرب ، جريدة الانباء الرباط – سبتمبر 1976 .
13) الاستقصا ج 5 ص 91
14) نفس المصدر ص 98
15) الاستقصا ج 5 ، ص 133
16) نفس المصدر ، ص 122

العباد وبسط العدل الذي يشمل ان شاء الله كل حاضر وباد ، وبحسب هذا وجهنا اليها بمحلاتنا السعيدة .. لتنير بها منار العدل الشامل وتقيم اعلام الحنيفية البيضاء لارشاد اهل السنة فى تلك المجاهل. **ان كل من آوى اليكم من اهل العناد ... وسلك بهدايته طريق الرشاد... فباب التوبة له عندنا مفتوح ... (17)**

❋ وعندما تم لقائد المنصور فتح مدينة كاغو عاصمة مالي منتصف جمادى الاولى عام 999 للهجرة وعلم امير المؤمنين بخبر الفتح امر بتحرير رسالة دورية لسكان مملكته يبشرهم فيها بالنصر الذى حققه جيش الاسلام فى السودان . وقد اثبت محرر الرسالة الوزير الكاتب الاديب عبد العزيز الفشتالى نصها فى كتابه مناهل الصفا كما نشرت الرسالة الموجهة الى سكان فاس بمجلة هسبريس ونقلت فى الوثيقة 123 من المجموعة الاولى للوثائق ، ومن النص نقتبس بعض الفقرات التى توضح اعلان المنصور عن الهدف من حملات فتح السودان :

(وجاء نصر الله الذى هو لرايتنا الهاشمية حليف.. وكمل الفتح بحمد الله بالاستيلاء على البلاد وانتظام ممالكها فى سلك الطاعة والانقياد ، والعاقبة للمتقين.. **ولقد اجتمعت اليوم بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الاسلام..** ولم يبق بحول الله الا صرف العزائم الى جهاد العدو الكافر وأن تدور عليه بعون الله الدوائر حتى نغزوه بجنود الله فى عقر داره ومحل قراره ويعلو حزب الهدى على حزب الشيطان وأنصاره بعز الله وتاييده .

ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى.. بادرنا تعريفكم بصنع الله .. لتقدروا صنع الله فيه حق قدره .. فانه فتح لم تلد مثله الايام.. بما جمع من هذه الممالك العظيمة التى لم يشتمل عليها ملك ولا نظمها سلك... واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر فهو للنعم قيد وعقال...)(18)

سادسا :

أما الحملة التى افضت باسحاق بن داود ملك كاغو الى مصيره المحتوم وبآل بابا التمبكتي السوداني السوداني الى التغريب ، فان خير ما يوضح سببها المباشر تلك النصوص الصريحة التى نقتبس بعض فقراتها من الوثائق فيما يلى :

❋ جاء فى رسالة السلطان امير المؤمنين احمد المنصور السعدى الى اسحاق ابن داود سكية امير كاغو الواردة بالوثيقة 119 بالجزء الاول من مجموعة الوثائق الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية :

(... هذا وموجبه اليكم سدد الله طريقكم وجعل التقى رفيقكم ، اعلامكم ان معدن الملح بتغازى التى من ايالتنا ، وفى حكم امامتنا ، هو كما لا يكاد يخفاكم من جملة المعادن التى يختص بيت مال المسلمين بخراجها المستفاد وللامام فيها النظر والاجتهاد وبحسب هذا فانا رأينا ان شاء الله ... ان نضع عليه خراجا يعود ان شاء الله بمزيد النفع على المسلمين وبالضر على اعداء الله المشركين... وقصدنا بما يحصل من ذلك صرفه ان شاء الله فى سبيل الغزو والجهاد، وفى ارزاق ما لنظرنا العلى من العساكر والاجناد التى جعلناها لنكاية عدو الدين بالمرصاد واعتدناها للذب عن كلمة الاسلام وحياطة البلاد والعباد،وهي جنود الله التى لولا ما حجزت بينكم وبين طواغيت الشرك سيوفها القاصمة .. لفاض عليكم طوفانه السائل)(19)

ولعل الاسباب الواضحة فى الرسالة تنير الطريق امام الدوافع النبيلة لسلطان المغرب الذي يتحمل كامير للمؤمنين مسؤوليات الدفاع عن الدولة والدين ، كما تفسر الاسلوب المنطقى الذى اتبعه السلطان المنصور السعدى فى الاقناع .

❋ كما جاء برسالة اخرى للسلطان وجهها الى رئيس كاغو المذكور :

(... ولهذا ومن اجله لم تزل بحمد الله سهام انظارنا السديدة الى اهداف مصالح الامة المحمدية مفوقة ...

---

17) المجموعة الاولى، نشر مديرية الوثائق الملكية ص 355 ـ 356
18) نفس المصدر ، ص 385 ـ 390
19) نفس المصدر ، ص 370 ـ 371

هذا وان مما وقف بنا عليه بعد استخارة الله زائد الاختيار ... وذلك هذه الملاحة المعدنية التي تضرب اليها اكباد الابل وتشد بسببها لبلاد تغازي على الدوام الاقتاب والرحال.. قد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الاسلامي والاسطول الجهادي الذي جعل المولى سبحانه بايدينا زمامه.. وشرق من اجله طاغية التثليث بريقه... لما فيها من الاعانة لهذه الجيوش الاسلامية. وتقوية هذه العصابة النبوية التي بها يقع الدفاع عن الملة ... وها نحن قد انفذنا اليكم بما لائمة المذهب في هذه المسألة ... لتعلموا ان للامام فيها النظر ..

وعرفناكم بهذا لتكونوا اول من ثنى اليه اعناق الرجال ... ومن شممتم منه رائحة الانحراف .. فقوموا اعوجاجه... فانتم احق الناس والحمد لله بحشر الناس لهذا الباب..(20)

* وفي الوثيقة المنقولة عن رسائل سعدية جاء ضمن رسالة المنصور الى الاسكيا اسحاق :

(وبحسب هذا فانا ندعوكم الى ما فيه ان شاء الله الخير العاجل والاجل .. وهو طاعة الله ورسوله والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين من مبايعتنا.

وان تقرر لديكم ان من البر اقتفاء اثر الاباء... وأخبرتم ان جدكم ابن ذي يزن اول من امن بجدنا المصطفى... فاحرى ان تؤمنوا انتم باتباع شرائعه.. وتمتثلوا اوامره الشريفة فيما افترض الله لهذه الخلافة النبوية من السمع والطاعة... وتحرزوا ببركتها خير الدارين...(21)

استنتاج وخاتمة :

اذن فدعوة المنصور بالحكمة والموعظة الحسنة مؤيدة بفتوى العلماء قد وصلت الى الاسكيا اسحاق في الابان والاوان . لكن رئيس كاغو سد باب القبول والطاعة ولج في الاستهتار والخروج على الجماعة ، وصم الاذان، بل انه تبعا لما ذكره كاتب المقال موضوع الرد نقلا عن تاريخ السودان للسعدي قد قبح الكلام وبعث للمنصور صحبة رده حرشانا ونعلين من حديد ، وهكذا يلذ لكاتب المقال التاكيد على كل نص يحمل التهجم على السلطان المغربي ويتجرأ على أمير المؤمنين سبط رسول الله .

ومع هذا ، فقد التزم المنصور جانب الحكمة والتريث واستشارة الفقهاء ، فاستفتى الحكماء في وجوب تحمل المغرب تضحيات كبرى في سبيل الدفاع عن كلمة الله وتوحيد البلاد وانقاذ العباد من الكفرة والسحرة وتجار الرقيق . فماذا بقي على المنصور بعد ذلك ليتعرض اليوم لتهجمات صاحب مقال احمد بابا السوداني المقحمة على الموضوع دون مبرر علمي او قومي يقتضيه المقال وظروف الحال ؟

أما علماء تمبكتو الذين غربوا عن بلادهم الى مراكش ففي مسالتهم جانبان : الاول ، هو الاعذار قبل الانذار ، والثاني أنهم لم يلقوا العنت والعذاب في الرحلة والتثقاف في الاغلال بعد وصول مراكش كما يصور كاتب المقال (ص 159 من المقال). وبدءا بالجانب الثاني ، فقد ورد بالمقال نفسه ان عمر بن محمود قاضي تمبكتو رغم صحته المعتلة وكبر سنه فقد اكمل الرحلة هو واحمد بابا موضوع كتابة المقال الذي اثار الشبهات ، كما كان لهؤلاء العلماء المكانة المبجلة فوق تراب المغرب مع الحرية التي تطبع مجالس السلطان بالمشورة والرأى فقد جاء بالمقال نفسه قصة حوار احمد بابا مع السلطان السعدي بقصر البديع ، بل ان كاتب المقال اعترف بأن حياة احمد بابا في مراكش كانت زاخرة بالانتاج والتاليف كما حظى بشرف التعليم بجامع الشرفاء بمراكش الامر الذي ينفي كل ادعاء مقصود او فهم خاطىء للنصوص

ونعود الى الجانب الاول من المسالتين وهو الاعذار قبل الانذار في حق علماء تمبكتو ، ذلك أن المنصور بعد ان تبين حقيقة موقف الاسكيا اسحاق وعدم امتثاله لنداء الضمير وصوت الحق المنير، وقبل أن يعقد مجلس الشورى لتدارس الامر وعرض خطة الفتح بادر بانفاذ رسالة الى قاضي تمبكتو عمر بن محمود نذكر منها :

(الى القاضي عمر بن محمود بن عمر ، أسعدكم الله بتقواه وطاعته وعرفكم بركة الانضواء الى حزب الهدى وجماعته .

---

20) المجموعة الاولى للوثائق ، نشر مديرية الوثائق الملكية ، ص 172 ـ 175 .

21) نفس المصدر ص 376 ـ 378

.. هذا وانه وفقكم الله وسددكم ، وأعانكم على اتباع كلمة الحق وانجدكم ، فمما لا يخفى على كل مؤمن ومسلم موقن ان هذا الامر الذى نيطت بجيدنا الكريم قلادته .. اذ نحن بأعبائه دون غيرنا مضطلعون ونحن مذ ولانا الله هذه الامانة العظمى التى قلدنا بها امامة الجماعة .. لم نغمد سيف الحق .. نفتح البلاد المقفلة ارضا ارضا ، ونقيم اعمال الجهاد ومصالح البلاد نفلا وفرضا ، حتى انفتح فى الجنوب الى من يليكم ... وان الله لا يقبل منا فى اعمال ما استرعانا من امور العباد والبلاد سوى معذرة ...

ولما كنتم بتلك المملكة معيد بابها ومدبر احكامها الشرعية ... وبحقوق هذه الامامة النبوية التى تجب طاعتها وتحرم مخالفتها شرعا اعرف من سواك.... خاطبناك بهذه الرسالة الشريفة .... ولترفعوا بها عقيرتكم فى تلك الاقطار وتوضحوا للناس هذه الحجج الساطعة الانوار ...

ولتقف ان شاء الله لندب الناس الى اداء ما افترض الله عليهم من طاعة.. لان يهدى الله بك رجلا خير من حمر النعم.. ان كل من امتثموه من عساكرنا فقد امتثاه ، ومن اجرمتموه فقد اجرمناه اظهارا لمزيتكم واشعارا بمكانتكم لدينا ورفعتكم ... (22)

هكذا اعذر من انذر فقد احسن المنصور الوسيلة مع رئيس كاغو ولكنه اعرض ثم مع قاضى تمبكتو الى أن رفض ، ووصلت المنصور انباء تحريض العلماء ضد الفتح الاسلامى رغم العهود الوثيقة ، فكان ما كان، وحلت الواقعة بالمكان والزمان .. وقتل الاسكيا اسحاق وحمل الى مراكش احمد بابا ومن شاكله من العلماء والرفاق ، تغريب عالم او امير حادث لا يخلو منه عصر من العصور ؛ لكنه الوسواس الخناس ينفخ فى الرماد ليخلق منه الشر المستطير .

كلمة حق قلتها وقد يكون لها ما بعدها وسوف يعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

دكتور عثمان عثمان آسماعيل

---

22) الوثائق ، المجموعة الاولى ـ الرباط ، ص 379

نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه .

حديث شريف

فلسفة الأسماء في المغرب

للأستاذ عبد القادر القادري .

ان الـنــاس بطبيعتهم يعتزون بالاسماء التى اقترنت بهم فالفوها ويحافظون عليها محافظتهم على اناسى العيون فاذا ما حدث ما يدعو الى تغيير الاسم بحكم قضائى — كما يدعو الحال فى بعض الاحيين لسبب ما — طافت برؤوسهم اسماء كثيرة قلما يجدون فى احدها ما يروى الغليل ويمر بهم طويل الزمن قبل ان تسكن نفوسهم الى الاسماء التي يقع عليها فى نهاية الامر اختيارهم .

ومنشأ الاعتزاز بالاسماء غريزة الحيازة والاستيلاء على الاشياء وامتلاكها بغير شريك كالمال والحيوان والمتاع والبنين والزوجة ومع ان الاسماء لا ثمن لها وهى ملك مشاع بين الجميع فان الناس يحرصون عليها ويمانعون فى امر تغييرها لما يجدون فيها من الايناس بعد ان الفوها والف الغير معرفتهم بـهـا .

واختيار الاسم ظاهرة اجتماعية تتحكم فيها عدة عوامل ومؤثرات نتيجة للعادات والتقاليد التى تكون سائدة فى المجتمع ومن هذه العوامل ما يرجع الى اعتبارات خاصة ومشاعر نفسية وكلها من تاثير المجتمع ووحيه والهامه ولهذا يمثل اختيار الاسم تاريخا متطورا فى حياة المجتمع يختلف باختلاف العصور والبيئات . ومن هنا يمكن للمؤرخ ان يرى فى اختيار الاسماء وشيوعها صورة من الصور التى تفسر روح المجتمع وتوضح اتجاهه والمؤثرات التى تسيطر عليه .

وقد كانت اصول الاسماء ودلالتها موضع بحوث شيقة من بعض الكتاب القدامى الذين عنى معظمهم ببحث معانيها اللغوية مثلما فعل ابن قتيبة فى « ادب الكاتب » اذ خصص بابا لشرح « اصول اسماء الناس » وقد عالج ابن جنى فى كتابه « المنهج فى تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة » تفسير كثير من اسماء العرب القديمة التى لم يزل بعضها شائعا الى الآن مثل عثمان وجعفر وعمرو .

وقد خصص الابشيهى فى « المستطرف » بابا كاملا لتفسير الاسماء والكنى والالقاب بينما حاول القلقشندى فى « صبح الاعشى » وعلاء الدين السكتواري فى « محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر » تحديد اول من سموا ببعض الاسماء الشائعة .

ومن كتب المغاربة فى الاسماء كتاب « بيوتات فاس » الذى ساهم فى تاليفه اسماعيل ابن الاحمر واختصاره المسمى بيوتات فاس الصغرى لسيدى عبد القادر الفاسى وازالة الالتباس عن قبائل سكان فاس للمؤرخ السيد عبد السلام بن سودة . ومن الدراسات الحديثة حول الاسماء تلك التى قام بها المستشرق الالمانى « انوليتمان » حول اسماء البدو وقد دون تلك الاسماء بالحروف العربية واللاتينية مع تفسير معانيها بالالمانية كما أن مجلة اللسان العربى التى يصدرها مكتب التعريب بالرباط نشرت مؤخرا بحثا لمستشرقة حول الاسماء فى المشرق العربـي .

بعد هذه المقدمة ندخل الى صلب الموضوع فنقول : منذ ان انشأت الحماية الفرنسية بالمغرب الحالة المدنية سنة 1950 لسكان المدن وخاصة مذ حصول بلادنا على الاستقلال سنة 1956 وعودة آلاف الموظفين الفرنسيين والاسبانيين الى فرنسا واسبانيا وهجرة ابناء القبائل والمداشر والقرى الى المدن الكبيرة لتحل محل اولئك الموظفين الاجانب والتعليم فى المدارس الثانوية والمعاهد والكليات فى الحواضر الكبرى كالرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس ومكناس وتطوان وطنجة شرع هؤلاء الابناء فى استبدال اسماء قبائلهم التى يحملونها ابا عن جد باسماء شرقية وتركية وفارسية وسورية ومصرية . فما هو اصل الاسماء والالقاب المغربية ؟

من الممكن التمييز بين الاسماء والالقاب المغربية التى تنحدر من اسماء ترجع الى اصلها العربى كعبد الله وعباس وعمر وابو بكر وطلحة وعثمان وعلي ، والاسماء التى يحملها الانبياء كابراهيم وموسى وعيسى ويوسف وزكرياء ويحيى وداوود ويعقوب وهى اسماء مشتركة بين المغاربة المسلمين واليهود المغاربة غير ان اسم النبى اسحاق لم يعد يحمله المغاربة المسلمون ومازال درب بحى السويقة بالرباط يحمل اسم درب سيدى اسحاق وتوجد قبيلة باقليم مكناس تسمى آيت اسحاق وتحظر على غير ابناء قبيلتها شراء اى شبر من اراضيها وقد عثر منذ اعوام احد الضباط الفرنسيين الذين كانوا يحكمون تلك القبيلة على الواح مكتوبة بالعبرية .

غير ان اسماء الانبياء نوح ولوط وهود قلما يحملها المغاربة المسلمون واليهود المغاربة ولعل ذلك راجع الى المصائب التى حلت بقوم هؤلاء الانبياء فالنبى نوح غرق قومه والنبى لوط امطر الله على قومه الحجارة وقلب ديارهم وجعل عاليها سافلها والنبى هود ارسل الله على قومه الريح العظيم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فاهلكتهم وابادتهم .

اسماء اعلام الصوفية كالتيجانى تبركا بسيدى احمد التيجانى مؤسس الطريقة التيجانية والجيلالى تبركا بالطريقة الجيلالية لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلالى المزداد بمدينة راشت Racht باقليم جيلان من بلاد ايران عام 471 هـ والمتوفى ببغداد سنة 561 هـ .

واسماء يطلقها البربر على انفسهم وهى اسماء عربية مثل حمو (احمد) موحى (محمد) اعراب (العربى) به (ابراهيم) عقا (عبد القادر) عسو (عبد السلام) .

ولعل اسم سيدتنا فاطمة الزهراء بنت نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو الاسم العربى الذى ادخل عليه البربر من التحوير فى النطق ما لا يحد فكل قبيلة بربرية تنطق به حسب لهجتها وذلك حبا فيه فصار ينطلق عندهم هكذا : فاطمة — فطومة — فاطنة — فاظنة — فطيطم — يطو — الطام — طيطم — طاطة — فامة .

اما الالقاب المغربية فمن الممكن تصنيفها الى مجموعات :

1 — القاب منحدرة من اسم الجد الاعلى كالقاب : العلوى نسبة الى مولاى علي الشريف جد الاسرة العلوية المالكة والعلمى نسبة الى مولاى عبد السلام بن مشيش العلمى والادريسى نسبة الى مولانا ادريس الاكبر فاتح المغرب ، والناصري نسبة الى سيدى احمد بن ناصر ، والعيساوى نسبة الى سيدى احمد بنعيسى مؤسس الطريقة العيساوية والسباعى نسبة الى مولاى عامر ابى السباع والقادرى نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلالى .

2 — اسماء منحدرة من اسماء البلدان والقبائل والمدن :

أ — **البلدان** : السوسى — الريفى — الجبلى — الصحراوي — الصقلي — العراقي — الشامي — الدرعى — الفيلالى .

ب — **القبائل** : الدكالى — الشياظمى — الغربى — الشاوى — الجزولى — الصنهاجي — المصمودى — السليمانى — اليوسى — الهلالى — التمسمانى — الكبدانى — الوكيلى — الحريزى — الزعرى — المتيوى — الاخصمى — اليازغى — المستاوى — اليوسفى — العروسى — الزغارى — الاغزاوى — الغياثى — الشيحانى — الاودى — الجرارى — البرنوسى — الورياغلى — التسولى — السايسي — الحياني — الهسكوري — العبدي — السادني — الشركي — الشرادي — الرجراجي . الحمرى — العمرانى — الحاجى — المنبهى — المتوكي — الكلاوي — اليزناسني — السغروشني — الحسناوى — الخلطى — السهلى — الحصينى — الورديغى — الهشتوكى — الحجوى — المطيرى — الهوارى — العباسى — العطاوى — البوزيدى

ـ الدليمي ـ المسعودي ـ المحمدي ـ الموساوي المزالي ـ الباعقيلي ـ الفزواني ـ الملالي ـ المجاطي ـ الباعمراني ـ البوزيري ـ الابراهيمي ـ الحيحي ـ الصباحي ـ الحنصالي ـ الشرقي ـ الدادسي ـ الداودي ـ القندوسي ـ التواتي ـ الفطواكي ـ اليعقوبي ـ المطيري ـ الخطابي ـ الهواري ـ الزموري ـ اليموري ـ التناني ـ الخنوفي ـ الخلطي ـ الخالدي ـ الكولالي ـ المعداني ـ المسي ـ المباركي ـ المرزوقي ـ المزكلدي ـ المزابي ـ العامري ـ العمري ـ العياشي ـ السعيدي ـ السالمي ـ الصالحي ـ اليحياوي ـ الايسفي ـ اليوسفي ـ المزعيمي ـ الناصري ـ السفياني ـ التسولي ـ الزرهوني ـ الرهوني ـ الزياني ـ الزهاني ـ المذكوري ـ السرغيني ـ الشاوي ـ الزعري ـ الرحالي ـ الشتوكي ـ الرسموكي ـ المسكيني ـ الرحمني ـ الزروالي ـ العوني ـ البريمي ـ البوعزيزي ـ المعزوزي ـ السملالي ـ الشباني ـ الصباحي ـ الفارسي ـ الحوزي ـ المزميزي ـ الجامعي الخ ..

والملاحظ ان القبائل التي تبتدىء اسماؤها ببني او آيت هي قبائل بربرية كبني مطير وبني سادن وبني وريغل ـ وبني زروال ـ وبني عتيق والمنتسبون اليها يقال لهم : المطيري والسادني والورياغلي والزروالي والعتيقي . وكآيت اصواب ، وآيت شخمان وآيت احساين وآيت اليوسي وآيت الخمس وآيت سفروشن ويقال للمنتسبين اليها : اصواب وشخمان واحساين والسفروشني واليوسي والخمسي بحذف آيت منها .

واما القبائل العربية فهي التي تبتدىء اسماؤها بأولاد مثل : أولاد الحاجي ، أولاد فرج ، أولاد جرار أولاد جامع ، أولاد خلوف ويقال للمنتسبين اليها : الحاجي وفرج والجراري والجامعي والخلوفي فيحذف اولاد منها . فيقال لهم : الحاجي ، الجراري ـ فرج ـ الجامعي ـ الخلوفي .

ج ـ **المدن الحاضرة** : الرباط ـ فاس ـ مراكش ـ مكناس ـ سلا ـ وزان ـ القصر الكبير ـ العرائش ـ طنجة ـ تطوان ـ الدار البيضاء ـ وجدة ـ فكيك ـ تمنار ـ تزنيت ـ تارودانت ـ تازة ـ صفرو ـ ازمور ـ الجديدة ـ الصويرة ـ سبتة ـ سطات .

فيقال للمنتسبين اليها : الرباطي والفاسي والمراكشي والمكناسي والسلاوي والوزاني والقصري والعرائشي والطنجاوي والتطواني والبيضاوي والوجدي والفكيكي والتمنارتي والتزنيتي والروداني والتازي والازموري والجديدي والصويري والسبتي والسطاتي والصفريوي .

د ـ **المدن المنقرضة** : شالة وسجلماسة ، ويقال للمنتسبين اليهما : الشلاوي والسجلماسي .

3 ـ اسماء تتصل بالحرف التي تخصص فيها اجداد العائلات ، مثل : الحداد ـ النجار ، الصفار ـ الصياغ ـ الصائغ ـ الكباص ـ الحجام ـ الكحاك ـ الفلاح ـ الخطيب ـ المؤذن ـ الصابونجي ـ الحلوى ـ الصرارق ـ البردعي ـ السراج ـ الدقاق ـ الحطاب ـ الكفاط ـ الغرابلي ـ الصبان ـ التراب ـ الدباغ ـ الرامي ـ الخمار ـ العطار ـ الطبال ـ الطرايري ـ الوراق ـ السقاف ـ الخمال ـ الخماسي ـ الخراز ـ الرغي ـ الرمال ـ اللبادي ـ العراف ـ الحوات ـ العيار ـ السمار ـ ارسام ـ الزواق ـ الحراز ـ الهراس .

4 ـ اسماء تذكر بخاصية من خاصيات الانسان : كاللون والقامة والصفة . والوزن والطقس :

ا ـ **اللون** : مثل : الابيض ـ الازرق ـ الاشهب ـ الاخضر ـ الاكحل ـ الاسمر .

ب ـ **القامة** مثل : الطويل ـ الكبير ـ غليظ.

ج ـ **صفة جد العائلة** ، مثل : الحلو ـ البكاي ـ الدك ـ الهراج ـ الحافي ـ حركات ـ البراق ـ الضحاك ـ المهماه .

د ـ **الوزن** : الكيلو الرطل .

ه ـ **الطقس** مثل : الريح ـ برق الليل ـ سحابة .

و ـ **العيوب** ، مثل : الاقرع ـ الاعور ـ الاعرج .

5 ـ القاب تبتديء بابن نسبة الى الجد الاعلى مثل : ابن خضراء ـ ابن شقرون ـ ابن جلون ـ ابن سلامة ـ ابن المليح ـ ابن الراضي ـ ابن الكاهية ـ ابن عمرو ـ ابن التاشي ـ ابن ابراهيم ـ ابن الجناوي ـ ابن يشو ـ ابن البشير ـ ابن الملاحي ـ ابن العربي ـ ابن عبد الجليل ـ

ابن عبد الرازق — ابن الشليح — ابن خدة — ابن قاسم — ابن دحمان — ابن موسى — ابن عمر — ابن عبد النبى — ابن عبود — ابن خرابة — ابن تاويت — ابن رحو — ابن سليمن — ابن دحو — ابن حمو — ابن هحو ، الخ ..

7 — القاب بربرية تبتدىء بالهمزة المفتوحة مثل : اطويى — احرضان — افقير — امبلال — امزيان — ازرقان — امغار — امهروق — اقصبى — امقران — اكومى — اكروم . او بالهمزة المضمومة مثل : اوفقير — اوبيهى — اوحمو — الخ ..

8 — القاب التصغير مثل : الدويب — السبيع — فويتح — جنيح الخ ..

9 — القاب اندلسية مثل : القرطبى — طوليدانو — الدليرو — باينة — الرندة — بركاش — المدور — مرسيل — دينية — تيليو — بونو — بلانبو — مولاطو — بلامينو — بلافريج — مورينو — شكالانط — جديرة — ملين — سباطة — فرفرة — لازارو — متجينوس — برادو — بريش — كراكشو — ضاكة — اللوشى — جوريو — فرشادو — المالقى — قورية — تمارادة .

11 — القاب يهودية وهى القاب اليهود المغاربة الذين ارتضوا الاسلام دينا وهذا فخر عظيم لهم لان الاسلام يجب ما قبله وهي القاب معروفة ، مازال يحملها اليهود المغاربة وبعض المغاربة المسلمين ولا داعى لذكرها هنا .

— القاب شرقية جديدة على اسماء المغاربة ولم يعرفوها قبل انشاء الحالة المدنية سنة 1950 مثل الالقاب التركية : فهمى — رمزى — فتحى — صدقى — فكرى — شكرى — بدرى — رشدى — رزقى — أنور — مراد ، الخ ..

والقاب تبتدىء بأبى مثل : ابو الرشاد وابو كمال .

والقاب فارسية مثل : مصدق — شاهين — حكيمى — الكاشانى — ارسلان — نيازى الخ ..

والقاب هندية مثل : غاندى — طاغور .
والقاب مصرية مثل : العقاد والمنفلوطى والطنطاوى والقاب سورية مثل الحلبى والحمصى ، والقاب مسيحية مثل : الخورى — زيدان — مطران — جبران .

ومن المؤسف ان بعض الاسر البربرية عندما استوطنت المدن الكبيرة بعد حصول المغرب على الاستقلال عمدت الى استبدال القابها بالاسماء الشرقية الجديدة مع ان اسماء تلك القبائل البربرية لها تاريخ حافل بالامجاد فى نشر الاسلام بافريقيا السوداء والدفاع عن الاندلس وفى مقاومة الاستعمار الفرنسى والاسبانى فى القرن العشرين مقاومة مسلحة دامت زهاء ثلاثين سنة .

ومن الغريب حقا ان يعمد بعض المغاربة المسلمين فى الاعوام الاخيرة الى حذف لفظة عبد من اسمائهم الشخصية حيث اصبحت هذه هكذا : عزيز — كامل — مجيد عوضا عن عبد العزيز وعبد الكامل وعبد المجيد .

فى حين أن بعض النساء المغربيات اصبحن ينتسبن الى ازواجهن فيقال لهن مدام الشاوى ومدام الزمرانى ومدام البيضاوى الخ .. مع أن المرأة المغربية كانت تحافظ على شخصيتها فلا تدعى مع اسمها الا باسم عائلتها ويكون ذلك الاسم مؤنثا غير ان بعضهن اصبحن يذكرن اسم العائلة فيقال فاطمة الكتانى ومريم الادريسى وخديجة الناصرى بدلا من فاطمة الكتانية ومريم الادريسية وخديجة الناصرية والحال ان الروسيين والبولونيين واليوغسلافيين اى الامم السلافية ما زالت تذكر اسم العائلة للرجال وتؤنثه للنساء مثل : كوتاخوفى للرجل وكوتاخوفا للمراة والكساندروفى واليكساندروفا وبولانسكى وبولانسكا .

والمعروف أن نابليون بونابارت تزوج بأميرة بولونية اسمها مارى فالاسكا .

والمعروف أن المصريين لا اسم عائلة عندهم الا للعائلات التى اصلها تركى او سورى او فارسى او كردى يذكرون الاسم الشخصى للاب ثم الاسم الشخصى للجد فيتكون مثل محمد احمد سالم ومنهم من يكتفى بالاسم الشخصى مع الاسم الشخصى للوالد كمحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ واحسان عبد القدوس وطه حسين . وعائلتهم التى من اصل تركى تتركب من الاسم الشخصى واسم العائلة كفكري اباظة وكردي مثل عباس العقاد .

وما زال كثير من الاسر المغربية القديمة تحتفظ باسماء عائلاتها كالعلوى والادريسى والصقلى والقادرى والعبودى وميكو والتازى والطاهرى والعلمى والعمرانى والعراقى والقيسى وكنون

وكسوس وبناني وبرادة والخيط والكوهن وعاشور وبوستة وغلاب والسلالي والدويري والحبابي والحلو وزنيبر وعواد ومعنينو والدكالي والناصري والصبيحي وبريطل والسمار وحجي وحمدوش والحرش والحريشي والبارودي والحسوني والمالقي وابن عبود وبوعبيد وابن عبد النبي وابن جلون وابن عبد الجليل وابن ابراهيم وابن احساين وابن الماحي وابن شقرون وابن الغزي وابن خضراء والمريني واللحياني والابيض والازرق والزبدي وبوهلال والغربي والشدادي والصنهاجي والمصمودي والزواوي والعياشي والدي والصفار وبركاش وفرج ومرسيل وبريش وبنعبد الله والبيطاوري وجديرة وبلافريج والبريري وغنام ومورينو والقرطبي وكراكشو والحساني والعيساوي وادغيمر والدغمي وفرشدو وجورجيو وازكيك وابن الجناوي ومليين والباشا وابن مبارك ومكوار وطريدانو والعيماني والزواغي والاغزاوي وفنيش وابن المعطى وابن المليح وابن زاكور وابن سليمان والطريس وابن تاويت واحرضان وامزيان وامغار وامهروق وانقير وازرقان والمنبهي والكلاوي وتكيطو والخطيب وبنونة والطنجي وابن عرفة وابن سعيد وابن الحسني والشفشاوني والبدراوي وبوعشرين والشيكر وعزيمان والزموري واللبادي والدفوف وازعيمي والجعيدي والحجوي والحضري والعوفير والمدور وابن يوسف واليوسفي والبزيوي والشرادي وباكورة والقباج وابن ابراهيم والبزار والشرقاوي والهنتاتي وبوزيد والصديق وحكم والرندة وابن خرابة وشكالانط والبوزيدي والرايس وجلزيم والعكري والزهراء وقربون والقصري والسائح وبيرو وخالص وكيليطو وبنعمرو والزمزمي والريش والريح والبواري وكريم والحنصالي وابن اليماني وابن سودة والسادني والجامعي والبوري والسباعي والفكاك والمدرى وابن الراضي والصباغ وفنجيرو والبوركي ، والطاهري – وابن صالح وبوجندار ، والتادلي والتادلاوي وابن مشيش والسودي والريفي وابن شمسي وابن هيمة والبواب وسكيرج وابن كيران والريسوني والسوسي والبرنوسي والبقالي وابن دورو وابن دراعو والمصلوحي والرحالي والصباحي والجزولي والرقاعي والتبع والمعروق والدرقاوي واعراب – والمؤنى والرجراجي وبلانبو والوزاني والتطواني والحراق والسلاوي وبوطالب ومورينو والرندة وفنجيرو وجوريو والكيماخ وجازيم وجازوليت وبرادو ولقزيز والجواهري والهريم والمكناسي والفزازي وعليوة ولعلو ، والزناتي والعذبي والبحراوي والرايسي ومتجينوش وابن يعيش وابن موسى وابا خاي وابن الشيخ والصفار والشفشاوني وابا حنيني وابن البشير والسحيمي والمسطاسي والوطاسي والفساس وعصمون واليعقوبي وبرقوق والشرقاوي والفرباوي وامبيركو واللبار والقرشي ونيس وابن يخلف ، والمقرى ، وغيرهم وغيرهم ممن لم تستحضرهم الذاكرة عند كتابة هذا البحث .

وقد كان المغاربة يعطون لجواريهم اسماء جميلة مثل : الياقوت – جوهرة – الياسمين – العنبر – الغالية – عود الورد – الخيلى عندما كانوا يملكون الارقاء الا انه منعت تجارة الرقيق بالمغرب سنة 1935 فلم يبق ثمة اطلاق هذه الاسماء عليهن ، وتجدر الاشارة ان المغاربة يحملون اسم فتح الله وعبد النبى لانهم سنيون فى حين يحمل الايرانيون اسم فتح الباب وعبد الحسين لانهم شيعة

وبعد فهذا قليل من كثير مما يجب الكتابة فيه عن اسماء والقاب المغاربة قديما وحديثا كتبناه خدمة للتاريخ المغربى . والله ولى التوفيق .

الرباط : عبد القادر القادرى



676 – فى صبح يـوم الجمعـة ... !

وجدت فى مخطوطة كتاب « ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك » وهو من تأليف ابي العباس احمد الونشريسي مؤلف « المعيار » عند كلامه على القاعدة « الاصولية » درء المفاسد مقدم على جلب المصالح..

« قال الشيخ شهاب الدين رحمه الله :

شاع عند عوام مصر ان الصبح ركعتان . الا يوم الجمعة . فانها ثلاث ركعات ... !!! لأجل انهم يرون الامام يواظب على قراءة « السجدة » يوم الجمعة . ويسجد .. ! ويعتقدون ان تلك ركعة اخرى واجبة ... !!!

وسد هذه الذرائع متعين فى الدين ... »

677 – هو شيخي .. ! وانا شيخكم ... !

وجدت فى كتاب – المنهج الفائق – لابي العباس الونشريسي المطبوع بفاس طبعة حجرية سنة 1298 هـ – م 30 ص 8 .

« ... ابن العربي : حضرت مجلس ابي الفضل ابن النحوي فسمعته يقول : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وءالى وظاهر .. ! فلما انصرف قصدته فى موضعه . وقلت له : اصلحك الله انك قلت انه صلى الله عليه وسلم طلق وءالى وظاهر .. ! وانه صلى الله عليه وسلم لم يظاهر . فان الله تعالى جعل الظهار منكرا من القول وزورا ... ! فشكرني على ذلك فلما كان من الغد . قال لأهل مجلسه . وقد قربني اليه : – اني قد قلت لكم بالامس . انه صلى الله عليه وسلم طلق وءالى وظاهر ... ! وان « هذا » ارشدني الى انه لم يظاهر .. ! وهو كما قال . وهو شيخي فى هذه المسألة .. ! وانا شيخكم فيها .. ؟!»

678 – عجب من غفلته ... !

وجدت فى كتاب – المنهج الفائق – لابي العباس الونشريسي . م 2 ص 2 نقلا عن المؤرخ ابن عبد الملك ...

« ... ومن هذا المعنى ما اتفق لابي العباس احمد بن علي بن ثابت اللخمي الاشبيلي . قال ابو العباس بن هارون : اتفق له مع جدي ابي محمد بن جمهور أن كتب فى رسم يتضمن بيع قارب : « وفره » وقلبه ... ! وجيء بالعقد : وهم الشيخ فيما كتب .. ! لا يقال فى القارب « فره » وانما يقال فيه : ونظر اليه وقلبه . واختبر عيدانه . او ما اشبه هذا ... ثم ان جدي كتب رسم بيع حمار فى يوم شات وذهب بالعقد صاحبه الى ابي العباس هذا ليشهد فيه فلما قراه وجد فيه « وفره » وقلبه .. ! فلم يتمالك ان هبط من دكانه فى الشتاء والعقد فى يده حتى انتهى به الى جدي وقال له :

ـ بالامس رددت علي في رسم بيـــع : القارب « وفره » وها أنت قد كتبته في بيع هذا «الحمار» . . !

فضحك جدي رحمه الله منه وعجب من غفلته وقلة تحصيله ... !!! رحمهم الله اجمعين .. »

679 ـ ينظـم « المزهـر » ... !

وجدت من مؤلفات الشيخ ماء العينين بن الشيخ فاضل بن مامين رحمه الله كتابا لغويا نفيسا . نظم فيه كتاب « المزهر » للسيوطي وسماه « ثمار المزهر » وهو مطبوع بفاس سنة 1324 هـ . بمطبعـة احمد يمنـي ...

جـاء في مقدمتـه :

« وبعد ذا فهاكمو أهل اللغات
نظما يفيد في اللغات السائغات

نظمته من مزهر السيوطي كي
يفيد ذا فصاحة وكـل عـي

نوعته كما له قـد نوعـا
لكن ذا . مختصر نظما سعى

سميته لذا ثمار المزهـر
وصفته من جوهر كالجوهر »

680 ـ حتى عمم بالغسـل جسـده .. !

وجدت في مخطوطة رسالة « النفائس الابريزية في هدية الفيل الوافدة من الحضرة النجليزية » لابي العباس ابن المواز

« ... وصار يختطف الطعام ويرتشف المـاء بخرطومه . ثم يعطفه حتى يولجه بداخل حلقومه .. ! ثم اشار اليه الملقن باغتسال بدنه وجثته ليشاهـد مولانا السلطان عجيب كيفيته .. !

فاخذ يرتشف الماء بخرطومه الذي هو مـن ابدع عجائبه . ثم ينفضه على ظهره وبطنه وجوانبه . حتى عمم بالغسل جسده ... ! »

681 ـ من صورة الثور والخنزير والجمل .. !

ووجدت في مخطوطة (رسالة النفائس الابريزية) هذه الابيات في وصف الفيل :

كانه ان مشى في الارض هرولة
سفينة تمخر الامواج عن وجـل

لله جثته العظمى وجوهـــره
سبحان من قدر الاشياء في الازل

كانه ءاخذ في جمع هيئتـــه
من صورة الثور والخنزير والجمل

682 ـ دجاجـة أبي العـلاء ... !

وجدت في كتاب « الانتصار ممن عـدل عـن الاستبصار » لمؤلفه ابي محمد عبد الله ابن السيـد البطليوسي . ط . القاهرة سنة 1955 . ص 45 .

« واخبرني ابو الفضل شيخنـا في شعـره . (المعري) . قال : لما مرض المعري مرضه الـذي مات فيه وكان ذلك سنة ثمان واربعين واربعمائـة . وكان بلغ من العمر ستا وثمانين سنة . دخل عليـه الطبيب فراى ما به من الضعف . فلما خـرج قـال لأهله : لو أكل اللحم لرجعت قوته وتماسكت . والا فهو هالك .. ! فسهلوا عليه ذلك ... فاخبر بما قال الطبيب . وقيل له : ما عليك في اكل اللحم حتـى تراجع قوتك . ثم تستمر بعد ذلك على مذهبـك ؟ . فانزل ذلك منزلة اكل الميتة عنـد الضرورة ... ! فاجاب الى ذلك .. ! ثم سمـع صـوت دجاجـة تستغيث .. ! فقال : مالها .. ؟ فقيل : نريد ذبحها . ويصنع لك منها طعام .. ! فقال : ناولني اياها ... فاخذها ولمسها . فوجدها ترعد . وقلبها يخفق .. ! فقال : ان لم تبق نفسي في جسمي الا بهلاك هـذه النفس فلا ابقاها الله ... ! خلوا عنها ... ! »

683 ـ نفقـت سـوق ابيـه ..

وجدت في كتاب (نفحات الازهار على نسمات الاسحار) وهو شرح بديعية النابلسي ص 21

« ولابن خيرة القرطبي الملقب بالمتبتل في ابن ميمون الفراء :

لابن ميمون قريـــض   زمهرير البرد فيـــه
فاذا ما قـــال بيتـــا   نفقت سـوق أبيـــه »

684 ـ غمـــــارة ... !

وجدت في كتاب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الازواج » المطبوع على الحجر بفاس 1319 هـ وهو من تاليف ابي العباس ابن عرضون قاضي مدينة شفشاون المتوفى سنة 992 هـ رحمه الله :

« حدثني بعض الطلبة انه وجد في تاريخ ... ان غمارة من ورغة الى ترغة ... الخ »

685 ـ من أعيـــاد الكفـــار ... !

ووجدت في كتاب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الازواج »

« ومنها تعظيم (العنصـــرة) و (الحاجـــوز) وذلك امر لا يجوز ... لانهما من اعياد الكفار ...! »

686 ـ جــوطـــــــة ...

وجدت في كتاب « الدرر البهية » الجزء الثاني ص 14 .

« جوطة : قرية عظيمة على نهر سبو . حيث هي اليوم بلاد أولاد عمران . من الخلط خربت منذ زمان وتحيفها النهـــر ... »

687 ـ يهدي به مشطا الى اقرع ... !

وجدت في مخطوطة (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) للبلــوي :

« مدح ابو الحسن بن الفضل احـد الـوزراء بمراكش وكان اقرع فلم يثبه . فقال :

اهديت مدحي للوزير الـذي
دعا به المجد فلم يسمـع

فحامل الشعر اليه كمـــن
يهدي به مشطا الى أقرع ..!

688 ـ الحكمـة المخفيـــة ... !

وجدت في فهرست الشيخ محمد بن قاسم القادري المطبوعة على الحجر بفاس . عند ترجمة لشيخه ابي العباس احمد المرنيسي رحمهما الله :

« وكانت في وجهه بشاشة وفي مجلسه دعابة . يمزح مع الطلبة في مجلس درسه كثيرا .. ! ويلقي عليهم ما ينيلهم سرورا .. ! ويورد حكايات عجيبة . ونوادر غريبة ..

فمنها انه كان يقول :

ـ من اراد الحكمة المخفية . فعليه بخليـــل والالقيـــة »

689 ـ زربـــوط وقنبـــوط ... !

وجدت في كتاب (الذخيرة في محاسن أهـل الجزيرة) لابي الحسن ابن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542 هـ ج. 1 . ق. 1 . ص 31 . القاهـــرة 1939 . اثناء كلامه على معركة « قنتيش » التـي دارت رحاها سنة 400 هـ

« ... واصيب فيها زربوط الطنبوري . واقام الطنبوريون أصحابه عليه مأتما مشهورا بعد الحادثة .! وهلك في تلك الوقعة اخـــلاط من الناس . وكـــان بعض الظرفاء يقول :

ـ من كل طبقة اخذت وقعة « قنتيش » حتى من اهل الباطل ... ! فانها الصقت بالصميم في قتل قنبوط الملهي . وزربوط المغني ونمطهمـــا ... ! فهيهات ان يخلف الدهر مثلهما ... !!! »

فـاس : عبد القادر زمامه

عودة إلى موضوع

الشعر الجاهلي

● نشر الباحث السوري الاستاذ سعيد الافغاني مقالا فى عدد يناير من مجلة « العربي » الكويتية تحت عنوان « انصافا لطه حسين » دعا فيه الى مراجعة كتابي « حديث الاربعاء » و « فى الشعر الجاهلى » اللذين أثار بهما طه حسين معركة ادبية وفكرية لا تزال آثارها متمكنة فى دنيا الفكر والادب والثقافة ، الى يومنا هذا . وقد اكد الباحث تراجع طه حسين عن آرائه مشيرا فى نفس الوقت الى مقال نشر فى مجلتنا فى احد اعداد السنة الماضية .

يقول الاستاذ سعيد الافغاني :

« ان الذي حداني على كتابة ما تقدم امران :

اولهما امانة فى عنقي على ابراء ذمتي منهـا ، اديتها لوجه الحق ، وقد ذهب الرجل لقاء ربـه ، فحق علي ان اشهد بما سمعت منه . وقد قمت بذلك فى مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ كما اسلفت ـ بعد ان ادى الدكتور الحوفي شهادته برجـوع طـه حسين عن رأيه أيضا فى انتحال الشعر الجاهلـي ـ لكن ذلك كان منا في مجلس محدود ، وبيئة خاصة قليلة جدا بعدد افرادها وان عظمت كفاياتها واعيده هنا على نطاق أوسع .

والامر الثانى ما نشرته مجلة « دعوة الحق » (عدد 5 ـ السنة 17 ـ محرم ـ يناير 96 هـ ـ 1976) التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى المملكة المغربية بعنوان (رأي طه حسين فى الشعر الجاهلي) وهو تلخيص مدرسي لكتابه (فى الشعـر الجاهلي) . ولا ريـب فى انك علمـت الان ان فى العنوان ظلما لطه حسين بعد ان رجع عن رأيـه . وليت الكاتب أشار الى السنة التي راى فيها طـه حسين ذلك الرأي فقال : « رأي طه حسين سنـة 1926 فى الشعر الجاهلي » .

خمسون عاما مضت على راي رآه ، عورض فيه . والفت فى الرد عليه كتب (موضوعيـة) جيـدة ، افيجوز فى شرعة الحق والانصاف ان نظن ان طه ـ بعد هذا كله وطوال تلك الاعوام التي قاربت الخمسين قد ظل جامدا على رايه الذي رآه فى أول شبابه بعد كل ما بينوا له ؟ فأين حصافتـه اذا ، وأين فهمـه وانصافه ، وكل الذين عرفوه شهدوا له بهذه الفضائل الثلاث ؟ وهي شهـادة حـق .

هذا ما رأيت واجبا بيانه بعد اطلاعي على مـا نشر فى تلك المجلة الرفيعة . انصافا للحقيقة وابراء للذمة . وانقاذا لمن يضع هذين الكتابين فى أيـدي طلابه . وهو لا يعرف ان مؤلفهما رجع عما فيهمـا رجوعا قاطعا لما نضج وبرىء من فتنة لفت النظـر واثارة الضجيج . وحق على تاريخ الادب ان يشهد بفضيلته فى التصحيح كما كان نـدد بتورطـه فى شبابه بتحمسه لرأي غير نضيج .

لدعوة الحق الخلود . ولحامليها التحية ، وعلى طه حسين الذي انصف نفسه قبل ان ننصفـه ـ رحمـه اللـه » .

أبحاث ودراسات

- انهـا ازمـة فـكـر
- ابن خلـدون والتربيـة

إنها أزمة فكر
لا أزمة نقد وشعر

للأستاذ أحمد زياد

كثر الحديث وربما سيزداد كثرة وترديدا فى المستقبل المنظور حول ازمة الشعر والنقد ، وهو حديث او هي أحاديث شجون ، واحاديث اشجان ايضا ، فمنها من يتناول قضية الشعر على انها تعاني تعثرا متواليا انتابها وما يزال ينتابها ، وان اسباب هذا التعثر مردها الى هذا وذاك من الاسباب التي تكون فى اغلب الاحايين تحوم حول العرض والشكل، دون ان توفق الى النفوذ نحو جوهر القضية ، وبنفس المنهج وبعين الاسلوب يعنى بقضية النقد ، ولا ادري هل ان هذه الكيفية التي يقع بها تناول قضيتي النقد والشعر يمكن تصنيفها ووصفها وتلخيصها فى خطة يجانبها التوفيق بكل تأكيد ؟ اما انها هروب من جوهر المشكل بواسطة التلصق بعرضه وشكلياته ؟ وبمعنى اكثر وضوحا فان الاهتمام الملحوظ يفضل ــ اما عن قصد او بدونه ــ الانصراف الى تقييم اطار الصورة وبعض اللمسات بدلا من الاهتمام بها وتمحيصها تمحيصا شاملا وعميقا ككل لا يتجزأ .

ويضاف الى هذه الملاحظة انعدام الوضوح فى اغلبية تلك الاحاديث التي تعنى بأمر الشعر والنقد ، سواء من الوجهة المنهجية الصرفة ، او من الوجهة التقنية التي تمثلها اساليب تلك الاحاديث ولغتها كذلك .

وعلى ذلك فانه يصبح لزاما وضع المشكل على حقيقته حتى يمكن تصوره على حقيقته وحتى يمكن تبعا لذلك ان تتضح الرؤيا ليتيسر البحث عن الحلول المتطلبة واللازمة وهذه حتمية تفرض علينا فرضا ان نضع الازمة وضعها المناسب ونسمي الاشياء بمسمياتها ونعلنها صريحة واضحة بأنها أزمة فكر لا ازمة نقد وشعر .

فمنذ سنوات وبعد الاستقلال وضعت الحركة الفكرية فيما وضعت فيه شؤوننا الاخرى .

وكان وضعها يقتضي اختيار النوعية التي ينبغي ان تكون عليها عربة الثقافة فى القطار العام ، بلغة السكك الحديدية ، وكيفية تسييره لتنطلق جميع عرباته نحو حد محدود فى مسيرة منضبطة وعلى قضبان متينة ومضمونة وبقيادة وتوجيه يتطلعان الى كل جديد دون أن يتنكرا لكل قديم .

فهل تحققت هذه الانطلاقة وهذه الكيفية ؟ الجواب : وبصرف النظر عن باقي عربات القطار الاخرى ، فهل عني بعربة الثقافة فى القطار العام وهل وقع اعدادها وتطويرها خلال مسيرتها لهذا الامد من السنوات ؟

صحيح اننا لم نكن نتوفر قبل الاستقلال على ثقافة واسعة الارجاء متعددة المشارب مطعمة الابواب والفصول .

وصحيح ايضا ومنطقي تبعا لذلك ، اننا كنـــا
فر على المادة الخام لثقافة قومية كان يمكـــن ان
ن اوسع واكثر فسحة ، الا ان الظروف القاسية
ي كانت سائدة في عهد ما قبل الاستقلال لم تكن
سمح باجراء عملية تحويل واسعة لتلك المـــادة ،
ع ذلك فان طليعة من المثقفين المناضلين استطاعوا
يحولوا ما كان في وسعهم ان يحولوه من تلـــك
ادة الى الوان من الثقافة كان ولا بد من ان تطبع
بع الابداع مضمونا وأسلوبا ولغة ، وهو طابع كان
بد مرة اخرى من ان يصورهـــا في الكثير مـــن
حايين على انها ثقافة لا تتمتع بكامـل حريتهـــا ،
منى ذلك أنها لم تكن تستطيع الابداع الا في نطاق
محدود من الظروف والملابسات التي تحيط بها
اقب انفاسها وتتجسس على خطواتها ، ومع كـل
ومع ما هو اكثر من ذلك وما كانت تعانيه الثقافة
تلك الحقبـــــة .

فلقد استطاع مناضلون عصاميون ان ينتزعـوا
وبا من الوان الثقافة بمقتضى مضامنها ومفاهيمها
تلك الحقبة ، وهي مضامن ومفاهيم كانت مقاييسها
ر وتقيم الانتاج الثقافي بتلك المعايير التي كانت
ئدة في ذلك العهد اى منذ ازيد من ثلاثين سنـــة
ا كان يستطاع « تهريبه » من منشورات الشرق
ربي ومن ورادات مصر بالذات ، ولئن كانت بضاعة
رب من الوان الثقافة يصح وصفهـــا ونعتهـــا
زجاة فانها مع ذلك كانت تمثل شيئا وكانت الى
ب ذلك تتطور كيفا وكما بمرور السنـــوات بمـــا
اه من وسائل التلقيح والتطعيم الواردة من بـــلاد
رق العربي ، حتى أنه ليمكن القول ويصـــح ان
« الانتفاضة » الثقافية التي كافحت طويـــلا في
يل البقاء لم تفتر منذ بداية الثلاثينيات محققـــة
دة الفكر بين الجنوب والشمال في وقت كان فيه
ع التقسيم الترابي مفروضا ومعمولا به .

كان ادب المقالة الادبية وطابع المقال السياسي
منهاج الدراسي في الابحاث والدراسات ومحاولات
ية في القصة والاقصوصة وانتاج شعري واضحا
تجاهه وملامحه وأسلوبه ولغته كذلك ، وتمشيـــا
هذه الخطوات كانت هنالك حركة نقد تستمـــد
يسها هي الاخرى من الواقع المغربي .

وبالرغم عما كان يعانيه الوطن من ضيق فكري
الوسائل ومن مضايقة في حرية التعبير فان عهد
قبل الاستقلال تمكن من انتاج بضاعة فكرية ، ولو
انها مزجاة فانها عبرت عن وجود ومطمح واهداف ،
وكانت في اغلبها ثقافة متجاوبة مع الجماهير موضوعيا
ومفهوما واسلوبيا ولغويا ، وكانت بالاضافة الى كـل
ذلك تعرف ماذا تريد وتعرف الطريق المؤدي الى ماذا
تريد ، وكان من الممكن بل ومن الواجب تطوير هذه
الحركة بالدعاية والعناية والسهـــر على تلقيحهـــا
وتطعيمها بما يجد في واقع البيئة المغربية وبما يجد
خارجها من عناصر التطعيم والتلقيح ، فهل حدث هذا؟

انه لم يحدث شيء كثير من ذلك مـــع مزيـــد
الاسف وتلك هي العقدة المزمنة في أصل الازمـــة
الفكرية التي عانى ويعاني منها مغرب الاستقلال .

وربما لم يكن بالشيء الجديد القول ان الوضع
الثقافي لم ينل من العناية والرعاية في أوائل عهـــد
الاستقلال ما كان يجب ان يناله ، ومرد ذلك الى انه
لم يدمج ادماجا ولم يستعمل كسـلاح للتعبئـــة في
مرحلة بناء الاستقلال ، أما لماذا لم يقع ذلك ، فتلك
قصة اخرى تجرني الى السياسة وتخرج بي عـــن
موضوع الثقافة الذي حددته لنفسي في هذا العرض ،
وكنتيجة لهذه الهفوة فان امر الثقافة لم تجر عليـــه
عملية ربط بين عهدين وحقبتين ، ولم يعـــن فيـــه
بالعربة الثقافية بالقدر الذي عني بعربات اخرى في
قطار عهد الاستقلال ، وبلغة السكك الحديدية مـــرة
اخـــــرى .

وساعدت « نشوة » الاستقلال ، و « انشتاؤه »
على الانصراف الى اشياء اخرى ربما كانت أكثر نفعا
وايرادا من الثقافة .

وفي غمرة هذه النشوة ظهرت معايير ومقاييس
لمجموع جوانب الحياة العامة في البيئة المغربية لعهد
الاستقلال ، وجاء ترتيب الثقافـــة في حاجياتهـــا لا
ليحتل المرتبة التي كان ينبغي ان يحتلهـــا ، فكـــان
طبيعيا والحالة هذه الا يتحقق عنصر « الاستمرارية »
في الثقافة حتى اذا خفت حدة « نشوة الاستقلال »
وتحتم تصنيف عوامل النهضة العامة لعهد الاستقلال
ظهر نوع ان لم اقل انواع من التجاذب والجاذبية في
امر الثقافة وانتمائها واختياراتهـــا في المضامـــن
والمفاهيم وفي الاسلوب بل وحتى في لغة الكتابـــة
والتعبيـــر .

وبما انه كان ولا بد لثقافة عهد الاستقلال من أن
تتطلع الى مصب يمكنها ان تتأثر بمجرباته ، فانهـــا

اولت الاسبقية الى الشرق العربي مثلما وقع وحدث لثقافة ما قبل الاستقلال الا ان الوضع الثقافي العام في الشرق العربي كان هو الآخر قد دخل مرحلة قيل عنها انها مرحلة تجديد حيث بدأ في اوائل الخمسينات يحاول ان يكيف نفسه تكييفا نعت باكثر من وصف وحمل اكثر من شعار ، بيد انه سرعان ما زج بـه في بحر لجي من الاتجاهات والمذاهب التي آلت ببلاد المشرق العربي الى وضعية دقيقة وخطيرة من المتناقضات الفكرية ، كان من الطبيعي ان تطفو بسيماتها وعلاماتها فوق سطح المجتمعات العربية عموما .

ولذلك فانه يحق القول ان الثقافة في المغرب بعد الاستقلال لم يكن لها في تطلعها نحو الشرق العربي نفس الحظ السعيد الذي حظيت به اختها قبل الاستقلال حيث كان الوضع الثقافي يتوفر على استقرار ملحوظ ، واختيار واضح ، وخط مستقيم ، وقيادة فكرية واعية ، وذلك بالرغم عما كان يرمى بها الوضع السياسي في الشرق العربي خلال تلك الفترة – تارة باللمز واخرى بالغمز – من انحراف وفساد .

وتلك مميزات وخصائص كان لها ولا بد من ان تكون ضمن ما يتوارد على ثقافة المغرب في عهد الاستقلال من مؤثرات خارجية بدات انعكاساتها تبدو سلبيا وايجابيا فيما يكتب وينشر ، وكان الجانب السلبي فيها يتميز بالخلط والحيرة والارتباك والاهتزاز وعدم وضوح الرؤيا في الخط العام لثقافة عهد الاستقلال وهذا ما يبدو جليا في الساحة ليرسم ظلاله المشوشة على ما يظهر من انتاج يشخص ويجسم ازمة في الكل لا ازمة في الجزئيات فحسب كما يراد وضعها وتصورها وتصويرها ايضا ، فلا غرابة ان لاحظنا انعدام النمو في سوق الاستهلاك الثقافي بالقدر الذي كان يجب ان يكون عليه الوضع الثقافي في عهد الاستقلال .

فالانتاج الذي يعد وينشر لم يستطع في اغلبيته ان يتجاوب مع الجماهير المغربية لانه احيانا يتعمد التعالي عن تفكيرها وواقعها وبيئتها ، وامعانا في التعالي فانه يستخدم في مخاطبتها لغة يصعب استجلاء اسرارها حتى على المتعلم ذي المستوى المتوسط فبالاحرى القارىء المبتدىء وهو يفعل كل ذلك لمجرد التعالي ومحاولة منه للظهور بمظهر يمكن اضفاء اى نعت من النعوت عليه ، الا انه انتاج يعرف مراتبه ويضبط وسائله .

ويعرف هو نفسه ليعرفه الناس ، اذ كل انتاج فكري لا يحدد هويته لنفسه بكل ضبط وفي منتهى الدقة يكون غير قادر على اداء رسالته وخصوصا في بلد ما يزال في مرحلة النمو الذي اثبتت التجارب ان التعقيد والتمييع يلحقان افدح الاضرار بمسيرته في مختلف الميادين ، وهما نقيصتان اثبتت الاوضاع والاحداث والتجارب كذلك ان اعداء تقدم البلدان النامية يستخدمونهما بعد ان يفلحوا في تسربهما كسلاح في محاولة منهم لعرقلة مسيراتها لمقاومة التخلف واستئصال اسبابه وجذوره .

وهكذا فان ما تتعرض له الثقافة في البلاد العربية عموما وفي بلدان العالم الثالث بصفة اعم من ضحالة وحيرة وارتباك وانعدام في الهوية وضباب في الرؤية مرده اولا وقبل كل شيء الى فقدان الذاتية الفكرية او محاولة تكوينها من عناصر غريبة عن الجسم القومي الذي يعد رفضها له امرا طبيعيا ومنطقيا .

ولئن كانت سنة التطور تقضي بالتجديد والتحويل والتطعيم والتفتح والتجاوب مع كل تراث انساني فان ذلك لا يعني مطلقا نسخ ثقافة بأخرى . والتعبير عن الاحاسيس والمشاعر لشعب بتقليد رسم صور غيره من الشعوب الاخرى ، فلكل مقام مقال ، ولكل بيئة مقوماتها وخصائصها ومعدنها الذي لا مفر من الاعتماد عليه في كل بيئة فكرية بمعناها الواسع .

واذا كان الالتزام الثقافي يعتبر من بعض الوجهات ضرورة فان الثقافة في بلدان العالم لن تكون غير ملتزمة بطبيعتها وبالنوعية الخصوصية في مهمتها ، ومن ثم فان قضية الالتزام غير واردة لان كل ثقافة غير ملتزمة فان عدم التزامها يرجع الى انها فاقدة لذاتيتها وشخصيتها ولانعدام الرؤيا في غايتها التي ينتج عنها طبعا ضعف الوسائل في الاداء وحسن التبليغ .

ولعل اصل ازمة الفكر في المغرب انما تكمن او لعلها تكمن في عدم الالتزام بالاستمرارية بين عهدين والابتعاد عما نسميه بالذاتية الفكرية المغربية ليتبلور في اطارها نمو ثقافي واضح المضمون ،

ستقيم الفكر سلس اللغة ، منفتح المنافذ عن كل ما
ن شأنه ان يطعمه من دون ان يمسخه او يحوله الى
ناز وكلمات متقاطعة واشكال من اللوغارتم ثم يقال
جماهير « هاكم اقرأوا ثقافيه » .

ذاك هو اصل الازمة بكل بساطة ، وبالمقابل
ل بساطة فان التغلب على هذه الازمة هو نقض
لها الذي ما فتئت مغازل مختلفة تنسجه منذ
نوات ، وفى تكاثف الجهود من اجل صياغة ثقافة
ربية عربية اسلامية ذات هوية اولا ، وتتمتع
رونة وقابلية للاخذ والعطاء ثانيا ، وواضحة الرؤيا
لثا ، وقادرة على التجاوب مع الجماهير رابعا ؛
كل يقين فان مراعاة هذه الامور والتقيد بها لهما
مران الكفيلان بابراز واخراج الصور الحية لثقافة

يمكن تصنيف الوانها تصنيفا مثلما تصنف أنواع
الزهور فى المزهرية بلغة الشعراء .

وبعد : فتلك فى نظري هي حكاية ازمة الفكر
بمنتهى البساطة وبعيدا عن كل تعقيد يزيدها تعقيدا
كلما وضعت فى غير هذا الاطار المبسط والبسيط .

وما احوجنا الى ان نقتنع ونعبر عن اقتناعنا
بسلوك جدي ياخذ كل قضية من قضايانا الفكرية
والاجتماعية والسياسية بماخذ جدي وخصوصا فى
هذا الزمن الذي يلهث وراء زحفه المتخلفون .
عسى ان يلحقوا به ، اما العابثون فانهم لن يلحقوا
به ، لانهم عابثون .

احمد زياد

● صدر بتطوان كتاب « تنبيه الاكياس للاقتصاد فى المآتم والاعراس » لمؤلفه المرحوم الفقيه سيدي محمد بن التهامي أفيلال . وقد اشرف على طبعه الاستاذ حسن عبد الوهاب . والكتاب دعوة اصلاحية تهدف الى التحذير من بعض البدع والتقاليد المنتشرة فى المجتمع المغربي والمنافية لتعاليم الاسلام .

ابن خلدون والتربية

للدكتور أحمد الشرباصي

تحدث ابن خلدون عن التربية والتعليم حديثا له قيمة وأهمية فى كتابه المشهور « مقدمة ابن خلدون»

ويرى ابن خلدون ان تعلم القرآن الكريم هو الاساس فى التربية والتعليم ، وفى ذلك يقول : « أعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، اخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليهم فى جميع امصارهم، كما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات » (2) . وهذا النص يؤكد لنا نهوض التربية العربية الاسلامية على اساس من الدين .

ثم يبين ابن خلدون اختلاف مذاهب الامصار الاسلامية فى تعليم الاولاد ، فأما أهل المغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، واما اهل الاندلس فيجعلون الاساس تعليم القرآن ، ويضيفون رواية الشعر والاخذ بقواعد العربية وتجويد الخط ؛ واما أهل افريقية فيجمعون بين تعليم القرآن والحديث وقوانين العلوم وتجويد الخط ، واهل المشرق يقاربون أهل افريقية (3) .

ويشير ابن خلدون الى الفوائد الاخلاقية التي يثمرها التعليم ، فيقول : « وقد يقال : من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق، لما فى الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس، فيصير بذلك خلقا ، ويتعود الصدق ويلازمه مذهبا» .

ويعلق الدكتور وافى على ذلك بأن « نظرية القواعد الخلقية للعلوم » التي يظن انها من نظريات المحدثين من علماء البيداجوجيا قد قال بها ابن خلدون قبل أن يظهر هؤلاء بأكثر من اربعة قرون .

ويأخذ ابن خلدون بمبدأ التدرج فى التعليم ، حيث يعطي المعلم تلميذه مسائل الفن من الفنون (4) مختصرا اولا ، ثم يذكر له ذلك جانبا من التفصيل مع لون من التطويل ، ثم يعود به الى الاستقصاء والاستيعاب . يقول فى ذلك : « اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا ، يلقى عليه أولا مسائله من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له فى شرحها على سبيل الاجمال ، ويراعي فى ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي الى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك

---

(1) كتاب الغزالي والتصوف الاسلامي ، ص 79 ـ 81 . طبعة دار الهلال سنة 1965 .
(2) مقدمة ابن خلدون ، ج 4 ص 1239 ، طبعة الدكتور وافى .
(3) يراجع التفصيل فى المرجع السابق ، ص 1240 ـ 1243 .
(4) المراد بالفن هنا المادة من مواد العلوم ، كالفقه والنحو وغيرهما .

علم ، الا انها جزئية وضعيفة ، وغايتها انها هيأتـه
هم الفن وتحصيل مسائله .

ثم يرجع به الى الفن ثانية ، فيرفعه في التلقين ن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويستوفي الشـرح البيان ، ويخرج عن الاجمال ، ويذكر له ما هنالك ن الخلاف ووجهه ، الى أن ينتهي الى آخر الفـن جـود ملكتـه .

ثم يرجع به وقد شدا (5) فلا يترك عويصـا ولا بهما ولا مغلقا الا وضحه ، وفتح له مقفله ، فيخلص ن الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم مفيد ، وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات ، قد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق ـه ويتيسـر عليـه » (6) .

ويحمل ابن خلدون على أولئك المعلمين الذين عمدون الى اساليب التعمية والتعقيد مع تلاميذهم ، قول : « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد لذي ادركنا ، يجهلون طرق التعليـم وافادتـه ، يحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من علم ، ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون لك مرانا على التعليم وصوابا فيه ، ويكلفونه وعـي ك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقـون لـه من يات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، ن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا » .

ولذلك لم يكن عجيبا أن يطالب منذ البدايـة وافر الملكة والحذق والخبرة بقواعـد التدريس لتفنن فيه عند المعلم ، فيقول : « الحذق في العلم لتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في حاطة بمبادئه وقواعده ، والوقوف على مسائلـه ، ستنباط فروعه من اصوله ؛ وما لم تحصل هـذه لملكة لم يكن الحذق في ذلك المتناول حاصلا ، وهذه لملكة هي غير الفهم والوعي » .

ثم يقول : « ان تعليم العلم صناعة » فلها اصول قواعد لا بد من التمرين بها (7) .

—×—

ويؤكد ابن خلدون ان الشدة في التعليم مضرة ، وانها تذهب بنشاط النفس ، وتعود التلميذ الكذب والخداع وسوء الاخلاق ، يقول : « ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخـدم سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطهـا ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمـل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميـره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، فسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجماع والتمرين ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصـار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عـن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عـن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في اسفـل السافليـن » .

ويعني ابن خلدون بالتجربة في التعليم والتربية ، ويلفت النظر الى الاهتمام بالتجربة في المواد العملية قبل شوق العلوم النظرية ، فيقول : « النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة ، وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلـوم والادراكـات عن المحسوسات أولا ، ثم ما يكتسب بعدهـا بالقـوة النظرية ، الى أن يصير ادراكا بالفعل وعقلا محصنا ، فتكون ذاتاروحانية ، وتستكمل حينئذ وجودهـا ، فوجب أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا فريدا ، والصنائع ابدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة ، فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا ، والملكات الصناعيـة تفيـد عقـلا ... » (8) .

وقال ابن خلدون أيضا عن التجربة في المـواد العملية : « اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملـي فكري ، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس ، والاحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة اوعب لهـا واكمل ، لان المباشرة في الاحـوال الجسمانيـة المحسوسة اتم فائدة ، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل ، وتكرره مرة بعد اخـرى ، حتى ترسخ صورته ، وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ، ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلـم ،

بعني اخذ طرقا من العلـم والادب .
المرجـع السابـق ، ص 1233 .
المقدمـة ، ج 3 ص 985 .
المقدمـة ، 2 3 ص 971 .

فالملكة الحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر ؛ وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلـم يكون حذق المتعلم فى الصناعة وحصول ملكته » .

—×—

ويدعو ابن خلدون فى التربية والتعليم الى مبدأ المناقشة بين المعلمين والمتعلمين ، ويعـد ذلـك اساسا مهما فى طلب العلم ، ولذلك يعيب على طائفة من التلاميذ انهم لايناقشون ولا يحاورون : « تجـد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهـم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتـا لا ينطقـون ولا يفاوضون ؛ وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة ، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصـرف فى العلـم والتعلم ؛ ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد تحصل تجد ملكته قاصرة فى علمه ان فـاوض او ناظـر او علـم » (9) .

وينوه ابن خلدون بتعريب العرب العلوم عـن الامم ونقلها الى اللغة العربية ، وانهم جردوها من تلك اللغات الاعجمية الى لسانهم ، واصبحت اصول الكتب التي عربوها نسيا منسيا عندهم ، واصبحت العلوم كلها بلغة العرب ، ويقرر ان التمكن من اللغة العربية يسهل عليه فهم المعاني فى مختلف كتب العلوم ، حتى ولو كان اعجمي الاصل ، لانه بدأ به على التعليـم ، والمران على اللغة العربية وممارسـة الكتابة بهـا يفضيان بالانسان الى تمكن الملكة عنده ، كما يشاهد فى علماء الاعاجم الذي تعرفوا واجادوا العربية (10)

ومن الطرائف فى حديث ابن خلدون عن التربية والتعليم ما يذكره عن طريقة أهل الاندلس والمغرب ، اذ كانوا يتبعون فى تعليم الكتابة طريقة « محاكـاة الخط فى كتابة الكلمات جملة ، ويكون ذلك من المتعلم، ومطالعة المعلم له الى أن تحصل له الاجادة ، وتتمكن فى نبائه الملكة » . ويعلق على ذلك الدكتور وافـى بقوله : « ان ان هذه الطريقة امثل طريقة من الوجهة التربوية لمسايرتها للواقع من جهة ، لطبيعة العقـل الانساني من اخرى ، فالواقع ان الكلمة هي التي لهـا مدلول فى ذهن الطفل ، اما الحرف فلا مدلول له ، والعقل الانساني ينتقل بطبيعة من ادراك الكـل الى ادراك اجزائه (11)

—×—

ونظرة ابن خلدون الى مواد العلوم نظرة فسيحة واسعة ، وقد يشهد لذلك اننا نراه يتحدث عن بعض العلوم التي نستطيع ان نسميها اليوم «علوم الفضاء»، فهو حين يتحدث عن علوم النظر فى المقادير يقول : « ورابعها علم الهيئة ، وهو تعيين الاشكال للافلاك ، وحصر اوضاعها وتعددها لكل كوكب من السياره ، والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ، ومن رجوعهـا واستقامتها ، واقبالها وادبارها » . ثم يقول : « ومن فروع الهيئة الازياج ، وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها ، للوقـوف على مواضعهـا فى قصـد ذلـك » (12) .

وهو ايضا يعدد علوم النظـر فى المقاديـر ، ويذكر منها علم الهندسة ، وعلم الحساب ، ويقول : « وعلم الموسيقى ، وهو معرفة نسـب الاصوات والنغم بعضها من بعض ، وتقديرها بالعدد ، وثمرتـه معرفـة تلاحيـن الغنـاء » .

وقد ينبغي لنا هنا ان نتذكر ان حجة الاسلام الغزالي قد عقد فى كتابه « الاحياء » بابا طويـلا عن السماع ، ابان فيه بتوسع الاثر العميق للالحان فى نفس الانسان ، وذكر فيه اقوال العلمـاء ، ثم اورد الادلة على جواز اباحة السماع للغناء والالحان (13).

وليس هذا هو الشبه الوحيد بين الغزالي وابن خلدون فى حديثهما عن التربية والتعليـم ، فقـد اشتركا واشترك معهما غيرهما فى عدة امور منها : ان العلم اهم غرض ، وان العلم بالتعلم ، وان العنصر الديني مهم فى التربية ، وعماد ذلك هو القرآن الكريم وانه يجب التلطف والتدرج فى التربية ، وان العلـم للعمل ، وان المعلم يحتاج الى مهارة وخبـرة ، وان

(9) المقدمـــة ، ج 3 ص 987 .
(10) المقدمـــة ، ج 4 ص 1252 .
(11) ج 3 ص 950
(12) ج 4 ص 1086 .
(13) الاحيـــاء ، ج 6 ص 136 – 199 .

جربة العملية مهمة فى التحصيل ، وان العلوم ماوتة الدرجات ، وانه ينبغي مراعاة النزعات طرية .

واعود لاذكر أن هذه اللمحة عن علمين من اعلام ربية العربية ، وهما الغزالي وابن خلدون ، لم يرد يا الا اعطاء نموذج مختصر لجهود شخصين ازدان تاريخ التربية عند العرب ، ومن الممكن عند ساع المجال أن تستعرض جهود غيرهما من اعلام ربية العربية ، وان تقارن بينهم ، وأن نتبين كيف هؤلاء الاعلام فى تكييف الاسس التاريخية التي اها لنا التراث العربي التربوي ، لنزداد ايمانا بأن لافنا قد خلفوا لنا ما نستطيع أن ننتفع به . وأن تمد منه ، وان نفاخر غيرنا عن طريقه .

نحن وتراثنا التربوي

وبعد هذا نستطيع أن نمضي على طريق الانتفاع ه الاسس التاريخية فى حاضرنا او مستقبلنا ربوي . واذا كان هناك من يقول : ان تراثنا فيه شيء ، وينبغي أن نعود اليه ونقتصر عليه ، وكان اك من يقول : انه ينبغي لنا أن نعد تراثنا القديم قد تنفد اغراضه ، ويجب أن نأخذ عن غيرنا ممن بقونا كل شيء ، فان القول العدل الفصل هو أن ل : ان فى تراثنا أشياء ينبغي أن نعتز بها ونحرص بها ، ونحتاج من غيرنا الى اشياء لا خير اذا أخذناها ه ، والحكمة ضالة المؤمن .

لا يليق بنا أن نحبس انفسنا فى محراب تراثنا ربوي القديم الذي وقفت نهضته منذ قرون ؛ لت واقفة عدة قرون ، كما لا يليق بنا ان نهجر هذا حراب ، ونولي وجوهنا على الدوام شطر غيرنا ؛ تمد منه كل شيء تاركين تراثنا الجليل الضخم رضا للضياع . ولكن اللائق بنا هو ان نوجد توازنا النزعة السلفية الغالية في المحافظة على القديم، لنزعة المقلدة الغالية فى متابعة الغرب .

واذا كان التطور سنة الحياة ، فان هذا لا يمنع يكون عصر قد مضى راقي ـ فى جانب أو جوانب ـ عصر لاحق يقبل بعد ذلك .

وفيما يلي أمور يمكن ان نلتقطها من طريق نتفاع بتراثنا :

1 ـ اذا كانوا قد قالوا ان سقراط قد نزل بالفلسفة من السماء الى الارض ، ووثق صلتها بشؤون الانسان الاجتماعية والسياسية والخلقية ، واذا كانت الفلسفة قد انتقلت من البحث فيما وراء الطبيعة الى حياة الانسان ومطالبه ، فان التربية اولى من الفلسفة بان تسلك طريقها العملي نحو اعداد الفرد والجماعة ، اعدادا حسيا ونفسيا وعقليا ، وروحيا وقوميا وانسانيا ، ليتكون المجتمع العاقل الفاضل المناضل .

2 ـ تجب العناية بجعل التربية فى العالم العربي وسيلة لتنمية الشخصية ، وضبط السلوك ، وحسن المعاملة ، وانشاء العلاقات الكريمة بين ابناء المجتمع ، وتعميق روح التعاون والتضامن والمساواة .

3 ـ يجب ابراز الشخصية العربية ، وروح القومية العربية فى المدرس ، والمنهج ، والكتاب ، والتلميذ ، والمدرسة .

4 ـ يجب العناية كل العناية بالتربية الدينية علما وعملا وخلقا ، ولنتذكر انه قد جاء فى كتاب « تطور النظرية التربوية » هذه العبارة :

« الفلسفة الناجحة يجب ان تتكيف طبقا للقوانين الطبيعية المناسبة للحياة الروحية ، وما دمنا نتفق على ان هذا الكون الذي نعيش فيه تتخلله نغمة الهية ، وتربطه وحدة أخلاقية، فلتكن طرق المعيشة التي نسير عليها ونبغي لها النجاح متفقة مع القوانين الاخلاقية ، وعلى التربية قبل كل شيء أن تقود النشىء الى الطريق الصحيح ، حيث يشع من وراء السحب ذلك القبس العلوي المنير ، ممثلا فى كل ما هو حق ، وكل ما هو عدل ، وكل ما هو جمال .

وهكذا بدا كثير من الناس يعتقدون بحاجة التربية الى الدين ، ويقولون ان التربية اذا كان يهمها أن تدعم صرحا المدنية الشامخ ، وأن تقف فى طريق امواج البربرية المتدافعة ، فلتتخذ من الدين صخرة ترتكز عليها » (14) .

ولنتذكر أيضا أن المفكر الفرنسي « اميل دور كايم » حينما حاول أن يقيم التربية

---

(1) تطور النظرية التربوية للاستاذ صالح عبد العزيز ، ص 185 ، الطبعة الثانية .

الاخلاقية على أساس عقلي غير مرتبط بالناحية الدينية ، لم يستطع الاستغناء عن الدين ، بل قال فى كتابه « التربية الاخلاقية » :

« اذا اكتفينا ــ حين نريد اخضاع الاخلاق او التربية الاخلاقية للعقل ــ بأن نجرد الحقيقة الاخلاقية من كل ما هو ديني ، دون ان نعوض عن ذلك شيئا ، فان هذه العملية نفسها ستؤدي بنا حتما الى تجريد الاخلاق من بعض عناصرها الذاتية ، ولا يتبقى لنا حينئذ مما يصلح ان نطلق عليه اسم الاخلاق الا لون ضئيل شاحب. ولتفادي ذلك الخطر يجب الا نكتفي اذن بما نقوم به من فصل ظاهري ، بل يجب ان نذهب بعيدا، وان نقصد راسا الى لب المبادىء الدينية ، لكي نبحث بين ثناياها عن الحقائق الاخلاقية المخبأة ، فنخلصها لكي نعرف كنهها تماما ، ونحدد طبيعتها الذاتية ، وبذلك يتسنا لنا أن نعبر عنها بلغة العقل ، وخلاصة القول انه يجب علينا الكشف عن الرموز العقلية لهذه الافكار الدينية التي ظلت مدة طويلة تجر فى ركابها اهم الافكار الاخلاقية » (15) .

وليس معنى الاستشهاد بهذا النص اننا نوافق « دور كايم » على كل آرائه .

وينبغي أن لا ننسى ان نفوس الاطفال مجال خصب لغرس المبادىء الدينية بمهارة ودربة ، فلنبدأ بهم ، على أن يتسع نطاق التربية الدينية شكلا وموضوعا ، وثقافة وفكرا ، بتتابع مراحل الدراسة .

5 ــ ينبغي أن يكون هنا حرص موصول دائم ــ فى التربية والتعليم ، على الربط بين الماديات والروحيات ، فى المواقف المناسبة ، وبالطريقة الحكيمة ، خلال تدريس مختلف العلوم والمواد. وتلزم العناية بايضاح الصلة العميقة بين الدين والعلم ، ليكون الدين تزكية للعلم ، ويكون العلم تأكيدا لمبادىء الدين وحقائقه ، وينبغي أن لا تقتصر هذه العناية على مدرسي الدين والاخلاق، بل تشمل كل المدرسين بالمقدار الذي يناسب موادهم المختلفة .

6 ــ تلزم العناية بتوثيق العلاقة بين القومية العربية والعقيدة الدينية ، او بتعبير آخر : يلزم العناية بتوضيح الروابط التاريخية والفكرية بين العروبة والاسلام ، على اساس ان العروبة وعاء الاسلام ، وان الاسلام روح العربية ، ومما يستعان به على تحقيق ذلك الانتفاع بالقرآن الكريم فى ربط الفرد العربي بالبيئة العربية من ناحية تاريخها واماكنها وآثارها ، والانتفاع به كذلك فى توطيد اللغة العربية ، وتوحيد كثير من مفرداتها فى الاستعمال بين ابناء العروبة ، والانتفاع به كذلك فى تثبيت مجموعة من القيم الروحية والمبادىء الاخلاقية التي تحتاج اليها الامة العربية ، واذا كان المسلم ينظر الى القرآن على انه دستور عقيدة ودين ، فان العربي ــ ولو كان غير مسلم ــ ينظر الى القرآن على انه وثيقة عربية باقية ، حفظت على العربية لسانها وبيانها والنمط الاعلى من اسلوبها وتعبيرها .

7 ــ ينبغي الانتفاع بالعنصر القصصي فى القرآن الكريم ، وفى السنة المطهرة ، وفى السيرة العاطرة ، فى جوانب من التربية والتعليم .

8 ــ ينبغي الانتفاع بالتاريخ المشترك للامة العربية، والادب العربي ذي الصبغة القومية العامة فى التربية والتعليم ، ويترتب على ذلك توحيد المواد القومية فى جميع الوطن العربي كالتاريخ والجغرافية والتربية القومية وسيرة الاعلام .

9 ــ يجب التزام التدريس باللغة العربية ــ بصفة أساسية ــ فى جميع المدارس القومية والمدارس الاجنبية ، بحيث تكون اللغة العربية فى كل هذه المعاهد هي اللغة « الام » ، ولا يجوز أن تدرس اى مادة من المواد القومية بغير اللغة العربية ، وان تكون هناك رقابة دقيقة وشاملة ومستمرة على المدارس الاجنبية حتى نطمئن دائما على تحقيق ذلك .

(10) يجب استكمال تعريب التربية والتعليم فى كل المراحل الدراسية ، بما فى ذلك الكتب الكتب والمصطلحات وطرق التدريس ، ولا

---

(15) التربية الاخلاقية « لاميل دور كايم » ، ترجمة الدكتور السيد محمد بدوي ، ص 10 ، طبع دار مصر للطباعة .

يتعارض هذا التعريب مع التمكن من اللغات الاجنبية فى نطاقها ومجالها ، ولا مع الاستعانة بالخبرة العلمية او التربوية اذا احتجنا اليها ، ولم يكن لدينا ما يقوم مقامها .

(1 لكي تثمر التربية ثمراتها الطيبة اليافعة تجب زيادة العناية بتوثيق الروابط الروحية والعلمية بين الاستاذ والتلميذ على اساس الرعاية الحادبة المخلصة من جهة الاستاذ ، والاحترام والتوقير من جهة التلميذ ، وصلوات الله وسلامه على رسوله القائل : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ولم يرحم صغيرنا » .

- يجب التوسع فى دراسة اعلام التربية العربية والاسلامية فى كليات التربية والمعلمين ؛ بحيث تدرس حياتهم وكتبهم ومذاهبهم الفكرية ومناهجهم العلمية وآراءهم فى التربية والتعليم . وكذلك نختار من كتبهم ما يصلح ليكون مقررا لمطالعة الطلاب .

- ينبغي ان نتتبع التراث التربوي العربي الاسلامي فى كل تاريخنا العربي ، لنستخلص منه منهجا تربويا عربيا متكاملا ، تظهر فيه الشخصية العربية التربوية بكل ملامحها وعناصرها ومقوماتها ، على اساس ان نوفق بين اسس التربية فى تراثنا العربي ومقتضيات او متطلبات التربية الحديثة التي تنشدها فى الدولة العصرية العلمية التي تتواخى بنائها .

- ما زال « محو الامية » بين الكبار والصغار فرضا يطوق اعناقنا ، وتطالبنا به نهضتنا وقوميتنا وتاريخنا ، ولذلك يجب ان تتضاعف الجهود المؤيدة بالاساليب العلمية الحديثة للقضاء على الامية فى ارجاء العالم العربي ؛ بلا تفرقة بين الكبار والصغار ، ولا بين الذكور والاناث .

(15) لا بد من انصاف عادل وشامل لرجل التربية والتعليم ، اذ لا يجوز بحال من الاحوال ان يتخلف ماديا او ادبيا او اجتماعيا عن اي زميل له فى الوطن ، لانه ينهض باشرف الاعمال ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه : «ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه» . ويجب كذلك أن يكون هناك مامن لمستقبل المعلم وشيخوخته ، وهذا هو واجب الدولة اولا ، ثم واجب الهيئات المسئولة عن رجال التربية والتعليم .

ولنتذكر أن عبد الحميد الكاتب قد قال يخاطب معاشر الكتاب فى عصره ، وهم أقرب الفئات الى المعلمين والمربين على عهدهم : « وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه ، حتى يرجع اليه حاله، ويثوب اليه أمره ، وان اقعد احدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه ، فزوروه وعظموه وشاوروه ، واستظهروا بفضل تجربته ، وقدم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه ، أخفظ منه على ولده وأخيه » (16) .

—×—

اما بعد ، فما اجدر هذه الامة العربية المؤمنة بأن تقيم دعائم نهضتها وعزتها على اسس سليمة قويمة من التربية الواعية البصيرة ، والعلم الصحيح النافع ، فقد صدق الاحنف حين قال : « كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره » . كان الله جل جلاله لامتنا على الدوام . وعلى الله قصد السبيل .

احمد الشرباصي

---

(16) صبح الاعشى ، ج 1 ص 86 .

المنظمة العربيـــة للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم
جوائـــز الادب الفلسطينـــي

● تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن الجوائز التاليــة للادب الفلسطيني :

الرواية او المسرحية التي تعبر عن تلاحم النضال العربي الفلسطيني مع النضال العربي فى مواجهـــة الاستعمار والامبرياليــة والصهيونيــة الدوليـــة :

ــ الجائزة الاولـــى	600 دولار
ــ الجائزة الثانيـــة	400 دولار
ــ الجائزة الثالثـــة	200 دولار

مجموعـــة القصص القصيـــرة :

ــ الجائزة الاولـــى	600 دولار
ــ الجائزة الثانيـــة	400 دولار
ــ الجائزة الثالثـــة	200 دولار

الشعـــــــــر :

ــ الجائزة الاولـــى	600 دولار
ــ الجائزة الثانيـــة	400 دولار
ــ الجائزة الثالثـــة	200 دولار

وتدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الادباء الفلسطينيين الى ارسال انتاجهم الذي يرشحونـه لهذه الجوائـــز الى ادارة الثقافـــة بالمنظمة (109 شارع التحرير ــ ميدان الدقى ــ القاهرة) فى موعد غايته منتصف اغسطس / 1977 ●

مكتبة دعوة الحق

- بديل البديل — للمرحوم علال الفاسي
- جامع القرويين — للدكتور عبد الهادي التازي
- مولاي عبد السلام بن مشيش — للدكتور عبد الحليم محمود



بديل البديل

تأليف الأستاذ المرحوم علال الفاسي
عرض وتقديم الاستاذ عبد الرحيم بنسلامة

ضمن منشورات دار الكتاب بمدينة الدار البيضاء صدر كتاب « بديل البديل » للاستاذ المرحوم علال الفاسي وهو عبارة عن الرد الذي خص به الفقيد العلامة الفرنسي روجيه جارودي .

والكتاب بالرغم عن صغر حجمه يعتبر دراسة مفيدة جدا بذل فيها الفقيد جهودا علمية مضنية لاستجلاء الحقيقة الاسلامية وتحديد معالمها عندما اتجه بالمقارنة والمقابلة بين المبادىء الاسلامية وبين المواقف والآراء التي ابداها جارودي فى الشيوعية والاشتراكية والراسمالية .

ولا شك أن من شان هذه المقارنات التي اشتمل عليها « بديل البديل » ان تحدد المفهوم العام للاسلام فى بناء الاقتصاد والمجتمع وتمييزه عن غيره من المفاهيم الوضعية التي كثيرا ما تختلط به او تشوه من قواعده ، كما ان من شان هذه المقارنات التي اقامها المرحوم علال أن تبرز اهمية الاقتصاد الاسلامي ، وتدفع كل شك وتردد حول جدوى مبادئه السامية وامكانية تطبيقها فى العمل .

= * =

من هو روجيه جارودي الذي اختار الاستاذ علال الفاسي الرد على كتابته ، انه من الشخصيات الفرنسية الملتزمة سابقا فى الحزب الشيوعي الفرنسي ، لبث عضوا رسميا فيه مدة ثمانية وثلاثين عاما ، قضى العشرين عاما الاخيرة منها فى عداد قادته الممتازين الى جانب طوريس واراجون وغيرهم من رجال الفكر الفرنسي .

وهو ايضا من الكتاب الفرنسيين الذين قرا لهم الاستاذ المرحوم علال الفاسي كل ما كتبوه سواء فى لغتهم الاصليةاو الترجمة العربية ...

وجارودي من الذين كتبوا عن الحضارة العربية باعجاب واطمئنان واقرار بأن التراث العربي الاسلامي فيهما قد لا يحتاجمعه العرب لغيرهم ،اذا أرادوا البحث عن جذور لفكر يساري عربي ، فهو من هذه الجهة يتفق مع لوبون فى تقدير حضارتنا وتاريخنا .

وكتابة جارودي منسجمة واضحة تجذب القارىء الى الاستمرار فى مطالعتها بالفرنسية دون سام او ملل وكأن قارئها يتلو رواية متصلة الحلقات ، ومع الانقلاب الذي حصل له فى تفكيره فان اسلوبه لم يتغير ، وانما تغير منطقه التاريخي وحبه فى الاجتهاد والتأويل .

وقد سبق للمرحوم علال أن تعرف على جارودي مرتين زاره فى احداهما وتناقشا عن الوضع الاستعماري للمغرب أثناء الحماية ، فكان من الشيوعيين الذين يبحثون عن التوفيق بين مقاومة الاستعمار والابقاء على نوع من الرباط مع فرنسا .

= * =

لقد بقي روجيه جارودي متعلقا بالحزب الشيوعي طيلة ماضيه ، ولو انه بدا ينظر الى مقولات الشيوعية الارثوذوكسية بعين الشك منذ ان بدات الوطنيات تطغى على الدولية فى نظر معظم المفكرين الماركسيين اللينينيين وفى ممارستهم ، لقد كان تيتو اول منذر بالخطا الستاليني فى تطبيق ثورة اكتوبر وأفكار ماركس وأول محاولة لجعل الممارسة فى شكل

تسيير ذاتي يشترك فيه الكل ولكن ضمن القيادة العليا للحزب وللرئيس التاريخي للثورة اليوغسلافية ، ولكن هذه المحاولة الجادة اصطدمت بالمعارضة القاسية من الستالينية ومن حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي التي كانت فيه يوغسلافيا ، فبرز التناقض الاصيل بين الفكر والممارسة ضمن الشيوعية الوطنية كما هو ضمن الشيوعية الدولية ، وبقيت ثنائية الحكم والشعب ، والحزب ، والقادة تفعل فعلها في اعاقة التطور الذي بدأته المحاولة التيتوية الكبرى ، وكان صدور كتاب جلاس (الطبقة الجديدة) انذارا بالخطر الذي يهدد الشيوعية من ممارستها ، ثم ظهرت الانتفاضات الاخرى في الديمقراطيات الشعبية ، وظهر كما يقول جارودي أن هناك فرقا اساسيا بين الشيوعية كحركة وممارسة وبين الشيوعية الروسية، فلا غرابة ـ يقول ـ ان تحاول الصين المتحررة من كثير من رواسب الحضارة البورجوازية الغربية صنع حضارة بديلة من حضارة روسيا واوروبا معا .

= ❋ =

يتساءل جارودي : هل تستحق الاشتراكية ان توضع في عدل واحد مع الراسمالية ؟

فيجيب : أن لا ! والفرق في نظره أن هذا الشكل التعسفي في الاشتراكية هو لاسباب تاريخية فقط ـ قيامها في اقطار متخلفة ـ تداخل مشكل بناء الاشتراكية ومشكلات النضال ضد التخلف ـ فأصيبت الاشتراكية بعدوى الراسمالية ، اما الراسمالية فان لها تلك الوصمات من ماهيتها .

ويلاحظ الفقيد علال على جارودي هنا بالذات انه اذا كانت العدوى قد فعلت فعلها في الاشتراكية حتى اصبحت وصمات الراسمالية نديدا لها ، الا يتحقق المثل القائل : العادة طبيعة ثانية، ان الاسباب التاريخية لا تغير من واقع الاشياء .

ولعل جارودي يشعر بهذا حين يرجع ليقول :

ان الثورة التي ننشدها اليوم لا يمكن ان تتشبه بثورة الماضي ، انها هدم الثنائية وبنائية اشتراكية التسيير الذاتي، لا راسمالية ولا بيروقراطية ستالينية .

طبعا ان هذه المواقف التاريخية التي تأتي متسلسلة كافكار جديدة في كتابات جارودي تجعله خارج الفكر الشيوعي كما يفهمه الحزب في روسيا وفي فرنسا فلا غرابة ان نرى القرار التاريخي باخراج جارودي من الحزب يعلن بكل بساطة ضد قائد من قادة ذلك الحزب .

= ❋ =

هل تحول جارودي حقا الى رجل لا شيوعي ، غير ماركسي ؟

سؤال طرحه المرحوم علال ثم يجيب عنه بأن جارودي ينفي آلاف المرات عن نفسه خروجه عنهما ، ولكنه وجد حرية كاملة في ان يقدم الماركسية كما يتأولها هو وكما يرى وجوب فهمها من الجميع في هذا العصر ، ان تحدى الشبيبة التاريخي ورفضه للثنائية في الحكم وفي الحزب في فرنسا وفي العالم الاشتراكي ، وان ظهور آراء ماركوز التي وافقت في تحليلها تحليلات ماركس نفسه هي بين اشياء اخرى التي شجعت جارودي لان يعلن رأيه الصريح ، بل لان يعلن انه اكتشف الماركسية الحق والمسيحية معا حين اكتشف نفسه .

ويبدو ان جارودي كان أمينا مع نفسه ومع رفاقه عند ما تحرر من أسرار المذهب ونفض عن عقله تلك الغلالة السوداء التي حالت بينه وبين جلال الحقيقة . فانطلق في اثرها غير عابىء بعقاب الحزب الشيوعي الفرنسي ولا بنقمة الدول الشيوعية . ولا بالبيروقراطية الستالينية ، لان هذين اديبا الى ولكنه اوضح ان تغيير البنى لا يكون بالراسمالية ، تحلل مجتمعي وانساني ، لفعل سؤدد السوق الملتهمة في آلاتها العمل والارض والمال .

وفي هذا الصدد يقول المرحوم علال : « وكم نحن سعداء ان نرى مفكرين في مستوى جارودي يصلون الى ادراك حقائق بعد تجارب الراسمالية والستالينية التي ما تزال قائمة في كل الاقطار الاشتراكية ولو بغير اسمها ... حقائق نعتبرها نحن في مقدمة المبادىء التي نؤمن بها كمسلمين ، والتي هي احدى اسس البنى الاقتصادية الاسلامية :

1) فاستنكار مبدأ المشروع الحر الراسمالي الذي يجعل من المال بضاعة يتفق مع القاعدة الاساسية في الاسلام الا وهي اعتبار المال وسيلة لا غاية ، والتي يستنبطها الغزالي من الحديث الشريف : « الدراهم والدنانير خواتم الله في الارض»

2) اما آلية تراكم الرساميل التي يعبر عنها جارودي باتاحة امكانية تحويل كل ما هو ضـروري للحياة ولا سيما وسائل الانتاج والتبادل الى ملكيـة خاصة ، كما يتيح امكانية حصر احتكار هذه السلطة بعدد متضائل بافراد من الاشخاص ، فهذا عمليا مـا علل به القرآن الكريم ضرورة قسم الغنائم التي كانت فى عهد نزول القرآن احدى اسباب التملك الاساسية وذلك بقوله تعالى «كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم»

ومما يجعل الاستاذ علال الفاسي فى وفاق مع جارودي ذلك الاحصاء الذي قام به هذا الاخير والذي يسجل ظاهرة التملك فى العالم الراسمالي حيث يذكر فيه بانه فى انجلترا كان 5 ٪ من السكان عـام 1960 يملكون 75٪ من الملكية ، و 96٪ من الاسهم ، و 1٪ منهم يملك 81 ٪ من الاسهم ، وحسب تقرير اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ (حول النضال ضد الترستات) فى الولايات المتحدة فان 200 شركـة كانت تحوز فى عام 1950 على 49 ٪ مـن مجمـل الاسهم ، وفى عام 1957 على 57 ٪ وتتلقى 86 ٪ من مجمل الارباح ، وقد تكهنت صحيفة «الايكونوميست» الانجليزية فى عددها الصادر فى 13 يوليوز 1968 استنادا الى راي اقتصاديـين « ثقـات » بان 300 شركة دولية لا اكثر ستهيمن فى غضون عشرين عاما على الحياة الاقتصادية فى العالم الراسمالي .

3) يقرر جارودي كنتيجة لمبدا المشروع الحر ـ ان تصبح القيم الانسانية قيمـا بالمعنـى البورصي للكلمة ، اي السباق الاعمى على الربح للربح والنمو للنمو ، وهي حقيقة ثابتة قطعا ، اصبحت بها المسلمة المقدسة والضمنيـة فى آن واحـد لمجتمعنا هي : كل ما هـو ممكن تقنيـا مرغـوب وضروري ، وليس كمثل هذه المسلمة اذية ومضرة اليوم ، ولكن هذه المسلمة ليست فقط من صفـات العالم الراسمالي بل تشمل حتى العالم الاشتراكـي الذي يبيح صرف مدخولاته العظيمة فيمـا يعطيـه الاولوية من السباق للتسلح ، او تسخيـر البحـث العلمي لما يضر بالانسانية ، ولذلك فان الاسلام حينما يبيح مبدا الملكية خاصة او عامة انما يريد منهـا ان تكون اداة التوازن بين الوحدات الانسانيـة ، فلهـا وظيفتها الاجتماعية ، وهي خاضعة للمصلحة العامة .

4) ويصل جارودي الى حقيقـة اسلاميـة خالدة حينما يعلن ان الثورة (التغير) لا يمكـن ان تتحدد اليوم بتغيير البنى فحسب ، وليست المشكلة الاساسية مشكلة عنف التغيير او مشروعيته ، بـل مشكلة مضمونه واتجاهه ، اذ الثورة الاصيلة الوحيدة هي تلك التي تتيح للجميع ان يحيوا حياة اغنى ، اي اكثر خلقا وابداعا ، ويقول بعـد : ان الاشتراكيـة والحرية غير الممنوحين (من الخارج) والمنتزعين من قبل الشعب انتزاعا : تقتضيان ان يترافق تغييـر البنى بتغيير الضمائر .

والمرحوم علال يورد تعقيبا على هذا القول بما جاء فى الآية الكريمة « ان الله لا يغير ما بقوم حتـى يغيروا ما بانفسهم » ، ويقول بان النفس هنا تعنـي الضمير وهو الباعث الانساني على العمل .

= ❋ =

ان جارودي يعترف بعجز المسيحية والماركسية معا عن الوفاء بوعودهما : المسيحية لانها جـردت الانسان من مسؤوليته التاريخية ، ومن مسؤوليـة خلقه وابداعه ، والماركسية لا تستطيع هي الاخرى ما دامت مشوبة بالمادية الميكانيكية وبالوضعية ، ان تتيح للانسان امكانية الانسلاخ عن قدره ليصبح مبدع تاريخه وخالقه . غير ان الاسلام بجعله الانسان مكلفا اعطاه مسؤوليته التاريخية الناتجة عن حريتـه فى اختيار احد النجدين واقتحام العقبة التي تجعلـه صانـع تاريخه .

ويؤكد جارودي بان الالحاد ليس الاسـاس الضروري للعمل الثوري ، وليس من الصحيح تاريخيا بادىء ذي بدء ان المادية التاريخية والالحـاد كانـا مرتبطين بالعمل الثوري برباط داخلي .

= ❋ =

من خلال ما تقدم نرى بان الحلول التي توصل اليها جارودي عبر بحثه الطويل عن الحقيقة ليسـت فى الواقع سوى فروعا من اصول اختطتها الشريعـة الاسلامية فى جميع جوانب الحياة ، فاعتبـار المال وسيلة لا غاية وتحريم تركيزه بين ايدي قليلة وتقرير مبدا الوظيفة الاجتماعية للملكية تعتبر كلها من أمهات القيم الاسلامية التي يتفرع عنها رفض صيرورة المال بضاعة ومنع احتكار الثروة وتقييد حق الملكية .

وقد ابرز العلامة الفقيد علال الفاسـي هـذا التقابل بين حلول جارودي واصول الشريعة فى صورة اخاذة تشكل بحق اجتهادا رائدا فى هذا الباب ... وارتسمت من خلال تحليله الرائع « للبديل » ملامح المجتمع الذي استهدفه الاسلام .

جامع القرويين

تأليف الدكتور عبد الهادي التازي

عرض وتقديم الاستاذ عبد القادر العافية

يعد هذا الكتاب بحق جوهرة نفيسة تقتنيها كتبة المغربية ، بل مؤسسة ثمينة تعتز وتفتخر بها كتبة العربية ، لانه فى الحقيقة عبارة عن بحث مى رصين حول موضوع هام فى حياة الثقافة سلامية بهذا الجناح الغربى من العالم الاسلامى .

ولقد صدق مقدم الكتاب الدكتور احمد مختار بدى حيث قال : « ان موضوعا مثل هذه وضوعات الحضارية المتشعبة يتطلب من مؤلفه كثير من الجهد والقراءة المتصلة لاستخراج كل ما طلبه من معلومات ولقد اعان الله مؤلف هذا كتاب فاستطاع ان يطلع على جميع المصادر صيلة التى تفيده فى بحثه .. والواقع ان الدكتور د الهدى التازى بذل كثيرا من الجهد ، واحاط وضوعه بمزيد من العناية ، حيث اتبع منهجية ديثة واعية ، وطريقة متبصرة ذكية .. وبذلك اخرج ا كتابا هاما عن تاريخ اقدم جامعة اسلامية فى سالـم .

والدكتور عبد الهدى التازى فى قيامه بهذا مل الهام الموفق يخدم بذلك الثقافة العربية سلامية ويبرز الدور الذى قامت به ثقافتنا صيلة فى الحفاظ على الاسلام ، والتبشير به ، دفاع عنه ، وبث اشعاعه الفكرى ، ورسالته حضرية فى ربوع افريقيا واوروبا وآسيا ..

وهو بعمله هذا يؤرخ لاعظم مؤسسة فكرية شمال افريقيا ، وفى غرب العالم الاسلامى وحوض حر الابيض المتوسط .

والمتتبع لمصادر الكتاب ومراجعه يرى ان الدكتور التازى قد حاول عملية استقصاء كل ما يمت الى موضوعه بصلة ، وهو بعدم استشار المصادر العتيقة التى تتحدث عن مدينة فاس وعن القرويين وعن الحياة السياسية والعمرانية لبعض الدول المتعاقبة على المغرب ، بعد ما استوعب ذلك لجأ الى مصادر حديثة ، ومعاصرة عربية واجنبية ، كما لجأ الى الوثائق غير المكتوبة كالعملات والنقوش ، والزخارف ، والثريات ، والفوارات ، والاساطين الرخامية ، والساعات والكراسى ، والمنابر ، والقبب والابواب والاتوابس . . وحاول أن يقرأ كل البحوث والمقالات فى الصحف والمجلات ، والتقارير ، والاحصائيات ثم قام بعملية تصوير توضيحية لكثير من الآثار والنفائس من الفنون والتحف ، وخطوط العلماء وتوقيعاتهم وخطوط الملوك والامراء والقضاة وامضاءاتهم ..

فالقارىء فى الحقيقة يجد نفسه امام موسوعة عن القرويين تعطيه التاريخ الحضارى والثقافى ، وتطلعه فى نفس الوقت على التطور الفكري والفني والمعمارى الذى عرفته هذه الجامعة .

ولا ابالغ اذا قلت ان كتاب جامع القرويين هو اشبه ما يكون بفلم وثائقى يجعل القارىء يشاهد احداث التاريخ الفكرى للقرويين فى حركة حية ناطقة حتى لتكاد تسمع أصوات العلماء وهم فى محاضراتهم ومناظراتهم ومحاوراتهم الخاصة وهيئتهم المميزة لهم ..

وحتى لتكاد ترى الطلبة وهم فى حلقات دروسهم يكتبون ويسألون ويستفيدون ، او فى مآويهم يقراون ويطالعون ويتسامرون .

وكأن هذا الفلم الوثائقي حاول مخرجه ببراعة نادرة أن يطلع المشاهد على خفيا الحياة الثقافية عبر العصور والازمان التى مرت بها جامعة القرويين فهو ينقلك من فترة الى فترة ، ومن ظاهرة الى ظاهرة ولا يغفل حدثا كان له اثر على سير الحياة الفكرية ، ولا يهمل مشهدا من المشاهد التى يكون من شأنها ان تثير فى القارىء الحماس الوطنى ، والوعى الثقافى والوازع الاسلامى ، والغيرة الوطنية .. وكان مخرج ومصور هذا الفلم الوثائقي يريد من القارىء ان يعيش احداث القرويين الجامعة فى مختلف اطوارها وتطوراتها ، سواء فى مبناها او معناها ..

فى اتساع هيكلها ، ورحابة أفقها العلمى والفكرى والحضارى .. بالاضافة الى دقة تصوير مبلغ هيمنتها وشموخها كمنارة عملاقة تنير بشعاعها ارجاء افريقيا واوروبا . ويمتد بعض شعاعها الى باقى انحاء المعمور ..

ومما لا شك فيه أن الدكتور عبد الهادى التازى بذل مجهودا علميا ومنهجيا حتى استطاع ان يقدم لنا جامعة القرويين خلال عصورها المتعاقبة كقلعة حصينة مانعة تتكسر عندها آمال الكائدين للاسلام والعروبة ، وتتطلع اليها فى نفس الوقت أفئدة المحبين للعلم والمعرفة والنبل والكرامة . فهى اذن مركز العلم والثقافة ، وهى مركز الجهاد والوطنية ، وهى منبع الروح التى تسرى فى قلوب الملايين من المسلمين فى انحاء شتى من المعمور .

فالمؤلف قد صور لنا بأمانة الادوار الهامة التي قامت بها القرويين فى نشر العروبة والاسلام .. وفى بث العلم والمعرفة ، والوعى الثقافى ..

فهى قد نافست معاهد بغداد ، والقيروان ودمشق والقاهرة ، وقرطبة واشبيلية وغرناطة .. وهى فى نفس الوقت لها اتصالات وروابط ثقافية وروحية تربطها بمختلف معاهد العالم الاسلامى ، تتمثل فى الرحلات غير المنقطعة منها واليها .. وفى الاجازات الممنوحة لطلابها وعلمائها .. وفى الاجازات والشهادات التي تمنحها للواردين عليها ، والمستفيدين من حلقات دروسها .. وتتمثل فى المؤلفات العديدة التى دبجتها اقلام علمائها ، والمناهج الرصينة التى اتخذتها اساسا لمنهجية التدريس بها حيث اصبح ذلك نموذجا يقتدى فى كثير من المعاهد والمدارس .

وقام علماؤها بالتقريظ والتعليق ، واحيانا بالنقد والتنبيه .. على ما يرد عليها من مؤلفات ورسائل . وبالتالى تجلت تلك الروابط فى تفتحها وتبادلها واخذها وعطائها ..

فالقرويين فى كتاب « جامع القرويين » للدكتور التازى هى قلب المغرب النابض بالحياة ، وهى رمز عزة ، ومصدر فخار ، ومثال مجد ..

فالكتاب اذن جدير بالدراسة والعناية ، وعلى ناشئتنا ان تفتح اعينها على هذا المصدر الثرى الذى يؤرخ للحركة الفكرية والحضارية التى عرفتها بلادنا من خلال جامعة القرويين .

بل الكتاب جدير بأن يقرر كمادة لا يستغنى عنها فى الدراسات الجامعية تعرف المواطن المسلم اين ما كان بمآثر آبائه واجداده ، الفكرية والحضارية والبطولية ..

هذا وارى ان الكتاب غني عن كل تلخيص لانه فى طبعته الانيقة ، وفى منهجيته الرصينة ، وفى ابوابه وفصوله الشيقة ، يقدم نفسه بنفسه ، ويسهل على القارىء تناول محتوياته الشهية ، بالرغم من انه يقع فى ثلاثة مجلدات ، وفى تسعمائة صفحة من القطع الكبير .

ومما يزيد القارىء ارتباطا بالكتاب ومادته جزالة أسلوبه ، ووضوح منهجه ، وجمال تصميمه وبراعة تخطيطه وتنظيمه ، ونفاسة صوره ورسومه ..

فالكتاب أنيق ، ونفيس ، ومفيد .. بالرغم من أن مؤلفه قد أبدى من التواضع فى مقدمته ما نقدر به تواضع العلماء ، ويجعلنا فى نفس الوقت نزداد ارتباطا بالكتاب وتعلقا بصاحبه .

واذا كانت لى من ملاحظة على الكتاب فهي ان موضوعه متسع ومتشعب ، وممتد عبر قرون وسنين عديدة ، وكل هذا كان من شأنه ان يجعل من مؤلفه جوهريا خبيرا يختار وينتقي ويضم الجوهرة

ى أختها ليخرج لنا فى النهاية بعقد فريد يقلـــــده
يد القرويين ، أو جيـد المغـرب على الاصـح ،
الطبع ان عملية الانتقاء تركت الوانا من المادة كنا
ثر أن تهذب وتنظم فى سلك عقد الكتاب لكن « ما لا
رك كله لا يترك جله » او كما قـال الدكتـور فى
دمته : « وقد حفز بي التمجيل بنشره اقتناعي بأن
نتظار الحصول على الاحسن قد يفـوت الفرصة
راك الحسن » .

والحقيقة ان هذه الخطوة المملاقة التى خطاها
الدكتـور عبد الهادي التـازي فى اقدامـه على

تأليف أول موسوعة عن جامعة القرويين لتعد بحق
عملا جادا و ناء فى ميدان التعريف بتاريخنا الفكرى
والحضارى الذى ما يزال كل موضوع من موضوعاته
يحتاج الى جهود مجموعة العلماء المختصين .

ولذلك فاننا نقدر الجهد الذى بذلـه المؤلـف
بمفرده فى مؤلفه القيم والنفيس ، والله سبحانـه
وتعالى نسأل أن يكثر من أمثاله خدام الثقافـــة
والحضارة الاوفيـاء .

تطوان : عبد القادر العافية

● أصدر الاستاذ محمد المعـزوزي العامـل الملحق لدى الوزير الاول كتابا بعنوان « البداية فى القيادة والولاية » يبحث فى خصائص ومقتضيـات الوظيفة الاجتماعية للادارة الحديثة . يقع الكتـاب فى 885 صفحات من القطع الكبير ●

القطب الشهيد

سيدي عبد السلام بن مشيش

تأليف : الدكتور عبد الحليم محمود   عرض وتقديم : الاستاذ زين العابدين الكتاني

يترجح عندى ان كتاب « القطب الشهيد سيدى عبد السلام ابن مشيش » (1) آخر كتاب اصدره العلامة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر فى مجال التعريف باقطاب الاسلام ورجال التصوف الاوفياء الصالحين المصلحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه

والكتاب الجديد صدر اخيرا عن سلسلة « مطبوعات الشعب » بمصر بالحجم ما دون المتوسط ؛ يقع فى اكثر من مائة صفحة ، ويشتمل على فصلين يتناول فيهما بالدرس فى الفصل الاول « بين ابى الحسن الشاذلى وعبد السلام ابن مشيش » ، اما الفصل الثانى فهو « حول حياة ابن مشيش » ، وينتهى الكتاب بملحقين ، الاول : حول « اسم الجلالة » والثانى بعنوان : « حكم ووصايا » هذا بالاضافة الى المقدمة والاهداء الذى افتتح بهما الكتاب وقد ورد فى الاهداء ما يلى :

« الى سليل بيت النبوة ، الى الحسن الثانى ملك المغرب اهدى هذا الكتاب مع اجمل تحياتى واطيب تمنياتى » .

وفى مقدمة الكتاب شرح شيخ الازهر الدافع الى الكتابة فى هذا الموضوع فذكر انه ابدى رغبته لزيارة مقام هذا القطب اثناء حضوره للمغرب بدعوة من صاحب الجلالة للمشاركة فى الدروس الحسنية ، وقد حقق له امير المؤمنين هذه الزيارة التى كانت حافزا قويا للعزم على الكتابة عن ابن مشيش ، خصوصا وقد سبق له أن كتب عن الامام الشاذلى ، ثم لان الكتابة عن ابن مشيش ضرورية بالنسبة لمن يكتب عن المدرسة الشاذلية على وجه العموم ، ولمن يكتب عن الامام الشاذلى رضى الله عنه على الخصوص . .

واستمر المؤلف يشرح كيف توصل الى ذلك بما وصله من مخطوطات من المغرب مما اضافه الى ما يوجد فى كتب الطبقات ، وما يتوفر عليه ، مشيرا الى ان المزيد من النصوص لا يمكن ان يتوفر لغيره ، ولكن على الباحث عن اقطاب المدرسة الشاذلية اعتبار هؤلاء الامتداد الموفق للتيار الصوفى النقى الصادق الذى رسمه القطب الشهيد . فمن هو مولاى عبد السلام ابن مشيش او ابن بشيش كما اختار له شيخ الازهر من اسمائه الواردة فى عدد من الوثائق الخاصة بـه .

ولـد مولاى عبد السلام ابن مشيش حوالى
55 هـ — 1163 م بقرية الحصن من جبل العلم
لبيلم تطوان واستشهد بها عام 623 هـ — 1226 م،
علم بها ايضا على جماعة من اساتذته أبرزهم ابو
د عبد الرحمان العطار المعروف بالزيات ، وهـذا
شيخ هو ايضا عمدتـه فى التربيـة والسلـوك
واسطته يتصل بأئمة التصوف من المشارقـة
لمغاربة وبمدارسهم .

ومن المعلومات التى نتوفر عليها نجد :

أولا : ان ابن مشيش كانت علومـه ومعـرفه
هبية أولا وعلى العادة ، وكانت تربيـتـه على
تقوى من أول يـوم ، وانقطاعـه الى الاعمـال
صالحة ، من الاشتغال بالعـلم والعبادة والجهد
يزة الخاصة التى أورثته من العلوم الوهبية ممـا
قله كثير ممن كتبوا عنه . ولذلك نجد صلاته على
بى صلى الله عليه وسلـم المعروفـة ب :
المشيشية) (2) مشهودة ومتلقاة بالقبول من أهل
علم والمعرفة على حد سواء (3) .

وهي من أوضح الشواهد على طول باعـه فى
علوم الظاهرة والباطنة على حد اصطلاح القوم —
يرفع من شانه ، ويجعل مدرسـة ابن مشيـش
رسة واضحة المعالم ، عميقة الجذور ، وهـو
ضا مما تفتخر بـه المدرسة الصوفيـة المغربيـة ،
عتز به قبل غيرها .

ثانيا : المدرسة الشاذلية ورائدها الامام ابـو
حسن الشاذلى وذلك مما دفع بشيخ الازهر الـى
ول : بأن الذى يريد المزيد فى معرفة ابن مشيش
ليه بأقطاب المدرسة الشاذلية فانهم الامتـداد
وفق للتيار الصوفى النقى الصادق الذى رسمه ابن
يش الشهيد رضى الله عنه .

ويزيد من اهمية الكتـاب ان المؤلـف بلـور
شخصية ابن مشيش فى مدرسته وفى تلميذه الخاص
أبي الحسن الشاذلي ؛ فأوضح ان هذه المدرسة هي
الامداد الحقيقى لمعرفة ابن مشيش باعتباره الامتداد
الموفق للتيار الصوفى النقى الصادق الذى رسمـه
رضى الله عنه ، مؤكدا بأن هذه المدرسة هى منهج
الامام الشاذلى ، خصوصا عندما يؤكد علميا بأنه له
طريق ، وليست له طريقة ، لانه كن مبتعدا عـن
الناس ، لا يعطى عهـودا ! ولا يكلـف أورادا ولا
احزابا ، فلم يؤسس طريقة ، وانما كان يرسم فى
كل لحظة من لحظات حياته الطريق ، وطريقه هـو
الطريق الشرعي باختياره الخاص الواضح المعالـم
والاهداف ، والذى حافظ على وضوحه حتى الآن .

وجوهر هذا الطريق — كما يقول المؤلـف —
هو الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد
الانتهاء عما نهى الله عنه ، والقيـام بما فرض الله
تعالـى .

ومن جهة اخرى فاذا كان الشيخ عبد الحليم
محمود قد حاول ان يقـدم شخصية ابن مشيـش
للشباب العربى ، وفى هذا الوقت بالذات فانه لـم
ينس ان يسر الى الشباب ببعض الفيوضات الصوفية
الرائعة ويقدمها فى مفهوم علمي صرف يزيل عنهـا
الغموض الذى يحتاج الى شروح وحواشى كمـا
يقولون ، فروى لنا فى نفس الكتاب عن ابن الحسن
الشاذلى ان شيخه ابن مشيش خاطبه بما يلى :

أولا : يا (أبـا الحسن) انـك اذا اردت ان
تسأل الشيخ عن اسم الله الاعظم ليس الشأن أن
تسأل عن اسم الله الاعظم ، انما الشـأن ان تكون
انت هو اسم الله الاعظم ، يعنى ان سر الله مودع
فى قلبـك . . (4) .

---

(1) آخر دراسة مغربية صدرت فى الموضوع للاستاذ عبد الله كنـون فى (العـدد 25 ص : 199/195) بمجلة (البحث العلمى) .

(2) من اوسع الكتب فى شرح هذه الصلاة (كتاب الالمام والاعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولاى عبد السلام) لمحمد بن عبد الرحمن بن زكرى المؤلف سنة 1127 هـ 1715 م والمطبـوع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1316 هـ 1898 م .

(3) اعتبرها الاستاذ عبد الله كنون فى كتابه (النبوغ المغربى) من روائع المنتخبات الادبية (الجزء الثانى — ص : 12) واوردها بالنص فى فصل (التحميد والصـلاة) .

(4) نفس المصدر ص : 122

ثانيا : واوصى ابن مشيش الشاذلي بقوله : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ، ولا من يؤثر نفسك عليه فانه قل ما يدوم ، واصحب من اذا ذكر ، ذكر الله « فالله يغنى به اذا شهد ، وينوب عنه اذا فقد ، ذكره نور القلوب ، ومشاهدته مفاتح الغيوب » (5) .

ثالثا : واوصاه ايضا بما يلي :

ارجعوا الى الله فى اوائل التدبير والتقدير ، تحظوا منه بمدد التيسير ، ويحال بينكم وبين التقصير . . وكل ورع لا يصحبه العلم والنور فلا تعد له اجرا ، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب الى الله فلا تعد لها وزرا . . » (6) .

(5) نفس الكتاب ص : 124
(6) نفس الكتاب ص : 142 .

وبعد ، فقد حاولت التعريف بهذا الكتاب الجديد الذى يتصل برجل فذ ، من رجالات المغرب ، ومن الذين اسسوا مدرسة واضحة المعالم ، اصيلة ، لا زالت باقية يعتز بها ابناء المغرب ، ويفتخر بها رواد التصوف والمعرفة بل ورجال الفكر فى كل انحاء الدنيا . .

والذى ارتكز عليه فى اختيار مثل هذه المواضيع هو جعل اخوانى الشباب يطلعون علي حتى يدركوا أن المغرب ظل دائما رائدا يحمل الاصالة فى يد ، والمعرفة فى اليد الاخرى « وعن طريق هذه الرسالة ظلت دولته قائمة ، ورسالته واضحة وما ذلك على همتهم بعزيز وهم ينطلقون اليوم لمواصلة هذه الرسالة .

المستشار مؤتمن ، فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه .

حديث شريف

في الماركسية والدين

تأليف: الدكتور رشدي فكار

عرض وتقديم: الأستاذ أحمد تسوكي

في البدء كان الكلمة ، ومن بعد الكلمة جـاء
حوار ، ذلك هو المنطق الفكري والوجداني لكـل
ركة فكرية حضارية .. وتلك هي القاعدة — التي
م بلا استثناء — التي حكمت مسار الحضارات
شرية المختلفة .. وجاء الاسلام ليزكي هذا المنطق
وظف هذه القاعدة اعظم تزكية واروع توظيف ،
ءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم منطوية
ى اكبر قدر من امكانية الحوار ، تفتح صدرهـا
ولا زالت — للراى الآخر : بالمناقشة والجـدل
جدال ، من هنا كانت بداية الدعوة :

**« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـة
حسنة وجادلهم بالتي هي احسن »** — سورة النحل
الآيـة 125 .

هـذه الآيـة الكريمة هي الكلمة الاولى التي
ح عليها القارىء عينيه من كتاب الدكتور رشدي
ار الذي صدر مؤخرا في الرباط بطباعة فاخـرة
لاف ملون بعنوان « في الماركسية والدين » .

وموضـوع الكتاب — الماركسية والديـن —
يثير دهشة في القارىء ، ولكنه يثيره ويحفزه بالطبع ،
صة وان مؤلفه الدكتور رشدي فكار ، احد علماء
جتمـاع المعاصريـن الذيـن يتحلـون برؤيـة
مولية للواقع الاجتماعي وبسعة افقـه واطلاعـه
اسع واجتهاده المكثف من اجل خلق نظريـة
تماعية عربية خالصة تستمد اصولها وقواعدهـا

من الماضي الحضاري العريق للامة العربية ، وقـد
اهلته آراءه الثاقبة وحـواره الذي فتحـه مـع
الايديولوجيات والمذاهب والعقائد المعاصرة ليحتل
مكانته كاستاذ زائر بالجامعات العربية والاوروبيـة
وعضو مشارك في اكاديمية العلوم بفرنسا وعضـو
الهيئة العالمية للكتاب بالفرنسية بباريس ، وهـو
يشغل الآن منصب استاذ بجامعة محمد الخامس
بالرباط .. بالاضافـة الى مشاركاتـه العديـدة في
المؤتمرات والملتقيات الدولية التي تعقد حول علم
الاجتماع وتياراته واتجاهاته المعاصرة ..

ويأتي كتابه الاخير « **في الماركسية والديـن** »
ليطرح فيه قضية لازال الجدال قائما حولها منـذ
سنوات عديدة .. واكاد اقول منذ اجيال عديـدة
عندما طلع كارل ماركس على أوروبا في القرن التاسع
عشر بنظريته حول المادية الديالكتيكية التي اخـذ
غطاءها المذهبي من نظرية الفيلسـوف هيجـل ..
ونظرية ماركس تقوم على اساس الصراع بيـن
الطبقات الاجتماعية من اجل السلطة ، لتستقر هذه
السلطة اخيرا بأيدي البروليتاريا كما اسماها ، وهي
طبقة العمال . واذا علمنا أن نظرية ماركس ظهرت
بعد العصر الصناعي الاول خاصة في بريطانيا أدركنا
العوامل الموضوعية والذاتية معا التي مهدت لهـذه
النظرية وخلقت لها التربة الصالحة لكي تخصـب
فيها آراء وأفكار كارل ماركس حول صراع الطبقات
وديكتاتورية البروليتاريا .. وقد الفي ماركس وهـو

يبني نظريته كافة العوامل التى تقف وراء تكوين الحضارات ونشوئها ، ومن بين هذه العوامل عامل الدين الذى قال عنه ماركس انه « افيون الشعوب ! » .

وقد اعطت الوقائع والاحداث التى عرفها العالم بعد ماركس الدلالة على خطأ رايه وعدم صواب احكامه ، فقد كان ماركس يعتقد — بل ويتنبأ — بأن شرارة ثورة البروليتاريا ستندلع فى بريطانيا — وهى فى ذلك الوقت معقل الصناعة ، وكان عليه ان ينتظر سنوات كثيرة لتلتهب هذه الشرارة فى اكثر المجتمعات تخلفا فى ذلك الوقت وهى روسيا !

وظلت علاقة الماركسية بالدين احدى القضايا الهامة والاساسية التى تثير النقاش الحاد والجدال بين المفكرين ، سواء منهم هؤلاء الذين تبنوا وجهة نظر الفكر الماركسى الملحد او اولئك الذين دافعوا عن قيمة الدين فى حياة الانسان وفعاليته فى تطور الحضارات البشرية ..

وكتاب الدكتور رشدى فكار « فى الماركسية والدين » يشكل اجابة اصيلة على الاسئلة المعلقة دائما فى العلاقة بين الدين والماركسية ، او بتعبير اصح بين الدين والالحاد ، فالماركسية فى حقيقتها ليست سوى دعوة صريحة الى الالحاد متوسلة ومتذرعة بالعلم والاستقراء والتاريخ والمنطق ..

فى التمهيد الذى اسماه المؤلف : « اشكالية اساسية أم اشكالية ثانوية وتجريدية يطرح المؤلف : اشكالية المواجهات بين الدين والفكر النشيط المعاصر مجسدا فى الماركسية وما حولها ، اهى اشكالية اساسية وحيوية أم اشكالية ثانوية وتجريدية ؟ ثم يتساءل المؤلف : هل من باب رفاهية الفكر ان يتعرض الباحث لهذا الموضوع ؟ ويعود المؤلف لطرح افتراضين حول هذا السؤال — القضية : الافتراض الاول يقوم على اساس أن هناك « موضوعات اكثر فورية تتطلب تعبئة الفكر وتحريك القلم » والافتراض الثانى ينهض على أساس أن هذه القضية « لها الصدارة ، ولا بد من طرحها واعطائها ما تستحق من الوقت والطاقة عند المفكر الانسان الملتزم بقضايا عصره » . ويستبعد المؤلف الافتراض الاول لانه : لا وجود له الا عند فئة معينة تعنى من الوصاية الفكرية ذات اليمين أو ذات اليسار .. ومن هنا يبقى الافتراض الثانى الذى اكتسب مشروعية وجوده وأولويته من خلال الواقع الملموس فى الحياة الفكرية » كما يقول المؤلف ، ومن هنا ينتقل بنا المؤلف الى البحث الاول فى كتابه وهو بعنوان طرح الاشكالية واهم ما يسوقه المؤلف فى مبحثه الثانى من كتابه **هو ارتداد ماركس نفسه عن الالحاد ارتدادا صريح العبارة عبر عنه بنفسه فى اقواله :**

*** الالحاد لا معنى له ، لانه انكار للاله بلا مبررات ، اللهم الا اذا كان الهدف ان يحل الانسان محله**
ويضيف ماركس :

*** الاشتراكية ليست فى حاجة الى مثل هذه الشطحات التجريدية الجوفاء والمضاربة على الاله ..**

*** ان الالحاد قد عاش وقته ، انه تعبير سلبى لا يعنى شيئا بالنسبة للاشتراكيين الاصلاء .. ان المعنى لديهم ليس هو انكار الاله وانما تحرير الانسان ..**

ويعلق المؤلف على هذه النصوص الصادرة عن ماركس نفسه قائلا :

« لقد شكلت هذه التساؤلات حول الارتداد الماركسى عند ماركس اطارا هاما للتأمل واعادة النظر حاليا على مستوى أمكانية الحوار مع الدين ، انطلاقا من مبدأ الاجتهاد والوعي بماركس من خلال ماركس ، لا من خلال المغالطات والشكليات والمضاربات الاهوائية التى تتم باسمه لدى من يتقمصون رداء الحقد والمكابرة على الدين ورجله »..

ويخص المؤلف مبحثه الثانى من الكتاب عن : الالحاد والتباس المفاهيم ، وفى هذا المبحث يرصد المؤلف حركة الالحاد ومفاهيمه لدى عدد من المفكرين ، لينتهى الى القول :

« ان الالحاد حسب تصورنا له — ملتبس فى جوهره ، يستغل فى تبرير مواقف الاتهام او يتخذ كرداء لتغطية افلاس المعرفة النسبية حينما تتجه الى المكابرة والعناد ، فالالحاد ، أن كان يلتزم بالانكار فى البداية ، فالانكار بدوره يتم على مستوى حقيقة الذات قبل انكار حقيقة الاله .. ففى اعتقادنا ،

، من ينكر الاله انما انكر معرفته ، بابعاد ذاتـــه [م]ناصرة ، واثبت جهله بنسبية احكامه ، فما نحن [ف]كر وعقل وتعقل الا انتاجــا مكتسبــا للمعرفــة [مش]روطة زمانيا ومكانيا وجسديا — ص 29 .

لقد حذر سان سيمون — كما يذكر المؤلف فى [ص]فحة 32 — مرارا حتى وهو على سريــر المــوت [م]ن المجازفة فى رفض الدين باسم العلم : ليس هدف [ال]علم وراثة الدين ، ولا هدف الدين ايقاف تقـــدم [ال]علم ، وانما تجمعهما ارضية الوفــاق والحــوار ، [و]ان كليهما لازم وضرورى لتحرير واسعاد الانسان ».

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى البحث الثالـــث [ال]ذى خصصه للحديث عن : الارتداد الماركسى عبر [ال]حوار والاجتهاد ، ويستشهد المؤلف فى هذا البحث [با]لحوار الجاد والمفتوح الذى اداره المفكر الفرنسى [الم]عاصر روجيه جارودى عبر مؤلفاته وردوده على [الم]اركسيين الذين لازالوا يتبنون آراء وافكار ماركس [فى] الدين حيث كان شابا تتسم آراؤه وافكاره واحكامه [با]لاندفاع الى انكار وجود الاله ثم ارتداده فى اواخر [ح]ياته عن آرائه وافكاره واحكامه فيما يخص الدين..

ويذهب المؤلف — فى البحث نفسه — الـــى [ال]قول بان : ماركسية الحوار والاجتهاد الآن تعطى [ال]براهين على صحة ما نتبناه ، سواء عنـــد الشراح [الم]اركسيين القائلين بمرونة الماركسية ، او الشراح [الم]ختصين فى الماركسية من غير الماركسيين (ونحن [و]احد منهم) القائلين صراحة بارتداد الماركسية لا [ع]ند الماركسيين بعد ماركس وانما عند مـاركس فى [ح]د ذاته كما وضحنا سلفا ، نؤكد ذلك لا من خلال [الم]جازفة او تحريف منا لافكــاره ، وانمـــا من خلال [الا]حتكام بماركس على ماركس » — صفحة 38 ..

ويختم المؤلف هذا البحث بقوله :

« ليعلم الجميع ان ماركس كاى مفكر يخطىء ويصيب وربما قدرة تفكيره فى تطوره وارتداده ، لا يعادلها الا جهل تفكير محنطيه فى ركوده وجموده ، ماركس عاش عصره بعمق ، اما أصحاب الشعارات الفوريـــة باسم الماركسية الجاهزة فمأساتهم انهــم عاجزون عن معايشة عصورهم ، فاحتكموا الى التغميض بـــدلا من الوعـــى ، وباتـــوا يمضغون الرفض بعد أن تقيأه ماركس ، وغـــاب عنهم أن عبقرية الانسان لا يمكــن اشباعها بالمستهلكات ، ورفع الشعارات ، وانما بالتصدى لعمــق الاشكاليات ، وأى اشكالية أجدر بالتصدى لعمقها ، من اشكالية مصير الانسان وغائيتــه » — صفحة 39

والخلاصـــة ؟

ان « الخلاصة » هى مبحث فى كتاب الدكتـــور رشدى فكار : فى الماركسية والدين ، بل هى أهم مباحثه على الاطلاق ..

« علينا أولا ان نثق فى ذاتنا ، واننا أمة ذات رسالة ورسالة خالـــدة لاسعـــاد الانســـان لا على الارض العربية فحسب ، وانما فى كل مكان » . .

هذه الفقرة البسيطة فى مبناها ، العميقة فى المعنى .. تبنى منطلقا صحيا سليما للانسان العربى لتحقيـــق توقه وتطلعه الدائم الى عالـــم افضل مزودا بعقيدته الراسخة وشعوره الدينى العميق ..

وقد اتيح للمؤلف سنة 1975 فرصة طـــرح بعـــض الاشكاليات الملتبســـة فى واقعنـــا الفكـــرى والحضارى ، وانيط بـــه التحكيـــم بيـــن الاســـلام والراسمالية والماركسية ، ووصل التحكيم فى نهايته الى نتيجة واضحة وهى :

❊ على التيارات الفكرية العربيـــة المعاصرة كى تكون فعلا فى خدمة الانســـان العربى لبناء امته الاسلاميـــة العربيـــة ان تعيد النظر فيما لديهـــا وعلى مستويـــات ثـــلاثـــة (ص 45) ..

❊ مدى معرفة هذه الامة باصالـــة تراثها وعطائه الاسلامى ..

❊ الابتعاد عن المجازفـــة بالشعارات التمذهبية التى تعنى كل شىء ولا تعنى أى شىء محدد ..

❊ التعرف على الواقع العربى المعاصر كما هو اولا لا كما يجب أن يكون ..

هذه هى المستويات — او المواقع — التـــى يجب على التيارات الفكرية المعاصرة ان تنطلق منها حتى تكون فعلا فى خدمة الانسان العربى ، هـــذا الانسان — كما يقول المؤلف :

« العربى المسلم البسيط المجسد لهذه الملايين، وقد عايشناه فوق تراب قريته فى كثير من اقطـــار امتنا العربية المسلمة ، ولمسناه فى حشوده الكبرى ،

ومسيراته فى مغرب العرب .. ومشرقهم ، انسان اصيل حقا ، معطاء معتز بارضه ودينه اعتزازه بقبر أبيه وجده فالارض بالنسبة له ليست فقط مجرد طبيعة تستغل وانما هى محتواه وكيانه ، والدين ليس فقط عقيدته وانما قوته وتعبئته ووجدانه ، ومحور ذاته ، من اجله يستشهد ، وفى سبيله يضحى دون تردد ، هو حاضر دائم فى وعيه من خلال ذكره لاسم ربه ، ينشده فى حالة مرضه ، وترحاله ولقائه ، وسلامه ، ومولده ، وزواجه ومماته فضياع الدين او اذابته ، تعني ضياعه واذابة ذاته » ، صفحة 47 .

هذا عرض سريع ومبسط لكتاب الدكتور رشدى فكار : فى الماركسية والدين ، اثرى به المكتبة العربية من جهة واثرى به الحوار العلمى الموضوعى بين الدين والماركسية .. عرض لكتاب سوف تهتم به الاوساط الثقافية فى العالم العربى وسوف يثير نقاشا وجدالا واسعين وعريضين ، ومن هنا تأتى احدى قيم هذا الكتاب الذى يحسم بهدوء و (برودة اعصاب) قضية طال النقاش حولها من طرف المفكرين ، شرقيهم وغربيهم : كتاب ستعتز به المكتبة العربية بصفة عامة والمكتبة المغربية بصفة خاصة ..

وقد احببت قبل ان أنهي عرضي وتقديمي لهذا الكتاب ان اوجه سؤالين الى مؤلف الكتاب :

1) هل من الممكن اعطاء القارىء فكرة عن ظروف اخراج هذا الكتاب ؟

2) خصصتم فى كتابكم مبحثا عن الالحاد والتباس المفاهيم ، وافضتم فى تفسير وتحليل وتعليل هذا الموضوع .. هل يمكن اضافة افكار اخرى الى نفس الموضوع ؟

فقدم لى الدكتور رشدى فكار الجواب عن السؤالين مشكورا ، فكان جوابه عن السؤال الاول :

الحديث عن فكرة اخراج هذا الكتاب يدفعنى الى العودة الى دراسة سابقة لى كتبتها بالانجليزية عن المفكر هربرت سبنسر الذى عرف واشتهر بالتزامه بالفكر المادى وانكاره — للاله — اله الاديان — وقد تمكنت معتمدا على بعض الوثائق الخاصة بالايام الثلاثة الاخيرة من حياة هـ. سبنسر ان أؤكد وعلى لسانه نفسه ارتداده عن الالحاد بل وتحفظه باسم النسبية على قانون النشوء والارتقاء الذى بذل فى اخراجه — تحت شعار المبادىء الاساسية للكون — الجهد الكبير .. وهكذا بالنسبة لكارل ماركس ايضا ، طرحت فى بداية الستينات دراسة مركزة نشرتها لي احدى المجلات الاجتماعية فى سويسرا ، وبناء على وثائق خاصة بالفترة الاخيرة لنضوج ماركس ، كيف ان ماركس بعد ان رفض الدين بل وصدره فى الايديولوجيات الاستلابية — كما هو معروف — تراجع عن رفضه ، او بعبارة اكثر دقة والتزاما بمضمون فكر ماركس — امضى وثيقة ارتداده عن الرفض قبل وفاته ..

وكان جواب الدكتور رشدى فكار كالتالى حول السؤال الثانى :

● باختصار ، وبتركيز وفى نفس الوقت فى اطار مبسط للغاية يمكن للقارىء ان يستوعب من خلاله هذه القضية اقول : اعطيت المفاهيم الاساسية للالحاد وفى نفس الوقت انطلاقا بما التزم به من مبدا الحوار وعدم التشنج ، واجهت هذه المفاهيم مواجهة علمية وموضوعية لاصل فى النهاية الى انه من الصعب — اللهم الا اذا كان من باب العفوية والمجازفة — الدفاع عن الالحاد .. بمعنى انكار الاله وكل ما يتعلق بوجود الاله .. وختم د . رشدى فكار كلمته لى فقال : ان الهدف من هذا الكتاب هو الشعور العام السائد الآن لدى الانسان العربى بعدم الخوض فى تفصيل القضايا الهامة التى تحتاج فكريا وايديولوجيا الى حسم ، خاصة وان هذا الانسان لم يعد لديه من الوقت والصبر ما يؤهله للدخول فى تفاصيل قد تصل به — باسم رفع الالتباس — الى مزيد من الالتباس عبر نفس التفاصيل ..

واخيرا .. وليس آخرا ، ان الدكتور رشدى فكار اسم لامع على كافة الواجهات الفكرية على مستوى التنظير او على مستوى الممارسة ، بذل جهدا كبيرا تترجمه — عمليا — اعماله ومؤلفاته التى وصلت حتى الآن الى ستين مؤلفا ، بالفرنسية والانجليزية والعربية ، بين مؤلف ودراسة وبحث وترجمة وتعليق ، محور كل ذلك هو اشكالية الانسان وغائيته فى الكون من الناحية الانتروبولوجية والسوسيولوجية ، الى جانب الاتجاه الاصلاحى الحوارى فى الاسلام ..

ومفكر هذه مكانته ، وهذا هو حصاده الفكرى، وهذا وزنه فى المحافل الفكرية الدولية ، حمل عددا من المنظمات التربوية والثقافية والفكرية والاجتماعية والاسلامية والانسانية بصفة عامة على ترشيح اسمه فى قوائم المرشحين رسميا لجائزة نوبل فى الاداب للاعوام القادمة ●

كتب مغربية

الدستور المغربي مبادئه وأحكامه

تأليف الاستاذ أحمد مجيد بنجلون

● اول جملة تطالع قارىء مقدمة كتاب الدستور المغربي مبادئه واحكامه » للاستاذ احمد يد بنجلون وكيل جلالة الملك لدى المجلس الاعلى ص تاريخ المغرب السياسي والفكري وتبلور جربة المغربية كلها فى شتى ميادين النشاط ساني . تقول هذه الجملة : **المغرب بلد مسلم ، ومن أجل ذلك وبسبب ذلك و ديمقراطي بطبيعته كما هو بلد ديمقراطي قريته وبطموحه وبغريزته »** . ويمكنك أن تطوي تاب وتفكر ما شاء الله لك أن تفكر في مضامين ه الجملة ومعانيها ودلالاتها .

وما هو الدستور المغربي ــ اذن ــ ان لم يكن ارا لهذا المبدا الخالد واعترافا بهذه الصفة يزة ؟ . وما هو نظام المغرب ــ اذن ــ ان لم انعكاسا أمينا وصادقا لهذه العقيدة التي باتت عنا المميز ، ليس اليوم ، او فى الامس القريب ، كن منذ ثلاثة عشر قرنا مما يجعلنا اول دولة فى الم ــ بلا استثناء ــ تتمتع بهذا المركز الفكري سياسي والحضاري الفريد من نوعه .. أي كز يا ترى ؟؟ . الحفاظ على المبدا والنظام عبر رون والاحقاب ؛ تغيرت الازمان والاحداث ، وبقي ظام والعقيدة راسخين رسوخا قويا ، أما النظام الملكية الدستورية اي بعبارة أخرى الملكية رتكزة على الشعب بالدرجة الاولى ، واما العقيدة الاسلام ولا شيء غير الاسلام . وعلى هذا ساس ، فالحديث عن الدستور المغربي انما هو ليل علمي وقانوني لهذه المعاني جميعا .

وكذلك فعل الاستاذ احمد مجيد بنجلون فى ابه القيم . فقد استوفى الموضوع حقه من الدرس تحليل الهادىء الرصين مركزا بالدرجة الاولى على جربة المغربية المعاصرة وجهود جلالة الملك غفور له محمد الخامس ــ طيب الله ثراه ــ ووارث ه جلالة الملك المنصور بالله الحسن الثاني .

يقول المؤلف :

« .. واذا كان للمغرب غداة استقلاله دستور يعتبر من احسن الدساتير طموحا واجداهم نفعا واليقهم تناسقا وتوازنا فان ذلك يرجع الى الارادة الابية التي عبر عنها غير ما مرة ملكنا الراحل طيب الله ثراه ، وذلك قبل ان ننعم بالاستقلال ، والى الوعد السامي الذي اخذه على نفسه ملكنا المحبوب جلالة الملك الحسن الثاني ادام الله نصره على أن يكون وفيا بما التزم به محمد الخامس تغمده الله برحمته وذلك لايمانه بجدواه وصلاحيته . ان الدستور المغربي لهو في الحقيقة مرآة للتجاوب والتلاحم الذي يطبع علاقات العرش بالشعب ولذلك تميز بالجودة فى الشكل والفاعلية فى الجوهر واليقظة واحترام المبادىء والسماح الذي بدونه لا يمكن لاي عمل بشري ان ياتي اكله المفيد ويحقق النتيجة المرجوة » .

الكتاب مقسم الى خمسة ابواب .

يتناول الباب الاول الموضوعات التالية :

— النظام البرلماني

— السيادة للامة

— منبع السلطة

— ما هي الغاية التي ترمي الانظمة عادة الى تحقيقها .

وتندرج موضوعات الباب الثاني تحت عنوان : « طموحنا وديمقراطيتنا » ، ويشتمل بالاضافة الى المقدمة على ابحاث فى :

— الحريات العامة والحريات الخاصة .

— الديمقراطية اليقظة .

— المرحلة الاعدادية للدستور .

ويبحث الباب الثالث فى النظرية الحديثة فى مفهوم كلمة الدستور ، والمسطرة التي اتبعت لتهييء دستـــور 1970 .

ويتناول الباب الرابع الدستـــور المغربـــي بتفصيل واستيعاب اذ يركز على المبادىء العامـــة ،

والملكية ، ومجلس النواب ، والحكومة ، وعلاقـــات السلطة بعضها ببعض ، والقضاء ، والمحكمة العليا ، والجماعات المحلية ، والمجلس الاعلـــى للانعـــاش

الوطني ، التخطيط ، والغرفة الدستورية ، ومراجعة الدستــــــور .

ويركز الباب الخامس من الكتاب على موضوع وسائل الانجاز وديمقراطيتنا ويتناول العناصر التالية:

— المجالس الجماعيــــة
— اختصاصـــات المجالـــس الجماعيـــة
— اختصاصات رئيس المجلس الجماعـــي والسلطـــة المحليـــة
— نقابـــــة الجماعـــــة .

بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني

تأليف الاستاذ قدور الورطاسي

● صدر عن «دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر» بالرباط كتاب للاستاذ قدور الورطاسي بعنـــوان : **« بنـــو يزناســـن عبـــر الكفـــاح الوطنـــي »** يقع فى 430 صفحة من القطع الكبير ويحتـــوي على ثلاثة اقسام ، القسم الاول عن قبيلة بني يزناســـن وأدوارها فى التاريخ ، والقسم الثاني عن الكفـــاح السياسي والمسلح الذي خاضته القبيلة فى ظـــل العرش العلوي المجيد الى أن عاد جلالة المغفور لـــه محمد الخامس قدس الله روحه من المنفى واعـــلان استقلال الوطن ، أما القسم الثالث فقد خصصـــه المؤلف لتراجم طائفة من رجال الكفاح الوطني والعلم والثقافة ببني يزناسن . ويتضمن 12 ترجمة مركزة ومدعمـــة بالمراجـــع .

وقد قدم للكتاب الاستاذ المحقق محمد ابراهيم الكتاني بكلمة استعرض فيهـــا باختصـــار اطـــوار مواجهة المناورات الاستعمارية الصليبية ودفـــاع المغاربة عن وطنهم وقيمهم ومقدساتهم .

يقول الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني فى المقدمة:

« كان بعض أصدقائنا أيـــام كفاحنا الوطنـــي الباسل بالمغرب يقول: ان الامة المغربية وان كان لها من تاريخها الوطني امجاد رائعة ، لا تكاد تشاركها فيهـــا

امة اخرى من الامم — فان اروع امجادها الوطنيـــة واحفلها بمواقف البطولة الخالدة والمعجزات العديمة المثيل ، هي التي قامت بها أيام الحماية الاجنبيـــة البغيضة فى مدة تقارب الخمسين سنة .

ذلك ان الامة المغربية — التي لم تفقد استقلالها فى تاريخها الطويل — كانت تعتمد فى المحافظة على هذا الاستقلال ، او فى بسط نفوذها وتوسعة رقعتها على شجاعة أبنائها وعلى قوتها الحربيـــة فى البـــر والبحر ، ناهيك انها أول أمة اكتشفت البارود .

ولكن الثورة الصناعية فى اوربا ، وما رافقها من تطور عميق فى المعدات الحربيـــة والتنظيمـــات العسكرية وتكالب دولها المسيحية على احتلال بلاد المسلمين ، كل ذلك ادى الى فقد المغرب اسطولـــه البحري اولا ثم انهزامه فى معركتي ايسلي وتطوان ، وما نشأ عنهما من أنهيار اقتصاده ، وضياع هيبته ، وتغلغل النفوذ الاجنبي فيه ، وطمع الطامعين فيه ؛ ثم الاستيلاء على الاقاليم الشاسعة التابعـــة له فى الجنوب ، ثم اقتطاع أجزاء من صلـــب المغرب فى الجنوب والشرق ثم سقوطه اخيرا تحت نير الحكـــم الاجنبي البغيض .

واذا نحن تجاوزنا الحديث عن المقاومة
مسلحة التي استمرت ازيد من ربع قرن ـ او ازيد
ى نصف عهد الاحتلال البغيض ـ فان المقاومة
سلمية التي قاوم بها المغاربة العدو المحتل لمما
عو الى الاعجاب والاكبار .

فقد احس المغاربة ـ غداة الاحتلال ـ احساسا
يقا انهم في حاجة اكيدة الى العلم ، ولكنهم لم يجدوا
امهم الا هذه المدارس الاستعمارية التي اسسها
ستعمر ليكون فيها شبانا ممسوخين قد انقطعت
لاتهم بأمتهم واقتطعت جذورهم من مجتمعهم لانهم
يكادون يعرفون لغتها ولا دينها ولا امجادها
تاريخية ، وانما يعرفون عنها ـ بدل ذلك كله ـ
جموعة ضخمة من العيوب والنقائص يلصقها بها
ستعمر كما يعرفون من لغة المستعمر وآدابه
اريخه وامجاده المزعومة ومحاسنه المدعاة ما
حملهم على احتقار امتهم واعظام عدوها المحتل .

ولكن المغاربة قبلوا التحدي ودفعوا بأبنائهم
ى هذه المدارس ليتعلموا منها ما ينقصهم من علوم
حياة التي لا غنى عنها .

وقاموا في نفس الوقت بتأسيس مدارس حرة
زاحمة تلك المدارس الرسمية الاستعمارية ،
لقى فيها ابناؤهم تعليما عربيا مغربيا وطنيا متطورا
شعر المستعمر بخطر هذا التعليم الوطني على
ليمه بل وعلى وجود المستعمر نفسه فتصدى
قاومة هذا التعليم والبطش بالقائمين به بطشا
ديدا ، واستمرت هذه المعركة عنيفة طوال عهد
ستعمار كله ..

وقامت الحركة الوطنية تعارض المستعمر
تحداه ، سلاحها (التضحية) ليست التضحية
ي يندفع صاحبها الى القيام بعمل قد يؤدي به الى
وت العاجل ، ولكن (التضحية) الدائمة المستمرة
ال العمر كله بأعوامه وشهوره واسابيعه وايامه
اليه وساعاته ودقائقه وثوانيه ولحظاته والتي
زمها المرء من تلقاء نفسه راضيا مختارا في صحة
به وسلامة ادراكه ، لا يحتمل تبعتها وحده ولكن
يشاركه في حمل هذه التبعية الضخمة المستمرة
زوجه واطفاله وحتى الذين ما يزالون اجنة في بطون
امهاتهم منهم .

وقد وفق الله لهذه (التضحية) الدائمة
المستمرة الشاملة ثلة من المكافحين الوطنيين الذين
نذروا انفسهم (لتحدي) المستعمر ومواجهته
بالعداوة والبغضاء ولكن احدا من هؤلاء لم يفكر في
تسجيل احداث هذه الحياة اليومية بتفاصيلها
الدقيقة الى ان وفق الله لذلك صديقنا رفيق الكفاح
الاستاذ قدور الورطاسي في كتابه القيم : (بنو
يزناسن عبر الكفاح الوطني) .

وقد تفضل فاطلعني عليه وطلب مني كتابة
تصدير له ، فلما قرأته وجدته يقدم نفسه بنفسه ،
وكل ما استطيع ان اقوله الان في حقه ما كنت اقوله
عنه لطلبة جامعة القرويين العامرة عندما كنت مكلفا
بتسيير حلقاتهم السرية اثناء الكفاح الوطني ، ان على
كل واحد منهم ان يجعل من الاخ الورطاسي قدوة في
كفاحه ونشاطه التي استطاع ان يبث الوعي في بني
يزناسن كلها ويجندها في صف واحد لمقاومة المحتل،
وذلك ما تتحدث عنه صفحات هذا الكتاب .

جزى الله الاخ الورطاسي خير الجزاء على
كفاحه ايام الكفاح ، وعلى تسجيله لهذه الصفحات
التي ادى بها واجبا وطنيا مؤكدا ، ووفق رجال
الكفاح الوطني القادرين على تسجيل ذكرياتهم عن
مساهمتهم في التضحية و (التحدي) الى تسجيلها
انقاذا لها من النسيان ، وحتى تستطيع الاجيال
الناشئة والتالية ، والدارسون والباحثون التعرف
على بعض ما قامت به الامة المغربية المجيدة من
كفاح بطولي عظيم » .

وعلى الرغم من ان الكتاب يؤرخ لاقليم واحد من
اقاليم المملكة ابلى البلاء الحسن في الذود عن
المقدسات فانه لا يخلو من لمحات وصور تاريخية على
جانب كبير من الاهمية تبرز بوضوح اطوارا من ملحمة
العرش والشعب . ومن هنا يكتسب أهميته وقيمته
ومكانته المتميزة في المكتبة المغربية .

أيامنا الخضراء (ديوان شعر)

للشاعر الاستاذ أحمد عبد السلام البقالي

● أصدر الشاعر الاستـاذ احمد عبد السلام البقالي ديوان شعر تحت عنوان : « أيامنا الخضـراء » عن المطبعة الملكية بالرباط . ويضم قصائد وطنية ووجدانية كتبها الشاعر خلال الثلاثين سنة الاخيرة .

وقد قدم الشاعر ديوانه بكلمة تحليليـة جـاء فيهـا :

« هذا الديوان ليس لي وحدي ..

قصائده كتبت فى بحر الثلاثين سنة الماضية .. وربما كتبها عشرة او عشرون شخصا معنويا سكنوا جسدا واحدا ، ثم غادروه لساكنه الجديد.. هذا الساكن ـ الذي هو انا الان ـ والذي ورث ركاما هائلا من تجارب سابقيه ، يختلف عنهم فى السن الزمني ، والعقلي ، والعاطفي .. ويخالفهم الراي فى بعض ما كانوا يومنون او يكفرون به .. الا انـه لا يحاكمهم على ما اجترحوه من آثام ، ولا يقسو عليهم فيما يصدره من احكام .. لانه اقرب الناس اليهم ، واعرفهم بحقيقتهم ، واكثرهم تقديرا لظروفهـم ، وفوق ذلك اقواهم ايمانا بأنهم صدروا فى كل مـا كتبوه ، عن شاعرية حقة ، ونقاء في الضمير ، وصدق فى الوطنية وجهاد مـن اجل الحريـة والعدالـة الاجتماعية ، وايمان بمبادىء الحق والخير والجمال .

ولا يعني هذا انني اتنصل من مسؤوليتي على ما كتبته فى اي مرحلة من مراحل حياتي ، الا انني اومن بأن قصائد الشاعر ينبغي ان ينظر اليها كلوحات الرسام ، كل واحدة على حدة .. لان كلا منها وليد ظروفه ، ومعاناته ومخاضه ..

وهناك شبه آخر بين قصائد الشاعر والـواح الرسام ، فالقصائد تـزداد قيمتهـا التاريخيـة والاجتماعية بقدر ما تزداد القيمة التجارية للالواح الزيتية بتقادم عهدها او بموت صاحبها ..

وقد ترددت طويلا قبل ان اقبل ، شاكـرا ، عرض اخي الكبير ، مؤرخ المملكة ، الاستـاذ عبد الوهاب بن منصور ، الذي يعمل على جعل المطبعة الملكية باعثا لتراثنا القديم والحديث ، لطبع هـذا الديـوان .

هل ما يزال للشعر قراء في غيـر النـوادي الادبية ، وخلف جدران الجامعات ؟ وهل بلادنا فى حاجة الى دواوين ؟ .

وماذا سيكـون راي النقـاد الموضوعييـن والمغرضيـن فيـه ؟

وبحثت عن الاجوبة من حولي ، وفى داخلي ، فخرجت بالنتائج التالية :

ـ نعم .. ما يزال للشعر سوق وقراء رغـم التزييف والتشويه الذي طرا عليه فى جميع انحاء العالم .. ولن يزال .. بل سيتسع وينمو في وقت

ات فيه المادة تضيق خناقها على الفرد ، وتثير
ه حاسة الهروب والانعتاق .. وهناك دليل على
ا فيما تزخر به الصحف والمجلات من محاولات
مرية لعديد من الشباب الناشيء ليس هذا مكان
اقشاتها ..

— نعم .. بلادنا فى حاجة الى كل ما يمكن ان
ود به المواهب من دواوين . فيكفي ان ينظر
تثقف الى الوراء ، ليجد اننا فقط بدانا الخروج من
حراء شاسعة الاطراف من القحط الثقافي ،
لجذب الفكري ، والفني ، والابداعي ، بحيث لا يرى
ى مد البصر الا سرابا .. فكل قطرة من سحائب
لهام ستجد أرضنا فى أشد ما يكون الظمأ الى
شافها .. وكلما كثرت القطرات زاد الارتواء ،
لتالي الاعشاب والاخضرار والثراء الثقافي ..

وكل انتاج فني او أدبي لا ينبغي ان يشترط
ه الا الجودة والابداع .. فبلادنا فى حاجة الى
قالة الداعية للاصلاح ، والقصيدة الثائرة على
ساد ، بقدر ما هي محتاجة الى قصة الطفل ،
نشيد المدرسي ، والقصيدة الغزلية ، والرواية
يالية العلمية .. والمسرحية التاريخية ..

هذا هو الالتزام فى نظري ..

الالتزام بالعطاء الثر فى كل ميدان ، حتى
تطيع اللحاق بركب الحضارة .. وحتى لا نبقى
لات وقوارض تعيش على فتاتها ، وتقف على
شها ..

اما الذين يضيقون دائرة العطاء الفكري والفني
م الالتزام ، ويفرضون عليه السير فى خط معين
دوران فى فلك طائفة او طوائف ذات طموح
داف محدودة العمق ، مجهولة القيمة والمصير
بعد التاريخي ، فهم يساهمون فى خنق حرية
نان والاديب الذي لا يستطيع الابداع داخل ما
ضونه من أقفاص ، ولا يعرف السير على ما
ونه من جبال ..

وليس موقفهم هذا ظلما للفنان والاديب الذي
حسن انتاج ما يفرضون فقط ، بل وحرمانا للوطن
ير والاكبر من مواهب هؤلاء المبدعين الذين
م عليهم بالصمت لانهم لا يتقنون الرقص على ذلك
تاع . يقول (الفين طافلر) فى كتابه (صدمة
ستقبل) :

« ان التقدم الذي حدث فى العالم فى مدى الخمسين سنة الماضية يعادل ما حدث فى بحر الخمسة آلاف سنة التي سبقتها .. »

ويضرب امثلة عديدة لذلك منها :

« أن التسعة والتسعين فى المائة من الاطباء الذين عاشوا على الارض منذ آدم حتى الان ، ما يزالون على قيد الحياة » .

ويصف سرعة التغير المذهلة التي يعرفها العالم اليوم بقوله :

« ان سكان الارض حاليا عبارة عن مسافرين فى قطار يجري بسرعة مذهلة فى منحدر حاد ، بدون سائق فى ظلام دامس ، واوجههم الى الخلف ، واعينهم معصوبة » .

هذا العالم الذي يعنيه (طافلر) ما هو فى الحقيقة الا بلاده ، الولايات المتحدة ، التي تمثل راس السهم فى هذا الانطلاق العجيب .. فهي تزخر بآلاف مختبرات البحث العلمي فى سائر ميادين المعرفة .. وبمآت الآلاف من العلماء العاكفين على كشف اسرار الكون ، يدقون على ابواب المستقبل الغامض ويحاولون فك الغاز المجهول ..

وقد كتب لي ان أعيش فى هذا المجتمع الذي يصفه (طافلر) ازيد من عشر سنوات من حياتي — طوال الستينات ، وبعضا من السبعينات — وعشت كثيرا مما تحدث عنه من (عبورية) و (تغير) و (سرعة زوال) سواء بالنسبة للوجود المادي للاشياء كالآلات والادوات اليومية والمخترعات ، او بالنسبة للعادات ، والتقاليد ، والقيم الروحية ، والمبادىء الاخلاقية ، والمقاييس الحضارية ، والاجتماعية ، والجمالية .

فسيارة العام القادم تنزل الى السوق فى منتصف هذا العام .. وبذلك تصبح سيارة هذا العام قديمة .

ومجلة هذا الاسبوع تحمل تاريخ الاسبوع القادم ليعيش القارىء فى وهم انه يقرأ اخبار المستقبل .

ومشاهير الفنانين ، والممثلين ، ومعبودي الجماهير ، يشار اليهم بانهم (نجوم سابقون) لانهم

لم يظهروا على الشاشة الصغيرة طيلة الاسبوع الفارط .

والعذرية لعنة على العذارى .

الى غير ذلك مما لا يتسع له المجال هنا ..

وقد عشت في رعب دائم من القنبلة ، والتلويث، والحرب الثالثة ..

وشعرت في كثير من الاحيان بانني كاس من ورق ساسحق ويلقى بي في سلة المهملات حال الاستغناء عني .

وككاتب وشاعر ، وقفت مبهورا امام السيل الجارف الذي تفرزه آلاف المطابع من الكتب في كل ميدان في اليوم الواحد .. وشعرت بتفاهة ما اكتب، وما يمكن ان اكتب او اقرا في جميع السنوات الباقية من حياتي واحسست بأنني قطرة في بحر .. لا حول لها ولا طول .

وحمدت الله على انني لم اولد في مدينة كبيرة .. والا لكنت أصبت بالعقم من عامي الاول .. فالمدن الكبيرة تسحق سكانها بضخامتها وكثرة ما تتطلبه من انتباههم ووقتهم ، بحيث لا تترك لهم مجالا للاختلاء والتأمل والخلق والابداع .. بعكس القرى والمدن الصغيرة ، فهي توحي للفرد بالثقة بالنفس ، والقدرة على استيعاب محيطه ، وبالتالي تكسبه جراة الجاهل على اقتحام ما يتهيبه ابن المدينة الكبيرة .

وبعودتي الى المغرب ، عاد الامن والطمانينة الى نفسي .. وبدات انظر الى ما كتبه (طافلر) عن المجتمع الغربي على انه وصف للحياة على كوكب آخر ..

ورتبت قيمي ومقاييسي واسبقياتي بحيث تتيح لي التكيف السريع مع مجتمعي .. ووجدت ان هناك مبادىء وقيما لا تتغير .. وان جوهر الحياة ابقى من ان تعفى عليه تيارات التغير والتطور العارضة.

وبتأملي الحياة الامريكية من بعيد ، ادركت انه رغم جنون السرعة ، وتدفق التقاليع ، وتعاقب الاضواء والالوان والاصداء بشكل يبهر العائمين على سطح الحضارة ، ويفجر عقولهم ، فان ردود فعل الفئة الواعية كثيرا ما كانت تفاجىء مصممي الانماط السلوكية ، والنماذج المستقبلية بثورتها على ضحالة الحضارة الورقية العابرة ..

ويبدو ذلك بوضوح في اقبال الشباب والشيوخ على السواء على روائع الادب والفن الكلاسيكيين في المسارح ، ودر الاوبرا ، والمعارض، والمتاحف الكبرى ، في عواصم الغرب ..

الموهبة الحقة ترفض الفناء .. فالمتنبي وشيكسبير لم يتوقف تأثيرهما لتوقفهما عن الانتاج .. والتراث الثقافي مثل روح الزهر ، او ماء الورد، او عسل الشهد .. يتجمع بالقطرات .. ويحتاج الى وقت ..

وهو كالدوحة الفارغة ، لا يمكن انباتها في ساعات ، ولا في شهور او سنوات ، بل تحتاج الى عشرات السنين .

ولو كان في استطاعة دولة ما ان تسرع في انتاج تراثها الثقافي لكانت الولايات المتحدة ، بما لها من امكانيات هائلة ، وما تشعر به من نقص امام الشعوب ذات التراث الثقافي العريق ، اول من حاول ذلك .

وصدورا عن هذه الفلسفة ، وبدافع من الشعور بالمسؤولية الادبية والواجب الوطني ، واستجابة لغريزة حب البقاء ، رأيت ان اقدم هذا الديوان الذي اعتبره جزءا لا يتجزأ من حياتي الى المطبعة .. ذلك الجهاز الذي سيضمن له التعدد والبقاء المادي ، على الاقل ، اذا لم يضمن له الشهرة والخلود ..

فاذا كنت قد اضفت ، بعملي هذا ، الى تراثنا الثقافي قطرة واحدة ، فسأذهب قرير العين بأن وجودي لم يكن سدى » .

ديوان المجلة

- مولاي يامن زرعت القلب عندكمو
- على عتبات النور
- برهان التحدي
- ثلاث قصائد من موريتانيا



مولاي يامن زرعت القلب عندكمو

لشاعر المغرب العربي الكبير
الاستاذ مفدي زكريا

رق النسيم ، وراق الشدو والنغم … لاي عيد ، من الاعياد ابتسم ؟

اين القواف التي تهوي على قدمي … سكرى . . فتسري بها للمنتهى الكلم ؟

واين دفق لساني ، وهو منهمر ؟ … واين سحر بياني ، وهو منتظم ؟

وأي شعر ؟ وفي الحمراء ، مجتمع … من المفاتن — بالآهات — يضطرم

آذار — يبلو — مع الذكرى — سرائرها … بين النخيل ، فيزهو السيف والقلم

ويركع المجد ، والدنيا تطارحه … لحن السموات ، والآمال تلتطم

والرمل يحكي — لصناع البقا — عجبا … يعنو له الحاضر العملاق ، والقدم

سلوا عن « العلويين » الأباة ، وعن … « موحدين » وما شادوا ، وما رسموا

وعن حماة « رباط » في معاقلها … تخشاهم الموت . . ما هانوا ولا انهزموا

سلوا « المنارة » عن « آندال » يرو لكم … زيتونها مجد من سادوا ومن حكموا

سلوا « البهية » تذهلكم روائعها … ففي تضاعيفها الافلاك والقمم

والذكريات التي عاشت تهدهدنا … ضميرها اليوم — هذا المفرد العلم

ذروا فؤادى ، وان لم تسخ قافيتي … يعزف هواه . . فان الشعر دونكمو !

اني تعلمت — والآيات شاهدة — … نجوى الفؤاد المعنى مذ عرفتكمو

كفرت بالشعر — مذ فاضت خنافسه … وداس حرمته من ليس يحترم

ونال كل دعي من قداسته … فصرت من نسبي للشعر احتشم

لا يأس . . ما دام في هذي الثرى ابدا … مستنقعات . . وفيها الصرح ، والهرم

في منطق الطير . . ما يكفي مباغمة … سلوا سليمان . . فهو الحاذق الفهم

*
**

يا ايها المولد الميمون طالعه … كم فيك ، والعرش ، في اصلابنا ذمم

عيد الابوة . . والاحفاد ، لي شرع … كلاهما النور ، والايمان ، والكرم

نبع النبوة ، ما فاضت جداوله … الا وفي دفقها الاخلاق والشيم

ودوحة المجد ، ما رفت جدائلها … الا ورف لها في الصفوة الرحم

وفي رسالات طه ، لم يزل « حسن » … كاليم ، تزخر في اعطافه الحكم

وفي حمى المغرب الميمون طائفة (1) … قامت على الحق ، ما زلت لها قدم

شهادة ، من رسول الله ، صادقة … كم عطر الكون من قول الرسول ، فم

كم للرسول ، احاديث بمغربنا … فاضت بها بركات الله والنعم

هذا الرسول الذي بالفتح بشرنا (2) … فأشرق الفتح ، وانجابت به الظلم

ليت الثلاثين عاما . . كل ثانية (3) … والعيد ، عيدان ، والأفراح تزدحم

عيد الرسول ، وعيد العرش ، لا عجب … ان كان ذاك ، وذا ، تسمو به القيم

في مغرب علوي ، من خلائقه … الله ، والملك المحبوب ، والحرم

اسرى به « رجل الدنيا ، وواحدها » … للانهايات ، يخشى بأسه العدم

فجاء بالمعجزات البيض في زمن … طغى به الزور ، واستشرى به النهم

وراح بالهبوات الخضر ، مخترقا … صدر الصحارى ، فزكت سعيه الأمم

وفجر الارض ماء . . وانبرى قدما … يعلي السدود ، فيجري سيلها العرم

فازينت في الحمى ، جناته ، وربت … تباهة — بجمال الله ، تبتسم

والعقل اخصب ، والاذهان فارعة … والعرش وحد ، والجمهور ملتحم

هذا الذي ، نتبارى في محبته … وتستجيب له الاحلام ، والهمم

*
**

مولاي . . يا من زرعت القلب عندكمو … فأورق القلب حبا في ظلالكمو

وخان عهدي ، من ساءت سريرته … فجئت للبطل المقدام ، احتكم

---

(1) مما اخرجه مسلم في صحيحه عن سعد ابن ابي وقاص ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

(2) راى سلمان الفارسي الرسول صلى الله عليه وسلم وقد شارك في حفر الخندق بغزوة الاحزاب ، كبر ثلاثا وبشر بفتح المغرب من بين البلدان التي بشر بفتحها .

(3) يقترن موعد عيد العرش مع موعد ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كل ثلاثين سنة كما وقع هذه السنة .

رايت طيف نضالي ، في بطولتكم ... نعشت حرا كريما في دياركمو —
اقسمت بالله ، ان لا انحني ابدا ... نجل مني الوفآ ، والعهد ، والقسم
والحق ابلج . لا تخفيه خائنة ... من النفوس ، ولا يلوي به صنم
آليت — مولاي — ان احيا جهدكمو ... ما دام في القلب نبض ، والعروق دم
حتى نرى الوحدة الخضرآ ، بمغربنا ... جيـ شة . حولها الاكباد تلتئم
والجرح ، بإسوه . اخلاص . ومرحمة ... فينجلي الشك . والنكران ، والألم
ونبتني الوحدة الكبرى ، على هرم ... من وازع العقل ، لا وهم ، ولا حلم
والحب يطفح ، والاهداف واحدة ... مهما توزعت الآراء والنظم
مولاي — في عيدك الزاهي ببهجته ... وعبد جدك ، تاه العز والشمم
فاقبل اغانيه ، واسمع من موقعها ... قيثارة الروح — حياكم بها النغم
واسلم — فديتك — للامجاد ، في وطن ... لباه ربك . . مذ لباه (معتصم)
واخلد لشعبك ، يا من عشت تصنعه ... يخفق لحبك ، هذا الشعب ، والعلم

مفدى زكرياء

● « برادة اللجين » ديوان شعر جديد للشاعر الاستاذ عبد القادر الشاط صدر مؤخرا عن احدى مطابع فاس . يتضمن الديوان قصائد متنوعة في الوطنية والوجدانيات ومناسبات مختلفة .

على عتبات النور

للاستاذ الشاعر
عمر بهاء الدين الاميري

« فى حومة صراع التناقضات ، الذي يعيشه المؤمن اليوم ، وفى مكابدة شدة الحيـاة ، واستصلاح الاولاد ، فلذ الاكباد ؛ يبرم الروح بسجنه الترابي ، ويجيش شعور الالتجاء الى الله ، والشوق الى قربه العلوي ... » .

علـى عتبـات النـور حر مكبـل
رنـا من بعيـد مشرئبـا الى الـذرى
يريـد السنى الاعلى مشوقـا بروحـه
وان لـه فى الارض جـذرا مـؤزرا
تمـزع من دفـع وجـذب : اذا مضى
واصعـد ، ردتـه الملـمـات تهقـرى
فكـم دفعتـه وثبـة الـروح للسمـا
وكم جذبتـه وطـأة الجسـم للثـرى
يـرى فى مـرارات الجهـاد حـلاوة
ويجـرع فى اوصابـه الصـاب كوثـرا
ومن عجـب يشكو ويشكر ، عمـره ،
ويحيـا غريبـا فى الصفـء مكـدرا
يغـص بعـذب المـاء ، يشرق حسرة
على وطن ازرى بـه الجهـل وازدرى
وينـغـر فى اعمـاقـه جـرح قومـه

ببغي شقي شقهم وتجبرا
فنال يهود الذل منهم ، ودنسوا
بارجاسهم « قدسا » عزيزا مطهرا
ويرهقه عبء الحياة واسرة
يمحضها الحب النصوح المخيرا
وتجفوه ، لا ترضى بما رامه لها
من المثل العليا ، وفيها جفا الكرى
ومجتمع تحتج فيما ترى به
الا انه ضل السبيل وما درى
هو العرض الزيف الزعاف ، وانه
يريد لها ان تطلب الحق جوهرا
ولو ملك الاقدار ، ردته همة
معلقة بالانجم الزهر ، أعصرا
فعاش حيرة الخير والبر والتقى
وساد وشاد الوهد والمجد وانبرى
ولكنه عان ، وما همة الفتى
تقيد ، اذا ما الامر حم وقدرا
يعيش وحيدا في طوى يجزل الندى
ويؤذيه ان يجزى على البر منكرا
يقولون : صعب ، وهو رحب ، وانما
تردت موازين الكمال لدى الورى
يحس اتقاد الجمر في زفراته
اواما ، وان الروح وجدا تسعرا
ولولا المروءات التي في نجاره
لما عف عن دنيا وكف واقصرا
فيا يا قلوبا تسعة ، مد قلبه
وتطعمه بغذوك منه ، تبصرا
فما اشتد الا كي يشدك للعلى
وعند انبلاج الصبح قد يحمد السرى
فدا سيدوس الروح انتاض سجنه

ويصعد نحـو النـور يلتمـس القـرى
وتفتقـد الاعناق ــ والدمع ساجـم ــ
ابـا ، ويغـص الغـافلـون تحـسرا
ويـا ربـه رب القلـوب وطـبـهـا
ويـاحبه العلوي يـا خـير من يـرى
اغـثـه واشرق فى سـداد اختـيـاره
بـدارا بـدارا كـاد يقضـي تحـيرا
وهب « للحيـاة الكل » فى عمريـه من
جـداك مقامـا دانـي القـرب انـورا

الرباط ــ عمر بهاء الدين الاميرى

برهان المحمدي

للشاعر المدني الحمراوي

هو العيد ، قد وافى بأشرق غرة ... وخالج حبات القلوب بفرحة

تسلل من صف الزمان مشعيا ... بالحان أفراح الربيع البهيجة

وأقبل في كل ركب الزهور معطرا ... يضمخ ءافاق الحياة بنفحة

اطل على الدنيا ، فاشرق وجهها ... وجرت ذيولا من دلال وفتنة

على راسها قد شد اكليل « مارس » ... وفي ثغرها للشمس اسطع بسمة

وفي وجهها عطر المروج وسحرها ... وفي جيدها للزهر ابهج حلية

وأردانها بالمسك فاحت فأسكرت ... قلوبا لها بالحسن أصدق صبوة

فعاد الى هزل الشباب ولهوه ... من اكتسحت فوديه أنصع شيبة

ولجت به الذكرى فهاجت حنينه ... فاقبل يستمرى الحياة بنهمة

وقد غنت الاطيار في كل ايكة ... وابدت على الاغصان الطف رقصة

وناجت فراشات المروج زهورها ... مقبلة ما بين ثغر ووجنة

ومد بساط الشعب أخضر ناعما ... تزركشه الازهار من كل صبغة

وأسفرت الشمس الضحوك فانعشت ... بلألائها أحراج كل خميلة

وللجو من صفو السماء ملاحة ... لها بهج تكسوه أعجب زرقة

ورف الندى من بسمة الشمس فوقه ... ومر النسيم في تثن ورقة

فهيج أشجان الزهور صبابة ... فلم تكتم الانفاس من حر حرقه

جمال يروع القلب منه تميس ... وينفث سحر الايذاذ برقيه

دعاني فلبيت النداء مبادرا ... وحييته بالشعر خير تحية

وناجيته نجـوى محب مـدلـه ... وقد زف عيـد العـرش في خيـر حلـة

فحـرك أوتـار القلـوب ببشــره ... واعلـن أعـراس المنـى والمســرة

فـدب دبيب الأنـس في كــل ذرة ... بمغربنا ، وانجاب غيـم الجهومـة

وقامت علـى سـاق الحفـاوة أمـة ... تبايع عرش المجد : عـرش الاعــزة

تـردد غابـات الجبـال متـافهـا ... وتشدو به في السهـل كـل مدينـة

فينعش فـي صحـرائنـا كـل رملـة ... تسـر بـه ، وكـل حـي وخيمـة

واطلسنا يحصـي مفـاخـر حاضـر ... ويملي عـن الاجـداد سفر البطولـة

وينفح مطر المجد في كل غابـر ... على حاضـر يجتـاز درب الابـوة

∴

عزائم شعب لن تليـن قنـاتــه ... لغامـزهـا في يـوم هـول وشـدة

تعلمـت الابطـال منـه شجـاعـة ... وجربـه التاريـخ في كـل جـولـة

فـبرز في سـاح الفخـار مجليـا ... ولـ مينخذل في موقـف أو كريهـة

وعـزز أمجـاد الجـدود وزانهـا ... برائعة العصـر الحديـث العجيبـة

غداة تنـادى للمسيـرة حـاشـدا ... فهـرولت الافـواج مـن كل وجهـة

وعبت بها نحـو التخـوم عـزيمـة ... تكـاد تجـر الراسيـات بهمـة

فكانت لنا فتحـا جـديـدا ووثبـة ... ومفخـرة صرنـا بهـا خيـر قـدوة

تصيدها فكـر الهمـام بتيمـة ... فكانت من الالهـام انفـس تحفـة

وأبدعهـا عقـل حكيـم مـؤيـد ... فصدت فضول الحاقديـن بحكمـة

وجنـبت الأوطـان خطبـا مـروعـا ... وحققـت الآمـال في مثـل لمحـة

فعـاد الـى هـذا الشمـال جنوبـه ... وضمهمـا عنـاق جمـع ووحـدة

فسـر دعـاة الحـق في كـل مـوطـن ... وسيء بمـا نلنـاه أهـل الضغينـة

وقد أسهر الحقـد الاليـم جفونهـم ... وسعـر في أحشائهـم جمـر وقـدة

عجبـت لهـم واللـه كيـف تنكـروا ... لآصـرة الارحـام بعـد الاخـوة

وكيف رمـوا بالعهـد خلف ظهـورهم ... ولـم يخجلـوا من عار غـدر وخسـة

ولم يرقبوا فينا جـوارا ولحمـة ... من الديـن والانسـاب في رأس ذروة

وكيف استباحوا بعد يأس أصابهـم ... حمـانـا باوليـاء شـر وفتنـة

وقد غرهـم حلـم الهمـام وصبـره ... ورأفتـه بالابـريـاء الاحبـة

وإيثاره حقن الدماء تلطفا ... باخواننا خلف الحدود الغربية
كأني بذاك الصبر بعد نفاذه ... يعود عليهم بالخطوب الاليمة
فينتبهوا من نومة مستلذة ... وتنجاهم ـ بغتا ـ حقائق يقظة
كأن عقول الحاكمين بأمرهم ... هنالك لا تدرى لنا أى سطوة
وقد عرف الدهر السحيق وحاضر ... عزائمنا في كل ناد وحقبة
الا فاذكروا عهد الكفاح وانصفوا ... شعوبا تآخت في ظلال العروبة
ووحدها رب تدين بدينه ... على ملة الاسلام من غير فرقة
فلا تنقضوا عهد الاخاء سفاهة ... ولا تقطعوا أرحام اهل وجيرة
أيبرزأ دين الله في القدس عنوة ... ونحن على هذا العداء المشتت
ويندبنا قلب العروبة صارخا ... ونحن هنا في فرقة وقطيعة
وقد سر أعداء العروبة ما بنا ... وباتوا على أمن هناك ونشوة

***

دعاكم الى الحق الصراح امامنا ... ودعوته والله أيمن دعوة
همام يعي ما لا تعون وينتحي ... بمغربنا نحو الحظوظ السعيدة
ويكلأ آمال العروبة ساهرا ... ويرعى شؤون المسلمين بعطفه
أمين على تلك الفروض موفق ... الى خير نهج مستقيم وخطة
مواهبه سر من الله قاهر ... وحكمته من فيض بحر النبوءة
وليس له ثان يقاس بقدره ... وذلك فضل الله من غير مرية
هو الحسن المحبوب من حسناته ... اضاءت بأفق الغرب ليل دجنة
كفى عرشه فخرا أصالة حكمه ... وتفويضه للشعب سن الطريقة
وتوفير حق العاملين عدالة ... وانصاف مظلوم ، وصون الرعية
وبث رياض العلم في كل جانب ... وتنمية عادت علينا بثروة
مصانعها والمنشآت كثيرة ... تعززها اخرى تشاد بوفرة
وصحراءنا ما بين يوم وليلة ... أزيح لباس البؤس عنها بنعمة

ومد اليها كل عون فأصبحت ... مرفهة ما بين ماء وخضرة
وصين بها اخواننا فتوطنوا ... وكانوا على تيه طويل ورحلة
وصارت قفار الرمل دورا ، ولم تعد ... هناك اثاف حول نؤى وخيمة

وقد نسخ التمدين عيش بداوة ... ودبت حياة العصر في كل اسرة

مساع كبار لا تكل جهودها ... هناك ، وبذل في سخاء وكثرة

أياد لمولانا المليك كثيرة ... معطرة في كل ناد بمدحة

ينوء بها جيل وجيل وثالث ... وأنجزها في ستة بعد عشرة

وذلك برهان التحدي ، وانه ... لكاف وشاف ، انه خير حجة

أمولاي ! ما نيل الخلود بهين ... وقد نلته في عشرة ثم ستة

فاعجزت أقواما يصلون بالهوى ... وعريتهم من كل فضل وقيمة

فباتوا كما هم مفلسين اخسة ... وقد كشفت من سرهم كل عورة

وبارت شعارات التقدم بعد ما ... ازيح ستار الغش عنها بجدية

وأعلن عن فضل العروش جهادها ... وأن لها في الوزن ارجح كفة

وأن لها في كل واد فضيلة ... وأن لها في السبق كل مزية

وما ضر أنصار العروش عصابة ... تقلد أهل الشرك في كل خطوة

وتدعوا الى دين الاباحة بعد ما ... تولت عن الدين الحنيف بردة

وتنفث في أرض العروبة سمها ... ولكنها باتت تصاحب بخيبة

وقد عرفت بالخبث في كل محفل ... وان حاولت اخفاء سوء الطوية

وأعلن أهل الصدق في كل موطن ... بأن كتاب الله خير وسيلة

وأن نجاح المسلمين ونصرهم ... بتحكيم شرع الله في كل نقطة

ومن طلب الاصلاح في غير هديه ... تقلب في ظلماء ظلم وحيرة

وضاع وضل النهج ، ثم تواترت ... عليه أفانين البلاء بشدة

ومذ بطلت في المسلمين امامة ... تحيفهم ظلم العدى بالدنية

وخالفت الأهواء بين قلوبهم ... وصاروا أسارى في حبال المذلة

***

وها نحن في ظل الامامة ها هنا ... وفيها لنا والله أوثق عروة

على عرشها شهم أبي موفق ... هو الحسن الثاني كريم السجية

نبادله حبا بحب ونلتقي ... على خير هدى من كتاب وسنة

امام أعز الله بالحق ملكه ... وزوده من كل فضل بحصة

وصفوة أقطاب الخلافة من ذرى ... بني حسن أهل الرضى والمودة

بهم شرف الرحمن في الغرب أمة ... فنالت بهم ـ كيف ابتغت ـ كل عزة

وكانــوا لهـا ظـلا ظليـلا ورحمــة … ومثـل بـدور الجـو في كل ظلمــة

وضموا لهـا شمـلا شتيتـا بوحـدة … وصانوا شعار الدين من كـل بدعـة

أئمـة حـق اظهـر اللـه فضلهــم … وابقى لهـم في الارض أمكـن دولــة

وكافأ بالتنكيـل مـن عــق أمرهـم … ومن كادهم من اهـل بغـي وشقـوة

وهـذا أمـير المـؤمنيـن سليلهــم … ووارث اسـرار الهـداة الائمــة

ونجم بني الـزهـراء بنـت محمــد … عليها سـلام اللـه في كـل لحظة

وريحانة الاشراف من عرق هـاشــم … ومفخـرة الاسـلام بيـن البـريــة

ورائـد أبطـال العـروبــة كلمــا … تلبـد في أجـوائهـا غـيــم غمــة

وحامي تراث المسلميـن ومجدهــم … ومنجدهم في كـل عسـرة وكـربـة

نبايعــه والعيـد عيـد جلوســه … يبشرنـــا بكـــل يمـن ورفـعـــة

**

اليــك أمير المـومنيـن تهـانئــي … وصفـو ولاء لا يشـــاب بعلـــة

وتائيــة من وحـي عـرشك صغتهـا … ومن حسنــه الهمت أطـول نغمــة

سلمت وأبقـى الله عرشـك شامخـا … وزادك مـن عــز وجـاه ونصـــرة

وبـارك في شبـل العريـن محمــد … وكــل نجـوم الاسـرة الملكيــة

وحقـق امـالا كـبـارا تـرومهــا … ورافقـك التوفيـق في كـل وثبــة

وقد ختـم التـوفيـق شعـرى وانـه … لخيـر ختـام جـاء عفـو البديهــة



ثلاث قصائد من موريتانيا

تقديم الأستاذ مفدي زكرياء

عرفت الكلمة الاصيلة فى شنقيط ــ عبر الاجيال ــ شعرا ونثرا ، كيف تحافظ على سموها وشموخها ازاء التحولات التى فرضتها التاثيرات الناتجة عن التقليد احيانا وعن التبعية الصماء احيانا اخرى لتعابير غربية ، واصطلاحات باهتة كادت أن تقطع الرحم بلغة الامجاد والاجداد ، واستعصت الكلمة العريقة الجذور فى شنقيط عن الذوبان والانتماء لطفيليات يلفظها الكيان الصحيح ، والجسم الذى اكتسب حصانته من الوفاء للتراث يوم تنكر له الاخرون ، وكثير ما هم !

واذا كان الشعر فى شنقيط يسرى دافقا مع العروق ، خافقا مع النسمات معتزا بأصالته ، فخورا بأرومته ، فانت تقف حائرا كلما حاولت المقارنة او المفاضلة ، لان كل ابناء شنقيط شعراء ضليعون شبابا كانوا ام كهولا وشيوخا واطفالا ، ام حواء التىعرفت كيف تخلد « رسالة الخيام » عبر الليالى والايام ، واذا صح ما أدعيه لنفسى ، من حاسة أدبية مرهفة وذوق سليم « على الأقل » فقد اكون مصيبا اذا اخترت للصدارة فى شعراء شنقيط ثلاثة اعتبرهم عمالقة بلا منازع استنادا الى ما قرأته لهم وسمعته من بعض انتاجهم الرفيع ، واذا كانت المنافسة على امارة الشعر تتارجح بين الشاعرين احمد عبد القادر ، وخليل النحوى ، فان الوزارة الاولى لهذه الامارة لا تفلت ، فيما اعتقد من قبضة الشاعر الشاب محمد بن القاضى ، وعلى امل التعريف بالمستوى الشعري الرفيع فى شقيقتنا شنقيط سازود مجلتنا الهادفة « دعوة الحق » فى مستقبل قريب بنماذج حية لمختلف شعراء شنقيط فى شتى الاغراض ، واكتفى اليوم بنماذج ثلاثة : قصيد للشاعر الفحل احمد عبد القادر بعنوان « صوت الفن » وآخر للشاعر الملهم خليل النحوى ، بعنوان « ارفع الراس » وقصيد للشاعر الموهوب محمد بن القاضى ، بعنوان « ذكرى الخلود ، تحية وسلام » ولعل القراء الكرام يزكون اختيارى هذا ، مع الملاحظة ان مجلة « دعوة الحق » تحظى فى موريتانيا بالتقدير الكبير ، والاقبال اللاهف على قراءتها لتجاوبها مع القلوب المؤمنة برسالة الضمير الناصع ، والفكر السامي والاصالة النابعة من الصميم . فهنيئا لمجلتنا « دعوة الحق » وشكرا لاسرتها الفاضلة .

مفدي زكرياء

إرفع الرأس

للشاعر خليل بن النحوي
(رئيس تحرير جريدة "الشعب" الموريتانية)

يا نشيد الخلود ما الانشاد ؟ ... ما التغاريد هدها الترداد
ما حديث النشوان ، ما صرخة الزهو ... تدوى . . وما الحديث المعاد ؟
عظمت بالغناء فيك الاغاني ... وتسامى الانشاء والانشاد
انت البستها حلاك من المجد ... كما البستكه الامجاد
انت توجتها فمنك القوافي ... والتفاعيل منك . . والاوتاد
وتربعت فوق كرسيك الميمون : ... خلد ، وعزة ، واعتداد
لست اهديك من قريضي نشيدا ... يتغنى براعه . . والمداد
انما استمد منك . . ومن شانك ... كان الايحاء والامداد
ارفع الراس يا نوفمبر يركع ... حولك الحاقدون والحساد
ارفع الراس . . لا عليك اذا ما ... قرباء جفوك ، ام ابعاد
هذه الارض حولنا . . كانت الصحراء ... جرداء . . كانت الانجاد
وعيون يرنو بعيدا بها الماء ... ويصطف حولها الوراد
وجبال تناطح السحب يقفو ... حولها النور شاحبا والسواد
والضفاف التى يداعبها الموج ... وتندى من حولها الاعواد
والرمال التي تعانقها الشمس ... وتنداح بينها الابعاد
والسماء الزرقاء يرنو اليها ... مستغيثا طلح ، ويرنو قتاد

هذه الارض أمنا . . نحن منها — وهي منا القلوب والاكباد
قد رعينا ذمامها ورعتنا — ورعاها الآباء والاجداد
صلب العود فى حماها فكل — فى حماها الاشبال والآساد
وسما العلم . . لا هى الصحراء — جرداء . . لا هم الاوغاد
منك يا امنا الكثير . . ومنا — لك يا امنا الندى والسماد
ويكون الحصاد عزة شعب — زرع الحسنيين : نعم الحصاد !
هذه الارض حولنا . . كم تعانى — الفيافى انجدها والوهاد
تتروى من السواعد : امجاد — عظام رجالها اجلاد
هم بنوها حضارة وتراثا — عبقريا ، فابدعوا واجادوا
فتحوا الارض والعقول فلا الارض — خراب ولا العقول جماد
وتحدوا فيها الطبيعة عجفاء — وايامها عجاف شداد
كتبوا مجدها فلم يمحه الدهر — وذبوا عنها وذادوا وشادوا
اصغ يا عيد : انها قصة الاجداد — فاسمع — وليسمع الاحفاد
. . وتمر العهود : عهدا فعهدا — طارف بعضها وبعض تلاد
واذا الفتح — دنس الله ايد — دنسته — تقهقر وارتداد ! !
واذا للرصاص — يا ضيعة السلم ! — دوي ، وللغزاة احتشاد
ما لهم يصنعون مجزرة التاريخ : — ظلم نظامها واضطهاد ؟ !
ويعيثون فى البلاد فسادا — ولهم فى بنى البلاد فساد
دخلاء . . فليهنأ شعبا ابيا — رفض الذل رفضهم والجهاد
غرباء . . فلا سيادة ، لا عز — اذا هم عزوا ، اذا هم سادوا ؟
. . واخيرا يأتى نوفمبر : عهد — ذهبي ، ويذهب الجلاد
ويعود التاريخ : وجه نقي — عاد . . والفاتحون بالامس عادوا
انها عودة المظفر . . لا ، بل — انه الخلق — انه الميلاد
يا بلادى ، قد كان موعد خلق — اذ تحررت ذلك الميعاد
عدت ، لا انت بالجنين ولا الفتح — ارتداد ولا الحياة حداد
مشرق وجهك الحديث اصيل — دينك الدين ، واللسان العتاد
والمواثيق فى يديك عتاد — وسلاح . . ما مثلهن عتاد
مشعل يفتح الدروب وهل يغلق — درب قد شقه الاعتقاد
ارفع الراس يا نوفمبر يركع — حولك الحاقدون والحساد
ارفع الراس فالحدود تهاوى — وتذوب القيود والاصفاد

وبعيدا ، خلف الظهور ، بعيدا … يختفى البين ، ينتهي ، والبعاد

ويعيش الافراد فرحة شمل … والجماعات مثلما الافراد

عانقوا فرحة اللقاء طويلا … انها اليوم مجدنا المستعاد

عانقوها ؛ نادوا بها ، خلدوها … وقليل فى حقها أن تنادوا

انها يا نوفمبر العيد لولا … ان ايام دهرنا اعياد

يا بلادي اهنئي بشعب ابي … لك منه الارواح والاجساد

لك فى عزه شجاعة عز … واقتصاد . وفى الاباء اقتصاد

انت ارض الوئام لا تضمرين الحقد … لو اضمرت لك الاحقاد

ارفع الراس يا نوفمبر واشهد … قد شهدنا ، ويسمع الاشهاد

ارفع الراس لا عليك اذا ما … قرباء جفوك ام ابعاد

نواكشوط ـ خليل النحوي



صدى الفكر

بمناسبة ميلاد الرابطة الموريتانية للآداب

للأستاذ الشاعر احمد بن عبد القادر

بين خفق الرؤى وذوب الخيال … واقتحام المنى عيون المحال

والاغاني المجنحات سكارى … سابحات فى مركب الآمال

نبض الوتر واليراع وقالا … كلمات بيض الحروف الصقال :

هل لهذا الوجود معنى اذا لم … يتفهم هويتى ومجالى

وأنا نشيد مزهرى تتغذى … من صدى انتى وفرحة بالى

كنت حلما معللا بالامانى … همسات تجوب درب الكلال

تارة ابصر الحياة واخرى … البس الصمت فى ضمير الليال

وانا اليوم صرخة تركب الريح جواد تعلو متون الجبال

وانا اليوم مشعل عبقرى … يزرع النور فى جبين الزوال

وانا اليوم فتية صاحبوا الفن ونالوا من وحيه كل غال

ورحيق الجمال بين يديهم … مشرب النفوس صاف الزلال

يتعاطون برده وشذاه … فى كؤوس ظلالها كالظلال

نحتوها من كوكب قمرى … فى سماء الفنون صعب المنال

يتجلى فى الشعر جدول سحر … ضفتاه من روعة وجلال

قزحي الانفاس يحمل فيضا … ابديا يهتز كالشلال

وتراه العيون رسما ونقشا … نمنمته يد البهى والكمال

مثل ما يبدع السحاب اذا ما … عانق الارض بعد قطع الوصال

بالندى والغصون تهتز هونا … وحلى الورد والضيا والظلال

هللى موريتان ما ذاك الا … ومضة من سراجك المتلال

هللى يا بلاد ما نحن الا … قطرة من معينك السلسل

وابشرى صفقى لوثبة نبع … ظل يسقى مواكب الاجيال

حاول الغرب حبسه ذات يوم … عن مجاريه عبر هذى الرمال

وانبرى يمضغ السدود ويجرى … لا يبالى بشانئيه لا يبالى

وتسامى اصالة وشموخا … فى رحاب الخلود ثر النوال (1)

نبضة ترفع المعارف جسرا … ذهبيا يرقى بها للمعال

فكرها عزمها صواعق نار … تتصدى للمسخ والاذلال

وانتقام من الجمود وضرب … لنوايا المستعمر المحتل

❊ ❊ ❊

فتعالي اقلامنا نسبر العصر ودنيا الالوان دنيا المثال

ريشة الفن بلسم وسلاح … ودليل يضيء وعي الرجال

انها عالم الحقائق يحيا … بين خفق الرؤى وذوب الخيال

احمد بن عبد القادر

---

(1) ثرت العين كثر ماؤها .



ذكرى الخلود .. تحية وسلام

للشاعر الاستاذ محمد بن القاضي

نشوى تعربد تلكم الاحلام ... حبلى تبجح خلفها ارحام

نشوى تصفق امنيات حقة ... وغد صبوح فوقه اعلام

تلك الطبيعة غضة مخمورة ... والارض ترقص والانام ركام

هذي العصور تضمخت أردانها ... ولها على عيد الخلود زخام

وتضوعت ذكرى تفنبر بينها ... فتخاذل الاشذاء والانسام

عذرا مخبأة يشد ازارها ... عزم ، نهوض ، ثورة ، اقدام

معنى الحياة يشع فوق عذارها ... تتجاوب الاعوام والايام

فيك الحضارة تلثب صروحها ... وعظائم التاريخ فيك سوام

فيك الاصالة درة صدفية ... والنهضة الكبرى عليك وسام

❊ ❊ ❊

ذكرى الخلود تحية وسلام ... انت المنى ، انت الذرى ، والهام

اجراس أندلس عليك صوارخ ... وصلاح يعبر والحياة ضرام

هذا ابو بكر يزمجز انفة ... والشهب تحق زحافه اتزام

وسنابك الخيل العتاق بنادق ... تردى الجحافل كلها اقحام

وجمال يزهو فى جمل مفاخر ... عز تشاد بها العلى وتقام

ورذائل التاريخ وهى عداوه ... صرعى مبعثرة الرفوض حطام

والعالم العربى فى احضانه ... طفل مدل فى المهاد امام

والعالم العربى بعد ضياعه ... زحف عظام يصطفيه عظام

والثورة العظمى يصم أزيزها ... سمع الوجود يحثها الصمصام

* * *

وطنى تبجح فالمعراك لطام ... والحظ يمرح والضحى بسام

انظر فهاتيك العوالم اطرقت ... فى صحنك الفضى لهن مقام

ذكراك ترفل فى ابد جمة ... يكسو ربدها الزهور والانعام

عذرا تبختر عشرة تسمو بها ... نحو المعالى ستة اعوام

والقائد الفذ المفدى مبحر ... لم يثنه ضعف ولا احجام

يحدو مسيرة عالم متفتح ... شعب ابى مسلم مقدام

انعم صباحا فالثعالب عشعشت ... وتدهور الارجاف والاظلام

انعم فشنقيط الاصيلة تقتفى ... خطواتك الجلى لها اقدام

وحناجر التاريخ تعلى نغمة ... تصغو لها الانشاد والانغام

* * *

نغم القصيد يفل اذ يعتام ... بحر الخواطر والضغوط ضخام

والشعر يخجل عن مدى قيثارة ... قد صاغها من كبره الايلام

والشاعر الموهوب يخرس من صدى ... زحف الخواطر كله استسلام

والواقع المشهود خير معبر ... ان خيم الاحجام والافحام

يا قائدا قهر الصعاب بعزمه ... وتعثرت فى شأوه الاقوام

انعم صباحا فالزعازع ادبرت ... وتعرت الاصباغ والاوهام

فلقد دخلت على قتارة ليلنا ... تتفاعل الآهات والآلام

والغرب ينفث فيه من ارجاسه ... سما تلبد حوله الآثام

وبطولة الآباء ثم مهاضة ... واللوح يصرخ والتراث رمام

واليعربية فى مآسى وادها ... شمطا مضيعة الحريم تضام

والعلم يرسف والمساجد عطل ... ثكلى فلا عمل ولا اسلام

فنفخت نفخة طارق فى صبحنا ... وطفقت فى جمع اللثام فهاموا

يمناك زيتون وغصن اخضر ... والراحة اليسرى قنى وحسام

وعصرت فيه فارة مسكية ... فتنفس الازهار والاكمام

وعجنت من هذا وذا تاريخنا ... فتراجع الانكاس والاقدام

التضحيات قلائد في نحره ... والمنجزات على ذراه سنام

ومصارع الاغراب تحت شعابه ... غصت بها القيعان والآكام

فهلم نمضي في نهاية زحفنا ... فالدرب صعب والمقام أمام

كيف المقام وارضنا مخنوقة ... قسم يئن وحوله اقسام

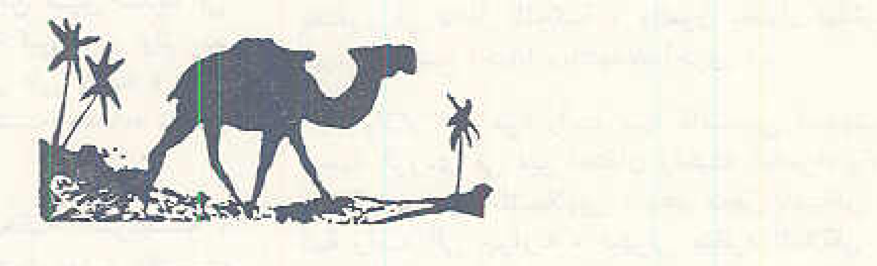
كيف الهناء والشعب تم ممزق ... أين الزمام وكلنا ابنام

القادسية ثم تمضغ حقدها ... والقدس يرسف والطغاة نيام

والوحدة الكبرى قضاء راغم ... تسمو العروبة فيه والاسلام

محمد بن القاضي

« جريدة الشعب الموريتانية »





قال صديقي ، وهو يمد لـي كأس النعنـاع والشيبـة :

« سمعت قصتك ، هدية راس السنة ، واريد ان احكي لك قصة واقعية مثلها ، الا انها في نظري ، اقوى وافصح عن ارادة الله .. وقد وقعت في نفس الفترة الزمنية .. اى فى نهاية الاربعينات ومنتصف الخمسينات .. وعشت احداثها وانا طفل صغير ، فعلقت بذاكرتي ، وبقيت صورها ناصعة حية لا تبليها الايام .. فقد كانت تلك اول مرة ارى فيها رجـلا يموت .. يموت امامي وانا انظر اليه يلفظ انفاسـه الاخيرة .. منظر لن انساه ما حييت ..

كان رجلا قويا ، فارع الطول ممتلئا .. رايتـه يخرج من المحكمة يتمايل ويتأرجح كدوحة توشك على السقوط .. لا بد انه كان يعاني من ضيق شديد في صدره ، فقد كان يتنفس بصعوبة كبيرة .. ولم يكد يصل امام باب الجامع حتى هوى على وجهه ، وكان انفجارا حدث بداخله كأن قنبلة فتتت احشاءه ، ففار من فمه دم خاثر اسود ..

كانت دار جدي لاصقة بالمحكمة الشرعيـة ، وكان جدي رحمه الله ، احد العدول بها ، فكنـت اصعد الى السطح واطل بداخلها من خـلال قبتهـا الزجاجية فاجدها كشهدة نحل تعـج بالمتداعيـن والمتقاضين من رجال القرى المجاورة ونسائهـا ، وخصوصا يوم امتلاء سوق المدينة ، يوم الخميـس ..

وكنت ، وانا طفل في العاشرة ، اقضي عطلتي الاسبوعية ، وهي مساء الخمس وصباح الجمعـة ، بدار جدي استنشق نسيم الحرية بعيـدا عن جـو الرقابة والانضباط بدار والدي ، التي كانت عبارة عن معسكر (اسبرطى) ، فقد كانت مسيدا قرآنيا بدون توقـف ..

وكنت احيانا اقف على عتبة البـاب اتفرج على البدو وهم يملأون مدخل الجامـع المواجـه للدار يأكلون او يعدون فلوسهم ، او يتبادلـون (جوزات طابة) ـ علب النشوق ـ فيفرغون منها على ظهـور ايديهم ، ويستنشقونها في التذاذ تدمع له عيونهم ، وهم يتحدثون ويتضاحكون .. حتى اذا نادى باسمهم عون القاضي اكفهرت الوجـوه ، وانقلب الحديـث الهادىء الى صراخ وجـدال وتبادل للتهم حتـى يختفون في داخل المحكمة ، والعون يحاول تهدئـة الهياج بالنصح احيانا وبالتهديد اخرى ..

واذكر اول مرة رايت فيها قاضـي المدينـة بوجهه الوردي في غير احتقان ولحيته الحمراء وكأنها محناة ، وعينيه الشهلاوين ، وهو مجلل بالبياض من قمة راسه الى جواربه ، فبهرني منظره الملائكي .. كان خارجا من الجامع يتقدمه عونه ليخلي طريقـه ، ويضع بلغته على عتبة الباب ..

ورايته بعد ذلك في احتفال ليلة المولد بالجامع الكبير يلقي درسا في شرح الهمزية ، وقد تربع على

ته الخضراء ، واصطفت امامه ثلاثة شمعدانات
مددة الشموع ، انعكس ضوؤها على وجهه فزاده
بة وجلالا .. وتصاعد دخان العود من المباخر ،
ائحة الند من اعواده المركوزة بحيطي الحصير
زين باغصان الريحان والعطرشة وكان يتكلم بصوت
فت مما جعل الصمت يخيم على المسجد الكبير
م اكتظاظه بالناس ..

وصعب علي بعد ذلك ان اتخيل وجوه الملائكة
قديسين دون استحضار ذلك الوجه المنور
رباني .. حتى ذلك اليوم المشئوم ، يوم الخميس،
ي شاهدت فيه ذلك المنظر المروع الذي هزني
ا غلام صغير ، من اعماقي ، وازعج رقادي ليالي
اما كثيرة ..

خرج الرجل القروي يترنح من باب المحكمة ،
ا قلت لك ، يتبعه غلام في مثل سني ، عرفت فيما
انه ابنه ، وسقط على باب الجامع يتخبط في
ه وكانه ذبيحة او قربان ..

وتجمع الناس حوله ، فتعاونوا عليه ، وحملوه
داخل حوش المسجد حيث مدوه على حصير
مدره ما يزال يهتز ، وشفتاه ترتعشان ..

والقى الغلام بنفسه على صدره ، وقد امتقع
جهه من الذعر ، وراح يحركه من كتفيه ويناديه
نتحب ، والناس لا تدري ما تصنع ، فقد كان
ظره يفطر الاكباد ..

وفي هذه اللحظة خرج جدي من الجامع حيث
ن يصلي الظهر ، فأفسح الناس له لينظر الى الرجل
ريح .. ودون ان يقول شيئا اسرع الى الدار
لب بصلة ، وشقها نصفين ، واسرع نحو الحلقة ،
سك بالغلام من تحت ابطيه وأبعده برفق عن صدر
ده ، وجثا الى جانبه يشممه شق البصلة ، ويجس
دره ورسغيه ، ووريديه .. ثم بدا يقرا آية من
رآن حتى اذا اتمها انحنى على اذن الرجل وهمس
ا الشهادتين عدة مرات ..

وبعد ان تأكد من صعود روح الرجل الى بارئها،
يده الرحيمة الناعمة ، فاسبل جفنيه وارسلني في
ب ازار من الدار ، فعدت به في الحال ، فغطاه ،
تفت الى الطفل المذعور فأمسك بكتفيه وضمه اليه
نا على ظهره مصبرا ، وهو يقول : « انا لله وانا
ه راجعون .. لا حول ولا قوة الا بالله .. »

ودخل الجامع احد الوكلاء المعروفين فتقدم للسلام على جدي ، ووقف يتبادل معه الحديث في همس :

— قتله المجرم .. عدو الله ، يا سيدي .. اشهد بها أمام الله يوم القيامة .. ذبحه ، بدون سكين ، من تحت الجلد ، وطعنه في القلب ، دون أن يريق قطرة دم ..

وحين استفسره جدي قال :

— دخل هذا البريء المسكين على القاضي .. خشبة جهنم ، دون ان يعرف لماذا ارسل في طلبه من السوق ، فوجد العصيدي في مكتبه ..

فرفع جدي سبحته تعبيرا عن فهمه للموقف .. فاستأنف الوكيل :

— ويظهر أن الضحية لم يكن يعرف العصيدي ، ولا سمع بافاعيله التي سارت بها الركبان في سرقة الاملاك عن طريق تزوير الملكيات وعقود البيع .. وفاجأه القاضي بالتوبيخ والتهديد بالحبس والغرامة اذا لم يخرج للعصيدي من أرضه . وبهت الرجل وهو ينظر الى القاضي يقرأ عليه عقد بيع جميع ما يملك من ارض للعصيدي ، وأسماء العدول والشهود و (خربوشاتهم) على العقد . وخرج في الحال من مكتب القاضي مطعونا ينزف من الداخل .. الله يأخذ فيه الحق !

وامن جدي على دعائه .. ثم فطن الينا ، انا والغلام ابن الضحية ، فامسك بيدينا وادخلنا الدار في انتظار الاجراءات الرسمية .

+ × +

ومرت عشر سنوات ..

وجاء الاستقلال .. وتعاقبت الاحداث بسرعة، فغادرت قوات الاحتلال المدن والقرى ونزل المجاهدون من الجبال للاشراف على الامن في مدينتنا .. وكان على راس الجماعة التي نزلت بالمدينة شاب فارع الطول ، قوي البنية بدا لي وجهه مألوفا جدا ، فاستوقفته للسلام عليه فعرفني هو الآخر ، وعانقني بحرارة ، وحين طلبت منه ، وأنا محرج ، ان يذكرني باسمه ، وابن تعارفنا ، اجاب :

من الطبيعي أن تنسى ، لانك لم ترني الا لمـدة ساعتين منذ عشر سنوات ، وفي ظروف جد قاسية.

وذكرني بقصة موت والده ، او اغتياله على يـد قاضي المدينة ، واضاف :

— انا لا يمكن ان انسى ابدا موقف جـدك النبيل .. فقد كانت يداه الرحيمتـان ، ووجهـه النوراني مصدر عزاء كبير لي في ساعات يتمي الاولى.

وقال لي ان اسمه عبد السلام الرملي ..

ودعاني الى زيارته في معسكرهم بظاهر المدينة، فلبيت مسرورا ، لرغبتي الشديدة في سماع اخبار معارك رجال التحرير ضد قوات الاحتلال من جهة ، ولشوقي لمعرفة قصة حياته الشخصية بعد ان اصبح يتيما وفقيرا في اقل من خمس دقائق ..

وعلى مائدة العشاء افاض في الحديـث عـن جولات القتال والكر والفر بينهم وبين عدو يمتلـك احدث آلات الفتك والتدمير وجميع وسائل الاغراء والتهديد ، وهم لا يملكون الا ايمانهـم برسالتهـم وعزمهم على طرده من بلادهم ..

وكان يتحدث كرجل عاش في فترة قصيـرة عمرا كاملا ، وجمع عددا هائلا من التجارب ، وصقله الاحتكاك بالناس ، وايقظ حواسه حضـور الخطـر الدائـم .

وسألته عن مشاريعه بعد انتهاء معركة الاستقلال، فأجاب بانه سيذهب الى الجزائر ، كبقية المجاهدين، لاتمام تحرير البلاد .. فما دام الاستعمار دخلنا من جهة الجزائر ، فلا بد ان نخرجه منها حتى نأمـن خطـر عودتـه ..

وحين سألته ان يقص علي ما جرى له شخصيا بعد وفاة والده المأساوية ، اكتفى بأن تنهد وقال :

— اخرجونا من دارنا التي كانت تتوسـط ارض الوالد ، فذهبت انا وأمي الى دار جدي وعشت هناك حتى بدات حركة التحرير ، فانضممت اليها ..

ولمست من اختصاره الحديث بهذا الشكل انه يطوي نفسه على جرح لم يندمل بعد .. وان هنـاك بداخله ركنا مظلما لا يريد الكشف عنه ، فاحترمـت مشاعره ، وغيرت الموضوع ..

وتركته وخرجت ، وقد اوجست خيفة من ان يكون عبد السلام يعد خطة انتقامية شرسـة ضـد القاضي القاتل الذي كان ما يزال يـزاول مهنتـه بالمدينة ، دون حماية سلطان الاستعمار هذه المرة .

وفكرت في ابنائه وبناته الابرياء .. واعيتنـي الحيلة ، ففوضت الامر لله ، وتركت له تصريـف الامور كما يشـاء ..

وصدق حدسي ..

فلم تكد تمر يومان حتى بدات بوادر العدالـة الالهية تاخذ مجراها .. كان اليوم يوم جمعة .. وكان الجامع الكبير ممتلئا بالمصلين يقراون القرآن بصوت واحـد ..

ودخل القاضي من باب الى جانب المحراب ، فسكت الناس .. وتقدم هو في جلبابـه وسلهامـه الابيضين وصعد درجات المنبر ، وجلس على درجته العليا .. وما كاد يستلم العصا من المأموم حتى قام رجلان في ملابس عسكرية من الصف الامامي فوقف احدهما يخاطب المصلين :

— ايها الناس .. ليبق الجميع جالسـا في مكانه .. لقد جئنا لنقبض على القاضـي لنقدمـه للمحاكمة .. فقد وصلت قيادتنـا شكاوي كثيـرة بمظالمه منذ تولى القضاء في هذه المدينة .. ونعدكم بأنه سيحاكم بتمام العدل وبانه سيعطى حقه كاملا في الدفاع عن نفسه .. فمن اراد منكم الادلاء بشهادة له او عليه ، فليصعد الى قيادة المجاهديـن غـدا في الساعة الثالثة مساء . وسيصلي بنا اليوم الفقيـه سيدي عبد الله ..

ونزل القاضي من فوق المنبر بمشقة كبيرة .. فقد كان يبدو جليا ان ركبتيه تصطكان بعنف ، ممـا جعل الرجلين المسلحين يساعدانه على النـزول ، ويرفعانه من تحت ابطيه ليسلماه لمسلحين آخريـن كانوا ينتظرون خلف الباب الذي يدخل منه القاضي.

وما اقفلت خلفه الباب الخضراء الصغيرة حتى فقد قواه ، وسقط على الارض على وجهه يلهث ، وقد امتقع وجهه ، وحال لونه الى زعفران .. فاضطـر الرجال الى حمله بينهم من يديه ورجليـه كخروف مذبوح ، والخروج به من الممر الطويل المعشب الى الشارع حيث كانت سيارتهم تنتظر ..

وذهل الناس داخل المسجد فلم يدروا كيف
سرفون ، كان بعضهم لا يكاد يخفي امتعاضه لما
ث ، لمجرد مبدا اخراجه من المسجد فى تلك
حظة المقدسة ، وبتلك الطريقة المزرية .. وكان
مض لا يكاد يخفي سروره بما حاق بالقاضي الظالم
كان ينتظر تصفية حسابه معه مدة طويلة ..

وترددت انا فى ان اذهب لحضور المحاكمة ..
بل ان يستقر رايي طرق باب داري احد رجال
السلام الرملي ، وابلغني تحيته ورغبته الاكيدة فى
سوري المحاكمة كاحد الشهود ..

ولم املك الا ان اذهب ..

وفى الطريق الى المعسكر لحقت بطائفة كبيرة
الرجال والنساء والاطفال يقودهم الوكيل العجوز
ي حضر مقتل والد عبد السلام على باب الجامع ،
عشر سنوات خلت .. كان السرور باديا على
به وهو يوزع النصائح والتعليمات على موكليه
سابقين الذين حول القاضي الظالم مجرى العدالة
دهم ، فعاشوا طاوين انفسهم على انتظار يوم الثار
موعود ..

وفى حديقة المعسكر الواسعة جلس الناس
ت الاشجار فوق العشب الاخضر ، فقد كان الوقت
ما .. وجلست هيأة المحكمة المكونة من قاضي
لي معروف باستقامته . والى يمينه ويساره عدلان
عدول المدينة المعروفين بالوطنية ، كان سبق
اعتدت عليهما سلطات الاستعمار بالضرب والسجن
فصل من وظيفيهما الرسميين فى التعليم والعدل..
قف خلفهم حرس من رجال عبد السلام الرملي
ملون البنادق ، وآخرون يحملون الهراوات ..
لس الرملي ، قائد الكتيبة ، على الارض بين
عة المدعين ..

وامر القاضي باخراج المتهم ، فجيء به من
خل الدار .. وفوجئت بمظهره لدرجة انني لم أميزه
كان قد شاخ فى مدة اليومين اللذين قضاهما
تقلا .. شابت لحيته الحمراء ، واحمرت عيناه ،
كمش وجهه وبدنه ، وتقوس ظهره بشكل ملحوظ
ويظهر انه اصيب بذهول فلم يعد يحس بما يحدث
له ..

اجلسه الجنديان فوق حصير على الارض جانب
المنصة ، وهو صامت لا يبدو عليه انه راى احدا من
الحاضرين .. واشار القاضي الى الوكيل فقام هذا ،
واخرج من قب جلبابه ورقة فتحها ، ثم رفع اطراف
الجلباب عن سرواله ودس يده فى جيبه واخرج حقا
فتحه واخرج منه نظارة بالية وضعها على عينيه وثبت
خيوطها على اذنيه ، ووقف يتلو صكا طويلا من
الاتهامات ضد القاضي ، ويشير الى ضحية كل قضية
على حدة ، فيقوم هذا او هذه للمثول امام المحكمة ،
ويدعى الشهود فيدلون بشهاداتهم ، ثم يواجه القاضي
الجيلي العجوز المتهم ، ويطلب منه الرد ، وهو صامت
منكس الراس لا يدري احد امن الذهول ام من الخجل
والعار .

واقتربت امراة كان يبدو عليها انها تمقت
القاضي القاتل بشكل جنوني ، اقتربت منه واخذت
تردد اسئلة المحكمة له :

— أجب . ! أجب . !أجب ايها الظالم
الملعون ! حين حرمتني من اولادي ، ورميتني فى
الشارع بدون رحمة ولا شفقة ، ولا نفقة .. ارضاء
لزوجي القاسي ، وما قدمه لك من رشوة ، كنت أحمر
الوجه قويا مرفوع الراس . والآن ما ذا أصابك ؟

وارتمت عليه فامسكت بتلابيبه وطرحته ارضا،
وغرزت اظفارها فى وجهه ، وانقضت باسنانها على
حنجرته كذئبة جائعة .. وقفز عبد السلام الرملي من
بين المدعين ، فامسك بالمراة ورفعها عن وجه القاضي
المتهم الذي أيقظه هجومها من ذهوله ، فتحول تعبير
وجهه الى رعب ، ثم الى استسلام ، وابتعد عبد
السلام بالمراة وهي تصرخ وتندب ، وهو يحاول
تهدئتها :

— اهدئي يا للا .. ستاخذ المحكمة ، بعد
الله ، حقك ، وحقوق جميع المظلومين ..

وانفجرت المراة باكية بحرقة شديدة،وهي تقول:
— مهما فعلت المحكمة فلن تستطيع رد
شبابي الضائع ، وحب اولادي الذين كرهني أبوهم
اليهم .. ورماني بكل ساقط من التهم .. لم يبق لي
الا الانتقام ..

فصبرها عبد السلام :

— أقول لك ان المحكمة ستاخذ حقك ..

وما عليك الا أن تنتظري ..

— ماذا تعرف انت عن حقي ؟ ماذا تعرف عن كية الظلم والباطل الذي أنزله علي عدو الله هذا ؟

فامسك عبد السلام بكتفيها بقوة وهزها بعنف وعطف وقد ظهر التاثر على وجهه :

— اسكتي .. واسمعي .. لا تقولي ذلك .. فانا أعرف حرقة الظلم ، ربما أكثر منك ... فقد قتل ذلك القاضي المجرم والدي .. وايتمني في صباي ونزع جميع املاك ابي واعطاها لمزور معروف من معارفه ..

واخرج من حزامه مسدسا رفعه لتراه ثم قال :

— وانا معي هذا .. وقد قتلت الكثير من النصارى وحلفائهم من الخونة والجواسيس .. ولكن بعد ثبوت التهمة . ! تذكري ، ان المغرب خرج من عهد السيبة الى عهد النظام والحضارة .. فعودي الى مكانك ، وانتظري الحكم مثل الآخرين ..

ويبدو ان مفعول كلام عبد السلام كان أقوى من غضب المراة ، فهدات نفسها ، وتحولت ثورتها الى انتحاب متقطع ، وعادت تقعد فى مكانها ..

وطالت الجلسة الى ما بعد اذان المغرب .. واشعل الجنود المشاعل وركزوها حول هياة المحكمة، ووضعوا امام القاضي فنارا .. ووقف جندي يحمل فنارا آخر الى جانب الوكيل المدعى الذي كان تعب واقفا فجلس على كرسي فى مواجهة هياة المحكمة حتى يتمكن من قراءة لائحة اتهاماته .. وكان جميع من له دعوى بين الحاضرين قد أدلى بها امام المحكمة .. وفى النهاية طوى الوكيل العجوز الورقة على يده ، وقال :

— هذا قليل من كثير من مظالم هذا الرجل .. وهناك فظائع لا أذكرها لكثرتها ، وهناك ما اذكره ولا استطيع أن آتي بضحاياه أو شهوده ..

وهنا رايت من واجبي ان اقف واؤدي واجبي ، فرفعت يدي ، وقلت للوكيل :

— اذا سمحت لي المحكمة ، فهنالك قضية أود تذكيركم بها ..

والتفت الجميع الي ، وأشار لي القاضي بالاذن، فقلت :

— انها قضية رجل اسمه الرملي ، دخل المحكمة يوم خميس منذ عشر سنوات وخرج منها يرمي الدم من جوفه .. وكنت انت هناك حاضرا حين لفظ انفاسه الاخيرة .. هل تذكره ؟

فخلع الوكيل نظارته ، وقال :

— اذكره جيدا .. واشكرك على شهادتك.. فتلك احدى قضايا اهل البادية الكثيره وهي أضعاف قضايا المدينة التي عرضناها اليوم .. وللاسف لم يتقدم احد من المدعين او الشهود ، ربما لعدم وصول الخبر اليهم بعد .. وسوف يصل ..

وكنت اتوقع ان يقوم عبد السلام لعرض شكواه، ولكنه لم يفعل ، ولم ارد انا التنبيه اليه .

وبعد انتهاء العرض ، تنهد القاضي الجبلي العجوز ، والتفت الى مساعديه وتبادل معهما بعض الكلمات ثم رفع راسه وقال :

— بسم الله الرحمن الرحيم .. حسب ما تقدم من شكاوي ، وما وجه للمتهم من اتهامات مدعمة بالادلة والشهود ، وبما ان المتهم الحاضر لم ينف ايا منها ، فقد قررت المحكمة ان المتهم مذنب ومعترف بجميع ما وجه اليه من تهم ..

وتوقف القاضي وتنهد وهو ينظر الى المتهم المسبل العينين ، وقال :

— وقبل ان تعلن المحكمة نوع العقوبة التي ستوقع على الجاني ، اود ان القي عليه بعض الاسئلة ..

وانتظر القاضي ان يقف المتهم فلم يفعل ، فقال له بصوت آمر :

— قف ..

ولم يبد عليه انه سمع ، فأشار القاضي الى الحارس المسلح الواقف خلفه ، فامسك به هذا تحت ابطيه واوقفه ، فسرت ضحكات وقهقهات بين الحاضرين اسكتها القاضي الجبلي بنظرة جدية من عينيه الحادتين المدفونتين تحت حواجب كثيفة ، ثم اتجه للمتهم ، وقال :

— هل انت مسلم ؟

وفوجىء الجميع بالسؤال .. ويبدو ان وقـع
فاجأة كان أقوى على المتهم ، بحيث جعله ينتفض
يق من ذهوله واستسلامه ، وينظر الى القاضـي
هشا غير فاهم القصد من سؤاله فأعاد القاضي :

ــ اجب يا هذا ، هل انت مسلم ؟

ولاول مرة سمعنا صوت المتهم يخرج من حلق
وح جعله يتنحنح ويعيد :

ــ ماذا تعني هل انا مسلم ؟ طبعاً مسلم .
فقـــال القاضـــي :

ــ اعني هل تؤمن بوجود الله ، وملائكتـــه
به واليوم الآخر ؟ هل تؤمن باليوم الآخر ؟

فأجاب القاضي المتهم بغضب مكبوت :

ــ طبعا أومن بكل ما قلت ..

فكـــرر القاضـــي :

ــ تؤمن بالله وباليوم الآخر ؟

ــ نعم أومن بالله وباليوم الآخر .. يـــوم
ســاب ..

ــ ولكن أفعالك لا تتطابق مع أقوالـك . ان
لا يؤمن بالله وبيوم الحساب لا يمكـن ان يقترف
هذه الجرائم .. فاما انك كافر أو منافق أو مرتد،
ا انك لا تؤمن بوجود الله ولا بيوم الحساب .

فانفجر المتهم باكيا وهمهـم :

ــ انا مسلم .. انا مسلم عاص .. واطمع
مغفـرة الله ..

ــ (ان الله لا يغفر ان يشرك بـه) وقـد
ركت بالله ، وانكرت وجوده بأفعالك الاجرامية !
دين المعاملة . ومعاملاتك مع عباد الله كانـت
ملات رجل لا دين له . انت مدسوس على الاسلام
سلميــن ..

ثم اتكأ الى الخلف ، واخرج من جيبه منديـلا
ح به آثار الانفعال عن وجهه ، ثم توجه نحو المتهم
وقال بصوت هادىء :

ــ حكمت المحكمة حضوريـا على المتهم
ضي السابق ، محمد الحالمي ، بأقصى عقوبـة
ينص عليها الشرع والقانون ، وهي الموت ! تنفذ فيه
بالطريقة التي تسمح بها ظروف رجال الامن .

ثم اضاف ، ويداه ترتعشان فوق الورق :

ــ وللأسف ليست هناك عقوبة ، مهما كانت
قاسية ، تستطيع اصلاح ما افسده هذا الشيطـــان
المريد ، وتجفيف ما أراقه من دماء ودموع ، وارجاع
ما اضاع من سعادة ، ومحو ما خلفتــه مسيرتـــه
اللا انسانية من شقاء ويتم ، وثكل ، وفقر وحرمان. .
الله وحده قادر على اخذ حق المساكين من ضحاياه،
الاحياء منهم والاموات .. ولا حول ولا قوة الا بالله .
وانا لله وانا اليه راجعون ..

وجمع أوراقه ووقف ، وتعالت من الحاضرين
هتافات بحياة الملك ، وعودة العدالة للبلاد .. وبكت
بعض النساء ، وتفرق الجمع تحت جنح الظلام ..

وحين خلا المعسكر ، شرع احد المجاهديـن
بندقيته ، ووجهها الى المحكوم عليه يريد تنفيذ حكم
الاعدام فيه ، لولا ان عبد السلام الرملـي ، قائـد
المعسكر أسرع الى اختطافها منه ، وتوبيخه بعنف .

كان الرجل يدعى (جبيلو) وكان قصيرا حليق
الرأس ، يطبع تصرفاته العنف .. وكـان طـوال
المحاكمة يعض على لسانه ويصيح كالمطعون كلمـا
سمع تهمة او شهادة عن جرائم القاضي المتهم ...
وكأنما فوجىء بتصرف قائده فأخذ يصيح ويضرب
رأســه بقبضتــه :

الم تسمع حكم الله في هذا الظالم .. ؟ فماذا
تنتظـر لتنفيذه ؟

فنظر اليه عبد السلام دون انفعال وقال :

ــ هدىء أعصابك او تدخـل الحبس ..
انتهى عهد السيبة .. وسينفذ الحكم في المذنـب
بالطرق القانونية فاذهب الى شغلك ..

واشار الى رجلين وامرهما بحمل القاضـي الى
غرفته ، واطعامه . فحملاه من ذراعيه كتلة واهنـة
ومضيا به وهو يجر قدميه على الارض ..

وجاءته الطباخة بعشائه ، وحاولت تشجيعـه
على الاكل فلم تفلح وبجهد كبير ، وكثير من عبارات
الامل أرغمته على شرب قليل من المرق انعشه قليلا،
وادفأ عظامه الباردة ، وجعله يستلقي طلبا للنوم ..

وبات تلك الليلة يعاني من كوابيس مفزعة .. كان شريط كامل من التهم التي وجهت اليه يمر حيا في ذاكرته كما حدث من سنين ، وكما لم يتذكره قط من قبل ، فكان يستيقظ فزعا صارخا يستغيث من شر ما فعل ، ليجد نفسه في اسوا حال مما كان ..

وفي الصباح دخلت عليه طباخة المعسكر السمينة الطيبة القلب فوضعت فطوره امامه ، واخذت تشجعه على الاكل :

— كل آ لمسكين .. الله لطيف بعباده .. افطر حتى تقوى على حمل مصيبتك ..

وغمست الخبز في القهوة والحليب ووضعتها في فمه ، وهي تقول :

— كل لتقوى على الصلاة والاستغفار .. باب الله دائما مفتوح .. وانت طالب فاقرا القرآن ..

وكانت هذه الكلمات قوتا لقلبه المكلوم ، وروحه المثقلة بالذنوب ورغم ذلك لم يجد رغبة في فتح فمه لغير اللقمة الاولى .. فنظرت المراة حواليها لتتاكد من خلو المكان ، وابتسمت له ، وانحنت عليه وهمست في اذنه :

— كل .. سمعت ان لجنة تحقيق آتية من العاصمة لتاخذك

وانفتح قلب القاضي ودق بسرعة وعنف ، وكان دما جديدا تدفق فيه ، فامسك بيد المراة وسال وكله يرتعش :

— حقا ؟

فهمست له :

— سمعتها من ساعي البريد . فاطمئن .. وربما جاء مع اللجنة احد يعرفك .. قدمت له خدمة ، او احسنت اليه ..

وكان هذا بمثابة يد انقاذ تمتد اليه من السماء .. فاحس بالرغبة في الوقوف ، ووجد في ركبتيه القوة على التمشي بضع خطوات في ضوء الامل الذي حملته اليه الطباخة الطيبة ..

وفي تلك اللحظة دخل عليهما القائد عبد السلام .. واشار للطباخة ان تخرج ، ووقف ينظر الى القاضي ، ويلعب بقضيب في يده .. ثم فاجأه بالسؤال :

— لماذا ؟

فرفع الرجل عينيه يستفسر ..

— لماذا هذا الشريط الهائل من المظالم ؟ متى مات ضميرك ؟ كيف فقدت الحاسة الانسانية البسيطة ؟ حاسة وضع نفسك مكان غيرك ؟

فحرك القاضي راسه قائلا :

— لا ادري .. يحدث ذلك بالتدريج .. ويبدا القاضي ينظر الى الناس وقضاياهم كما ينظر الطبيب العام الى المرضى وامراضهم .. بدون مشاركة وجدانية .. بدون عاطفة او انفعال .. و من هنا تتسع الهوة ، ويدخل منها الشيطان .

وانتقل القائد الى موضوع آخر بنفس الطريقة التي القى بها السؤال الاول ، فسال :

— هل تعتقد ان الشر وراثي ؟

فاستفسر القاضي بنفس النظرة ، فاضاف القائد :

— هل كان ابوك شريرا مثلك ؟
فاحتقن وجه القاضي ولم يجب . فقال القائد :

— هل كان هو الآخر قاضيا ؟
فحرك القاضي راسه بالنفي ، فقال عبد السلام:

— لو كان قاضيا لكان نسخة طبق الاصل منك .. هكذا يقول العلماء ..

ورن جرس حاد في مخ القاضي ، وهو يتوقع النتيجة التي سيصل اليها القائد من استجوابه فصدق حدسه .. قال عبد السلام بعينين باردتين :

— علينا اذن أن نضع حدا لانتشار شرك .. سنقطع نسلك .

وفتح المتهم فمه غير فاهم ، فاضاف القائد :

— سنتبع بك جميع ابنائك وبناتك حتى لا يبقى بعدك وارث .

وانهار الرجل لسماع هذا ، وغامت عيناه فسقط مغشيا عليه ..

وفي تلك الليلة ارسل القائد في طلب أبناء وبنات
اضي .. وامر مبعوثه ان ينفذ المهمة بكامل السرية
قل ما يمكن من الرجال ..

وجيء للمعسكر بالاولاد الخمسة والبنات
لاث في سيارتين مدنيتين .. وكان ابوهم منذ
ق من اغمائه وهو يعاني من الم حاد في معدته ،
سة حامية في حلقه ، وضيق شديد في صدره
بتمنى على الله ان يبدأوا باعدامه هو حتى
روا عليه مشهد شنق اولاده امام عينيه ..

ومن خلال حلكة يأسه الدامسة كان بريق امل
نت تتلاعب به رياح اليأس العاصفة ، في أن تأتي
العاصمة لجنة للتحقيق في امره .. وكان اعلم
س بثقل حركة جهاز العدالة في البلاد ، وبطئه
ل ، حسا ومعنى ، هذه المرة . ولم يبق له الا
ان تكون الاحوال قد تغيرت بعد ذهاب سلطات
تعمار ..

وكان يطل من نافذة الغرفة المربعة حين وقفت
يارتان وخرج منهما أبناؤه وبناته في ملابس
هم ، وهم خائفون يرتعشون وقد احاط بهم الرجال
سلحون من كل جانب ..

وجاء القائد ففحص وجوه الشباب الثلاثة ،
فتاتين ، ثم نظر في وجوه الطفلين والطفلة الصغار ،
ر بادخالهم على ابيهم لتوديعه قبل تنفيذ حكم
دام فيه ..

ولأول مرة سمع الاولاد بحقيقة ما يراد بهم ..
قيل لهم ان اباهم ارسل في طلبهم ليراهم ..
يب البنات بالهياج والهستيريا .. وامتقع وجه
د البكر الذي كان يقدر الوضعية بواقعية .. وثار
د الاوسط وهم بالهروب فامسك به احد الرجال
اده الى الصف ..

وفتح باب الغرفة ، وادخل الجميع على ابيهم ،
تمت البنات في حجره يقبلنه ويبكين ووقف
لاد ينظرون .. وخرج الاوسط من بينهم ليواجه
ده :

— ماذا فعلنا نحن ؟ ما ذنبنا ؟ لماذا
تلوننا ؟ انت سبب هذا كله .

والتفت للقائد قائلا :

— المحكمة حكمت عليه هو .. فما ذنبنا
؟ نحن ابرياء . وما ذنب الاطفال الصغار ؟
ذنب البنات ؟

وانفجر الاب باكيا ، فتدخل الجنود لابعاد
ات والاطفال عنه ، اخرجوهم الى الحوش ثم
ادخلوهم اصطبلا كبيرا مضاءا بمصباح كهربائي
ساطع ، واقفلوا الباب خلفهم ..

ووقف الاب ينظر من النافذة الصغيرة بلهفة
نحو الاصطبل الذي كان يتدلى من سقفه حبل في
نهايته انشوطة عرف من شكلها وحجمها انها مشنقة
.. كان يستطيع ان يميز من خلال نافذة كبيرة ذات
زجاج سميك ظلال واشباح الموجودين داخل
الاصطبل ..

وفي تمام منتصف الليل رأى ما كان قد تخيله
الف مرة ودعا الله بحرارة الا يقع ، رآه وهو يحدث
امام عينيه وكأنه كابوس رهيب يستحيل الاستيقاظ
منه .. رأى ابنه الاصغر يرفع نحو حبل المشنقة ،
وتوضع الانشوطة حول عنقه ثم يتدلى بعنف ،
ويتأرجح بدنه ويداه مربوطتان خلفه ..

وكأنما انطبقت تلك الانشوطة حول عنقه هو ،
فلم يستطع الصراخ الذي كان في اشد الحاجة اليه ،
فسقط فاقد الوعي .

وفي تلك اللحظة بالذات ، انفتح باب الغرفة ،
وتقدم القائد عبد السلام الرملي بفنار كهربائي نحو
الرجل الطريح فسلط ضوءه على وجهه ، فاذا الدم
الاسود يفور خاثرا من فمه ومنخريه ، وصوت
حشرجة ثقيل يصدر عن صدره ، وهو يتخبط
كالحيوان المذبوح ..

وفجأة وقع شيء غريب ، جعل عبد السلام
يطرف بعينيه ويقترب من الرجل المحتضر .. بدأت
ملامح وجه ابيه هو — ذلك الوجه الذي ارتسم في
مخيلته ساعة مفارقته الحياة ، ولم يفارقها بعد ذلك
ابدا — بدأت ترتسم على وجه القاضي المحتضر ..
وتسمرت عيناه على وجه ابيه الذي فتح عينيه ،
وابتسم له في سعادة وارتياح .. ثم اختفى ليعود
وجه القاضي الى الظهور مكانه ..

وابتسم القائد عبد السلام في سره ، واطفأ
الفنار ، وقد تأكد من أن روح والده قد ذهبت الى
مستقرها الاخير راضية مرضية ..

وذهب الى الاصطبل حيث كان جميع أولاد
وبنات القاضي جالسين على حصير على الارض
فأخبرهم بوفاة والدهم وفاة طبيعية ، واعتذر لهم عن
كل ما حدث لهم ، وهم ينظرون في صمت الى الدمية
القماشية المحشوة بالتبن ، والمعلقة بالحبل وهي
تتأرجح مدلاة من السقف .

احمد عبد السلام البقالي

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

تدشين مسجد الحي الجامعي بالربـــاط

تنفيذا لتعليمات صاحب الجلالـة الملـك الحسن الثاني المؤيد بالله بنقل الاشعاع الاسلامـي الى رحاب الجامعة وتوفير المناخ الفكري والثقافـي الاصيل لاجيالنا المثقفة الصاعدة تراس السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـة والسيد عبد اللطيف بنعبد الجليل وزير التعليم العالي حفل تدشين مسجد الحي الجامعي الجديد بالرباط بحضور السيد الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد الكاتب العام لوزارة التعليم العالي والسيد عامل الرباط وسـلا وعمـداء الكليـات والاساتذة والطلبة وجمهور من المواطنين .

وقد أشرفـت وزارة الاوقـاف والشـؤون الاسلامية على بناء هذا المسجد الذي يحتـوي على بعض المرافق الضرورية .

وأسندت الوزارة مهمة الخطابة والامامة للمسجد الى الاستاذ صلاح الدين ادلبي أحـد خريجـي دار الحديث الحسنية والحاصل على دبلوم الدراسات الاسلامية العليـا .

وقد شرع فعلا فى اقامة الصلوات بالمسجـد بما فى ذلك صلاة الجمعة ، ولوحظ اقبال متزايد من لدن طلبة وطالبات مختلف كليات جامعـة محمد الخامس بالرباط على ارتياد المسجد لاداء الصلاة فى أوقاتهـا .

برنامج ثقافي متنوع للاحتفـال بالمولد النبوي وعيـد العرش

نظمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية برنامجا موسعا للدعوة الاسلامية والنشاط الثقافـي والادبي بمناسبة عيد المولد النبوي وعيـد العرش المجيد شمل مختلف اقاليم المملكة الشريفة .

وهكذا شمل البرنامج ما يلي :

(1) عـدد خـاص من مجلـة دعـوة الحـق
(2) عـدد خاص من مجلـة الارشـاد .
(3) حفل ديني كبير على مستوى الاقاليم والعمالات القيت فيه دروس ومحاضرات ، وأمداح نبوية .
(4) مهرجانات لتجويد كتاب الله العزيز على مستوى الاقاليـم .
(5) تنظيم مهرجان وطني للتجويد بالرباط .
(6) محاضرات فى الثقافة الاسلامية القاها عدد من كبار الاساتذة والدعاة وذلك فى المدن التالية :

— الرباط : الاستاذ الشيخ محمد المكـي الناصري
— فـاس : د. عبد السلام الهراس
— تـازة : الاستاذ محمد الامرانـي
— وجـدة : الاستاذ يحيـى العتيقـي
— الناضور : الاستاذ محمد بوزيـاد
— الحسيمة : الاستاذ شعيب الخطابـي
— تطـوان : الاستاذ ابو طاهر آل عزيـز
— طنجـة : الاستاذ ابراهيم بن الصديق
— مكناس : الاستاذ عبد السلام الامراني
— خنيفرة : الاستاذ أحمد البصـري
— الرشيدية : الاستاذ الوكيلي الصغير
— البيضاء : الاستاذ الحسن السائح
— اكادير : الاستاذ احمد البودراري
— مراكش : الاستاذ عبد السلام جبران
— العيون : الاستاذ احمد البودراري

(7) ايفاد بعثـة من المقرئيـن والمادحيـن الى اقليـم العيـون
(8) مباراة ادبية بالمناسبة
(9) خطبة منبرية القيت فى كافة مساجد المملكة ، ونقلت على أمواج الاذاعة الوطنية يوم 13 ربيع الاول 1397 موافق 4 مارس 1977 .

مهرجان لتجويد القرآن الكريـم

بمناسبة اقتران ذكرى عيد المولد النبوي الشريف بعيد العرش السعيد اشرف السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلاميـة

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

الخميس 19 ربيع الثاني (10 مارس 1977) على
جان تجويد القرآن الكريم بمسجد حسان بالرباط
سور السيد محمد محيى الدين المشرفي الكاتب
م للوزارة والسيد محمد بسف مدير الشؤون
لامية والسيد علي اركان رئيس ديوان السيد
ير وعدد من كبار موظفي الوزارة وجمهور من
منين والمؤمنات .

وقد اشتمل المهرجان على مسابقة فى تجويد
آن الكريم شارك فيها طلبة دار القرآن التي
ف عليها الوزارة بالرباط وعدد من الشباب من
لف اقاليم المملكة ، بالاضافة الى أمداح نبوية

ها الدعاء الصادق لمولانا أمير المؤمنين الحسن
ي نصره الله بطول العمر والتأييد والتمكين .

وقد دابت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على تنظيم مثل هذا المهرجان الاسلامي الكبير كل سنة اسهاما فى حركة البعث الاسلامي التي يرعاها جلالة الملك المعظم وتنويرا للرأي العام المغربي ووفاء لكتاب الله الخالد .

دعم الجمعيات والمراكز الاسلامية

رصدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اعتمادا ماليا مهما لفائدة الجمعيات الاسلامية بالمغرب وبعض المراكز الاسلامية فى أوروبا وأمريكا يقدر بخمسين الف درهم (50000,00 درهم) استفادت منه الجمعيات التالية :

الجمعية	المبلغ
1 ـ رابطة علماء المغرب	5000,00 درهم
2 ـ جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية	5000,00 درهم
3 ـ جمعية شباب النهضة الاسلامية	4500,00 درهم
4 ـ المنظمة العلوية لرعاية المكفوفين	3000,00 درهم
5 ـ جمعية الثقافة الاسلامية	2000,00 درهم
6 ـ الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي	4500,00 درهم
7 ـ المركز الاسلامي بواشنطن	20000,00 درهم
8 ـ المركز الاسلامي بليبرافيل	3000,00 درهم
9 ـ المركز الاسلامي ببروكسيل	3000,00 درهم

مائة منحة جديدة للطلبة الافارقة

تخصص وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
يا مبالغ هامة للانفاق على الطلبة المسلمين
دين من مختلف الاقطار الافريقية لمتابعة تعليمهم
اهد الاصلية والاقامة بالاقسام الداخلية فى كل
الثانويات الآتية : القرويين بفاس ، القاضي بن
ي بتطوان ، ابن يوسف بمراكش ، محمد الخامس
دانت ، المعهد الاسلامي بمكناس .

وقد خصصت الوزارة خلال الموسم الدراسي الحالي (1976 ـ 1977) مائة منحة جديدة استفاد منها 91 طالبا من موريطانيا والسينغال ومالي وتشاد .

منبران مغربيان لمسجدي بروكسيل ولندن

فى نطاق جهود وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لمساعدة الجاليات الاسلامية فى الخارج تقرر تزويد المركزين الاسلاميين فى كل من بروكسيل ولندن بمنبر مغربي رفيع يمثل روعة الزخرفة والتصميم والابداع عند الصانع المغربي .

من توصيات المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة

● انعقد بالمملكة العربية السعودية مؤخرا المؤتمر العالمي للدعوة والدعاة وفيما يلي بعض توصياته :

انطلاقا من الايمان بأن الاسلام نظام متكامل ينبثق من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهو منهج حياة يشمل العقيدة والشريعة والسلوك ، ودعوته تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والمسلمون مكلفون بالسير على منهج سلفهم الصالح فى الدعوة الى دينهم وحراسة تراثهم ولغتهم وقيمهم الرفيعة .

يوصي المؤتمر بما يلي :

(1) مطالبة الحكومات الاسلامية كلها بنبذ القوانين الوضعية والعودة الى الشريعة الاسلامية « **افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** » .

(2) التأكيد على وزارات التربية والتعليم فى البلاد الاسلامية بتوجيه مزيد من العناية بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا ودراسة ، وأن تجعل ذلك مادة أساسية واجبارية فى جميع أنواع التعليم ومراحله ربطا للامة بكتابها العظيم وحفظا لعقيدتها واخلاقها .

(3) تنقية مناهج التربية والتعليم ووضعها على اسس اسلامية خالصة ، والعناية باعادة كتابة التاريخ الاسلامي بما يبرز أمجاد هذه الامة بشكل صحيح ، وتعميم الدراسات الاسلامية كمادة اجبارية فى الجامعات .

(4) الاتصال بالجهات المعنية لانشاء مساجد فى كل الجامعات والمعاهد والمصانع وسائر المؤسسات كما تطالب السفارات الاسلامية فى الخارج بانشاء مساجد فى مقارها اظهارا لشعائر الاسلام وحفاظا عليها .

(5) العناية بالتوعية الدينية فى القوات المسلحة الاسلامية وانشاء المساجد فى ثكناتهم واماكن تجمعاتهم واختيار ائمة قادرين على التوجيه السليم ومحاربة المذاهب الهدامة .

(6) مطالبة امانة المؤتمر الاسلامي بجدة بانشاء مسجد فى مقر الامم المتحدة اذ أنه لا يليق ان يسبق اليهود والنصارى الى انشاء معبد وكنيسة لهم ويتاخر المسلمون فى اقامة بيت الله ، ويأمل المؤتمر من حكومة المملكة العربية السعودية ان تبادر بذلك .

(7) مناشدة الدول الاسلامية أن يكون سفراؤها ممن يمثل الاسلام فى خلقه وعمله وان يعين بكل سفارة ملحق ديني يكون مسئولا عن شؤون الدعوة .

فى مجال وسائل الاعلام :

ان المؤتمرين اذ يقدرون الاثر الخطير لوسائل الاعلام فى العصر الحديث ودورها فى توجيه الافراد والجماعات والمجتمعات .. الامر الذي طويت معه المسافات وتلاشت معه الحدود والذي صار سلاحا خطيرا تمارسه الدعوات الباطلة بلوغا لاهدافها وغزوا لأوطان غير أوطانها فانهم فى الوقت نفسه يدركون ما تتعرض له أمتنا من غزو اعلامي خطير من الشرق ومن الغرب كل يروج لتجارته وينتصر لمبادئه وعقائده .

ومؤتمر الدعوة والدعاة يرفع صوته عاليا لاولي الامر من الملوك والرؤساء والامراء فى الامة الاسلامية كلها :

أولا : ليصدروا أوامرهم صريحة الى اجهزة الاعلام المختلفة ليتقوا الله فى الكلمة المنشورة أو المسموعة او فى القصة المكتوبة او المصورة .. فى كل ما يصدر عنهم فيمتنعوا فيه عن الفساد او الافساد

.. فالحلال بين والحـرام بين .. وان يطهروا وسائل الاعلام كلها من ابراز صور النساء لكونها تضر بالمجتمع وتفتنه فى عقيدته واخلاقه .

ـيـا : ليصدروا أوامرهم صريحة الى أجهـزة الاعلام المختلفة أن تستقي فيما تقـدم من المعين الرباني الصافي ومن الثقافـة الاسلامية والمعارف الانسانية الجـادة بحيث يتميز الاعلام الاسلامي بشخصية مستقلة عن سائر أنواع الاعلام العالميـة الاخـرى .

ـثـا : أن تهتم اجهزة الاعلام المختلفـة ـ الى جانب استقائها من المعين الاسلامـي ـ برد الشبه والدعاوي الباطلة الموجهـة ضد الاسلام على مستوى العالم كله ، وان تولي الاقليات الاسلامية أهمية خاصـة وأن يكون البث الاعلامي لا على مستوى البث المضاد بل ارفع منه وبتخطيـط علمي مدروس .

ـعـا : يراعى اختيار المناهج الصالحة اسلاميا للبث الاعلامي ، كما يراعى التوازن بين مناهج التربية وبرامج الترويج المباح بما يضمن عدم طغيان الاخيرة على الاولـى ، ويركز على وجه الخصـوص الاهتمـام بالقرآن المرتل مع برامج العقيدة والاخلاق الى جانب الاهتمام باللغة العربية الفصحى اداء ونشرا وتعليما للاقطار الاسلاميـة الناطقة بها وشقيقاتها غير الناطقة بها .. وفى كل الاحوال ينبغي التقليـل مـن اوقات الارسال بما يساعد على حسـن اداء الشعائر الاسلامية وبما يتناسب مع حاجة الطلاب الى التحصيل والمذاكرة .

خامسا : ان تنشأ فى البلاد الاسلامية كليات للاعلام الاسلامي وكذلك اقسام للاعلام الاسلامي تتبع الكليات المناسبة لاعداد رجل الاعلام المسلم الصالح الذي يستطيع أن يعـد هذا الجهاز الخطير من المعين الاسلامي الصافي .. وحتى تقام هذه الكليـات والاقسام لا بد أن تسـارع الجامعـات الاسلامية القائمة بادخال مادة الاعـلام الاسلامي مع مواد كليات الشريعة والدعوة والقرآن واصول الديـن بالاضافـة الى المواد الاسلامية الحديثة كالفقه السياسي والاقتصاد السياسي وكذلك مادة الغزو الفكري الحديث .

سادسا : يختار رجل الاعلام ممن يطمأن الى عقيدته وخلقه وسلوكه مع اعداد دورات علميـة اسلامية لرجال الاعلام .

سابعـا : دعم الصالح من الصحافـة الاسلاميـة القائمة ، وكذلك وكالات الانباء الاسلامية والاذاعات الاسلامية التخصصية ، وانشاء اذاعة عالمية اسلامية ، ومطابع حديثـة كاملة تصدر الكتب الاسلامية والنشرات الاعلامية ، مع استئجار مسـاحـات فى الصحف الاجنبية لنشر الدعوة الاسلامية عن طريقهـــا .

ثامنـا : اصدار صحف دورية متخصصة فى كل دولة اسلامية تعرض لمشكلات العالـم الاسلامي وتدافع عن قضاياه ، وتبـرز المظالم الواقعة على المسلمين المضطهدين بعامة والاقليات المسلمة بوجه خاص .

تاسعـا : بما أن المنبر لا يزال له مكان الاعلام الاول فينبغي الاهتمام الزائد بالمسجد علميا وادبيا وماديا مع التركيز على حسن اختيار الائمة والخطباء الاكفاء واقامـة دورات لهم بما يجعلهم موضع القـدوة للمجتمع كلـه .

عاشرا : العمل على رعاية الاعلام الاسلامي المتخصص للناشئة نشرا وصحافة وبثا اذاعيا وتليفزيونيا .. رعاية اسلامية كاملة .

حادي عشر : انشاء « نادي القلم الاسلامي » يضم حاملي الاقلام الاسلامية في مواجهة النوادي المنحرفة عقيدة وخلقا .

ثاني عشر : انشاء اتحاد عام للصحافة الاسلامية لتيسير تبادل الانباء والموضوعات والاحداث الاسلامية العالمية .

ثالث عشر : مواجهة خطر الكنائس والمدارس التبشيرية ومناشدة القادة المسلمين بالتخلص منها وعدم السماح بانشائها والترخيص لها وخاصة فى الخليج العربي وبقية دول الجزيرة .

رابع عشر : انشاء رقابة فى كل دولة اسلامية على الصحف والمجلات والافلام والمسرحيات حتى تسير على منهج اسلامي .

خامس عشر : نظرا للتعتيم الاعلامي على اخبار العالم الاسلامي فان المؤتمر يرى ان تقوم رابطة العالم الاسلامي بانشاء مركز اعلامي يستعين بمعطيات العلم الحديث فى ادوات الاتصال « التلكس وغيره » ويعتمد فى معلوماته على الحركات والجمعيات الاسلامية ومنظمات الشباب والطلاب والدعاة افرادا وجماعات مع وضع فروع رئيسية فى اماكن مهمة لرصد الاخبار والمعلومات وتبليغها فورا الى المركز الذي يتولى توزيعها الى المنظمات والجمعيات .

المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول

● اخذت المملكة العربية السعودية فى الاستعداد لعقد المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول بمدينة الرياض. وسوف يدعى لهذا المؤتمر الجغرافيون العرب والمسلمون من أرجاء العالم الاسلامي .

وقد تأسست اللجنة التحضيرية للمؤتمر وحدد الموضوعات التالية للبحث والدراسة :

- الواقع الجغرافي للعالم الاسلامي المعاصر .
- التراث الجغرافي : احياؤه ونشره .
- الجغرافيون المسلمون وآثارهم ومناهجهم فى الوصول الى الحقائق الجغرافية .
- دراسة الاقليات الجغرافية فى العالم .
- التكامل الاقتصادي للعالم الاسلامي ووسائل تحقيقه .

60 الف مسجد فى تركيا

● صرح رئيس وزراء تركيا فى حديث لمندوب مجلة « الوعي الاسلامي » الكويتية أنه توجد بتركيا 60 الف مسجد تقام فيه الصلوات والجمع . وبها سبعة معاهد وكليات للدراسات الاسلامية العالية . كما ان بها 240 معهدا للامامة والخطابة تدرس بها العلوم الاسلامية والقرآن الكريم .

ومن جهة اخرى توجد بتركيا صحافة اسلامية قوية منها جريدة (الترجمان) الواسعة الانتشار فى اوربا وهي تعني بالشؤون الاسلامية والبحوث الدينية وجريدة (البيرق) وهي وان كانت جريدة سياسية يومية الا انها تفرد صفحة كل يوم جمعة للموضوعات الاسلامية .

وتعتبر مجلة « الهلال » التركية من كبريات المجلات الاسلامية الجادة المتخصصة فى البحوث والقضايا الاسلامية .

كما تصدر بتركيا مجلة (أوكومئناه) ومعناها (اقرا باسم ربك) وهي اسلامية شهرية .

مركز للدعوة الاسلامية بالشارقة

● افتتح فى امارة الشارقة مركز للدعوة الاسلامية . وتتلخص أهداف المركز فى دعم

منظمات الاسلامية خارج البلاد وايجاد صلات وثيقة ن الاقليات المسلمة فى مختلف انحاء العالم وترجمة تب الاسلامية الى اللغات الاجنبية .

مهرجان لشعراء العالم الاسلامي

● تقرر أن يقام مهرجان للشعر الاسلامي فى يو القادم بتركيا ، يدعى له شعراء العالم العربي لاسلامي .

تعزيز منظمة المؤتمر الاسلامي

● صادقت الحكومة الباكستانية على اتفاقية حماية والامتيازات الخاصة بمنظمة المؤتمر الاسلامي ي وضعها المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول سلامية الذي عقد فى اسطنبول فى شهر مايو اضي .

16671 دولارا من الكويت للنشاط الاسلامي فى سيراليون

● قام الحاج ابراهيم محمد جالو مبعوث طة العالم الاسلامي فى سيراليون بتسليم شيك بمبلغ 16672 دولارا أمريكيا لرئيس جمعية الرابطة الاسلامية فى مدينة « بو » بجمهورية سيراليون . وهو المبلغ الذي تبرعت به وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت للجمعية المذكورة ، وقامت رابطة العالم الاسلامي ببعث الشيك المذكور الى مبعوثها فى سيراليون لتسليمه للجمعية .

500 شخص يشهرون اسلامهم فى ساراولك بماليزيا

● أشهر 500 شخص اسلامهم بمحض اختيارهم فى مدينة ساراولك شرقي ماليزيا . وذلك أثناء زيارة وزير الحج السعودي الشيخ عبد الوهاب الواسع للمدينة .

« مفهوم الاسلام » فى بريطانيا

● صدر فى لندن كتاب جديد بعنوان « مفهوم الاسلام » يتناول التعاليم الاساسية للدين الاسلامي الذي يعتنقه مليار شخص فى العالم .



المغـــــرب :

● وقع المغرب على الميثاق الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكذلك ميثاق الحقوق المدنية والسياسية.

وقد وقع هذين الميثاقين باسم المغرب السيد علي بنجلون ممثل المغرب الدائم بالامم المتحدة وكانت الجمعية العامة للامم المتحدة قد وافقت عليهما فى 16 ديسمبر 1966 وخرجت الى حيز التنفيذ الاول يوم 3 يناير والثاني يوم 23 مارس سنة 1976.

● صدر المجلد الثالث من مجلة الوثائق عن مديرية الوثائق الملكية التي يديرها الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة.

والمجلد يضم 200 وثيقة هامة ويقع فى 535 صفحة من القطع الكبير، تشتمل على سجل حافل لبداية عهد المولى الحسن الاول.

والمجلد مقسم الى ثلاثة اقسام :

— القسم الاول : يتعلق بأهم وثائق البيعة لجلالة الحسن الاول التي وفدت على القصر الملكي من جميع اقاليم ومدن وقرى المملكة وعددها 103 بيعة.

— القسم الثاني : فتنة وزير المالية الحاج محمد بن المدني بنيس مع الدباغين بفاس ويضم 44 وثيقة فى الموضوع.

— القسم الثالث : القضايا الاقتصادية والادارية والسياسية التي واجهت بداية العهد الحسني الاول وتضم 53 وثيقة.

وقد حلي غلاف المجلد بصورة زيتية بالالوان للمولى الحسن الاول الى جانب نماذج من توقيعه وطابعين شريفين لجلالته.

● مجلة « دراسات فلسفية وادبية » التي تصدرها جمعية الفلسفة بالمغرب استانفت الصدور فى سلسلتها الجديدة. يدير المجلة الدكتور محمد عزيز الحبابي وتراس تحريرها الاستاذة فاطمة الجامعي الحبابي.

● الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي اصدر كتابا بعنوان: **« نحو تفصيح العاميات العربية »** تناول فيه اللهجات العربية فى الدول العربية ومقارنتها بالدارجة المغربية.

اثبت المؤلف فى دراسته ان اللهجات العربية جميعها ترجع الى اصل عربي واحد وهو اللغة العربية الفصحى.

● بمناسبة انعقاد المؤتمر العربي الثامن للآثار بمراكش اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية مجموعة من الكتيبات للتعريف بالآثار المغربية منها :

— قصر البديع من عجائب الدنيا للدكتور عبد الهادي التازي

— المدن الاثرية المغربية القديمة لنعيمة الخطيب بوجبار

— شالة : باللغتين العربية والفرنسية

— نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب لمصطفى اعشى

— دليل مدينة مراكش

● صدر للاستاذ عبد الحي حسن العمراني كتاب جديد بعنوان : « **الشورى فى المغرب** » عن احدى مطابع فاس يقع فى 112 صفحة من القطع المتوسط. ويتناول الموضوعات التالية :

— الاسلام دين الحرية والشورى

— كيف عاش الشعب المغربي قبل الاسلام

— لماذا اقبل المغاربة على الاسلام

— من مظاهر الشورى الاسلامية المغربية

ـ نبذة عن الشورى في المغرب منذ مطلع القرن العشرين
ـ مآل الشورى بعد الحماية
ـ الشورى بعد الاستقلال
ـ لياخذ المغرب مكانته من هدي الاسلام .

● ينظم مكتب تنسيق التعريب في الوطن لعربي مسابقة (خامسة) لسنة 77 / 1978) وذلك ى المجالات التالية :

1 ـ مخطوط في اللغة العربية (لم يسبق شره) له قيمة علمية في دفع حركة التطور اللغوي لمعاصرة (تحقيق ودراسة) .

2 ـ دراسة بيانية (لم يسبق نشرها) عن سلوب الاستدارة في الكتابة الادبية (تنظير وتطبيق).

ويشترط في التقدم لهذه المسابقة مراعاة ا يلي :

أ ـ ان لا تقل الدراسة عن مائة وخمسين سفحة (150) من الحجم المتوسط .

ب ـ يجوز اشتراك اكثر من شخص في البحث واحد ، وفي هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي ن المشتركين .

ج ـ يرسل البحث (في نسختين) الى مقر **كتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ـ 10 زنقة كولا ص. ب. 290 ـ الرباط ـ المملكة المغربية .**

د ـ تتألف لجنة التحكيم في هذه المسابقة من ضاء تختارهم اللجنة الوطنية للتربية والعلوم الثقافة في الجمهورية العربية الليبية .

هـ ـ تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من فاتح براير 1977 الى نهاية يناير 1978 .

● من الرسائل الجامعية التي نوقشت في مغرب خلال الفترة الاخيرة رسالة جامعية لنيل سهادة السلك الثالث « ديبلوم الدراسات العليا » تقدم بها الطالب احمد يزن في موضوع « النقد الادبي بالقيروان في العهد الصنهاجي » بكلية الآداب ـ جامعة محمد بن عبد الله بفاس . وكانت اللجنة مكونة من الدكتور امجد الطرابلسي مشرفا والدكتور عباس الجراري والاستاذ محمد الكتاني مناقشين .

وقد نال الطالب احمد يزن ديبلوم الدراسات العليا بدرجة مستحسن .

● شارك المغرب في المؤتمر الثالث للتعريب الذي انعقد مؤخرا في طرابلس بليبيا . وقد قدم الوفد المغربي للمؤتمر دراسة تتعلق بمنهجية التعريب كما ألقى عرضا عن المنجزات التي حققها المغرب في اصلاح الطباعة العربية واهمية الشكل العربي في الاعلاميات .

وكان المؤتمر الاول للتعريب قد عقد في ابريل سنة 1961 بالمغرب وكان من مقرراته اصدار معجم اللغة العربية الحية وادخال الوسائل السمعية والبصرية في تدريس العربية وتسهيل الطباعة .

وضم الوفد المغربي الاستاذين عبد العزيز بنعبد الله واحمد الاخضر غزال والدكتور التهامي الراجي .

● تدرس منظمة اليونسكو مشروع انقاذ تراث ثلاث مدن عالمية تاريخية وهي : فاس و « هيرات » في افغانستان و « سوخاشاي » في تايلاند .

● صدر للدكتور عثمان عثمان اسماعيل كتاب عن تاريخ شالة الاسلامية يؤرخ فيه للدور الحي النشيط الذي لعبته شالة في التاريخ المغربي .

وقد اهدى المؤلف كتابه الى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله . وكتب مقدمته الاستاذ محمد الفاسي .

● (مشاريع دستورية في عهد المولى عبد العزيز) موضوع اجازة في التاريخ احرزت عليها الاستاذة فاطمة كسيدة بجامعة محمد الخامس .

● صدرت بمدينة سلا جريدة اسبوعية تعتني بالشؤون المدرسية باسم (الغد) تديرها السيدة مفتاحة الفرناطي .

موريطانيا :

● (حوليات المعهد الموريتاني للبحث العلمي) مجلة دورية صدرت بموريطانيا من الحجم الكبير في تبويب ممتاز . من ابوابها المهمة بالخصوص (من اساليب الشعراء الموريتانيين : المختار ولد حامد) تناولت الصفحات 2 / 12 .

تونس :

● صدرت في تونس عن « الدار العربية للكتاب » مجموعة الكتب التالية :

مقدمة في الفلسفة الاسلامية للدكتور محمد التومي الشيباني ، طه حسين يتحدث عن أعلام عصره للدكتور محمد الدسوقي ، البنية القصصية في رسالة الغفران لحسين الواد ، التربية الاستقصائية للدكتور احمد علي فنيش ، كراسات ادبية لخليفة محمد التليسي ، مهجريات لعيسى الناعوري ، دراسات في الادب الاندلسي للدكتور احسان عباس ، وداد القاضي والبار مطلق ، لمحات عن الاوضاع الاقتصادية في ليبيا أثناء الاحتلال الايطالي للدكتور محمد مصطفى الشركسي ، البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام لمحمد رشيد ثابت ، تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني للدكتور انيس قاسم ، منطلقات فكرية لابي القاسم سعد الله ، طه حسين : نقده الادبي ومصادره الفرنسية لمفتاح طاهر ، أصول التشريع الاسلامي للهادي كرو ، حياة الطاهر الحداد لاحمد الدرعي ، الرازي من خلال تفسيره لعبد العزيز المجذوب ، الاديب المفكر ابو حيان التوحيدي لعلي دب ، ابن خلدون وعلوم المجتمع للدكتور محمود عبد المولى ، احمد الفقيه حسن : حياته وادبه لمحمد مسعود جبران .

● الكاتب التونسي عبد الواحد براهم سكرتير تحرير مجلة « الفكر » أصدر مجموعة قصصية بعنوان : « مربعات بلاستيك » .

● « في ضوء القرآن والسنة » آخر كتب الدكتور التهامي نقرة صدر عن الشركة التونسية للنشر ، وهو يتضمن بحوثا في العقيدة والاخلاق والتشريع والمعاملات والثقافة الاسلامية .

مصر :

● صدر في القاهرة العدد الاول من مجلة « الموقف العربي » الشهرية ويصدرها عبد العظيم مناف .. وقد حفل العدد بعديد من الدراسات الثقافية والادبية والفنية ..

● د. عبد العزيز مطر استاذ علم اللغة بجامعة عين شمس اصدر كتابا عنوانه .. « خواطر نادرة في لهجات الخليج العربي » ..

● نشر الدكتور احمد الشرباصي في عدد فبراير من مجلة (الهلال) القاهرية دراسة مهمة جدا عن **(دور الطرق الصوفية في نشر الاسلام : الشاذلية والسنوسية والقادرية والتجانية)** .

● « عبقرية العربية في رؤية الانسان والحيوان والسماء والارض » آخر مؤلفات الدكتور لطفي عبد البديع .

السعودية :

● صدر بالمملكة العربية السعودية في سلسلة (المكتبة الصغيرة) كتيب بعنوان : **(الغزو الفكري في العالم العربي)** .

الكتيب تناول الاستعمار الثقافي وكيف نقاوم الغزو .

● شهريات الفكر والثقافة

● اصدر اللواء يحيى عبد الله مدير الادارة العامة للسجون بالسعودية 4 مؤلفات عن الامن في القرآن الكريم وفن القيادة وآداب المرور والامن في السعودية وجولات في رياض الادب . اللواء حاصل على ماجستير في علوم الامن ودبلوم عال في علم المرور.

العراق :

● « القمر والاسوار » آخر الاعمال القصصية للروائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي صدر عن وزارة الاعلام العراقية في 334 صفحة من القطع المتوسط.

لعبد الرحمن الربيعي ثلاث روايات « عيون في الحلم » « الوشم » « الانهار » وست مجموعات قصصية : « السيف والسفينة » « الظل في الرأس » « وجوه من رحلة التعب » « المواسم الاخرى » « عيون في الحلم » « ذاكرة المدينة » .

فرنسا :

● المستشرق الفرنسي « جاك بيرك » يعد الان مجلدا ضخما يتضمن ترجمة للعديد من اعمال د. طه حسين بجانب مجموعة من الدراسات النقدية التي تتناول معظم هذه الاعمال بالبحث والتقييم وبحث أثر الثقافة الفرنسية في فكره وادبه .

المجلد تصدره دار « جاليمار » للنشر في باريس .

● « حتى تعرف الحياة الاقتصادية » عنوان احدث كتاب في الاقتصاد ظهر في فرنسا واشترك في تاليفه عدد كبير من الخبراء ويحتوي على معظم مشاكل الاقتصاد العالمي وكيف يمكن التحايل عليها. . الجديد في الكتاب انه مبسط واي قارىء مهما كان مستواه الثقافي يستطيع ان يفهمه .



رسالة مصر الثقافية

يكتبها : حلمي محمد القاعود

● صدر مؤخرا كتاب جديد للاستاذ أنور الجندي عن : « طه حسين : حياته وفكره فى ميزان الاسلام »، والكتاب يتناول طه حسين من وجهة نظر اسلامية ، ويعتبر مدخلا لدراسة طويلة أعدها المؤلف وستصدر فيما بعد تتناول ادب طه حسين بتوسع وتفصيل وقد وزع الكتاب بأرقام قياسية .

● وافق الرئيس أنور السادات على منح الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية لعام 1976 اوسمة من الطبقتين الثانية والثالثة ، وهم : د. مهدي علام ــ الجائزة التقديرية فى الآداب ، الشيخ محمد علي الخفيف ــ الجائزة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ، د. محمد عمارة مصطفى ــ الجائزة التشجيعية فى التراجم ، فاروق منيب ــ الجائزة التشجيعية فى القصة القصيرة ، د. عبد الغفار حسن مكاوي ــ الجائزة التشجيعية فى الترجمة الى العربية ، عبد العزيز محمد الزكي وسعيد زايد ــ الجائزة التشجيعية فى الفلسفة الاسلامية ، الاب الدكتور جورج شحاتة قنواتي ــ الجائزة التشجيعيةفى الفلسفة الاسلامية .

● تقرر ان يكون الدين مادة اساسية فى التعليم فى جمهورية مصر العربية ، وقد قام الدكتور مصطفى كمال حلمي وزير التعليم بمقابلة الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الاوقاف للتنسيق حول هذا الموضوع. وقد لقيت هذه المبادرة رد فعل شعبي مليء بالسعادة والارتياح .

● « السيف والوردة » مجموعة شعرية جديدة ، صدرت عن المجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية للشاعر الدكتور عبده بدوي ــ رئيس تحرير مجلة « الشعر » . المجموعة تضم قصائد مشبعة بروح الاسلام وتحكي عن امجاده الماضية ، وتحث على التفتح والانطلاق .

● اقيم فى القاهرة فى المدة من 29 يناير الى 6 فبراير 1977 ؛ معرض القاهرة الدولي للكتاب ، وقد شهد المعرض اقبالا شديدا خاصة من الشباب . وقد كانت الكتب الاسلامية والعلمية فى مقدمة الكتب التي وزعت بكميات هائلة .

● صدر عن الهيئة العامة المصرية للكتاب بحث جديد بعنوان « الحوار بين الادباء » من تاليف الدكتور وليم سليمان ، وقدم له الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وشؤون الازهر السابق .

● عن دار الشعب بالقاهرة صدرت طبعة جديدة من المدائح النبوية [البردة ــ نهج البردة ــ تشطير البردة] فى 48 صفحة . قام بالتعليق عليها د. سعد ظلام ــ محمد صادق .

● « وجع فى قلب اسرائيل » كتاب جديد لانيس منصور ، صدر عن المكتب المصري الحديث ، يتناول فيه بالتحليل مذكرات الفريق موشي دايان

وزير الدفاع الاسرائيلي السابق ، عن حرب رمضان 1393 هـ .

● افتتحت الدورة الثالثة والاربعون لمؤتمر مجمع اللغة العربية بمقر الجامعة العربية ، وقد حضر المؤتمر جميع الاعضاء المصريين وثلاثون من الاعضاء العرب وعشرة من المستشرقين الاجانب من البلاد الاوروبية والامريكية. واستمرت دورة المجمع الى 7 مارس. وقد جاء في الكلمة الافتتاحية لوزير الثقافة عبد المنعم الصاوي :

((ان القرآن الكريم قد حافظ على وحدة العرب، فلم تخترق صفوفه الغزوات الاجنبية ، وان اللغة العربية لم تقتصر على الترجمة عن الآخرين ، لكنها اضافت الكثير لحضارات العالم)) .

● « الموتى يتكلمون » كتاب جديد صدر عن المكتب المصري الحديث ، من تأليف « سامي جوهر »

● « التاريخ الاسلامي ، آفاقه السياسية وابعاده الحضارية » تأليف الدكتور ابراهيم أحمد العدوي عميد دار العلوم . صدر عن مكتبة الانجلو المصرية في 506 صفحات .

● عن الهيئة العامة المصرية للكتاب ، وفي سلسلة المكتبة العربية صدر كتاب جديد للدكتور عبده بدوي بعنوان «السود والحضارة العربية». يتناول الكتاب مقدمة عن السواد ، أسبابه وآثاره ، ثم صلات السود بالعرب قديما ، وتصادمهم مع المجتمع ، وصلاتهم بالعرب حديثا . يقع الكتاب في 370 صفحة ويعتبر متمما لكتاب سبق ان أصدره المؤلف بعنوان « الشعراء السود وخصائصهم الشعرية » .

● تقوم « دار الاعتصام » بنشر سلسلة جديدة ضمن مطبوعاتها تحت عنوان نوادر التراث ، وقد صدر منها كتابان من تحقيق الاستاذ عبد القادر احمد عطا، الاول بعنوان « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، الثاني « اسرار التكرار في القرآن لتاج القراء محمد بن حمزة بن نصر الكرماني . وتصدر السلسلة في طبعة أنيقة ودقيقة .

● صدر عن « المختار الاسلامي » كتيب « الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه » لعبد القادر عودة يتناول فيه تفوق التشريع الالهي على التشريعات والقوانين الوضعية ، وبين الدور الذي يجب أن يضطلع به علماء المسلمين في الفترة الراهنة .

● يصدر اتحاد طلاب جمهورية مصر العربية سلسلة كتيبات شهرية باسم « صوت الحق » . وقد صدر منها حتى الآن خمسة كتيبات ، آخرها « اسلامنا » . السلسلة تطبع وتنشر «بدار الاعتصام»

● « الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ، دوافعها ودفعها » . كتاب جديد للدكتور محمد حسين الذهبي وزير الاوقاف السابق . صدر عن دار الاعتصام ايضا . ويقع في 110 صفحات .

● يدرس اتحاد كتاب مصر اللائحة الجديدة للاتحاد والتي تتضمن صرف معاشات للكتاب والادباء .. وذلك لاول مرة .

● « رحلتي من الشك الى اليقين » للدكتور مصطفى محمود ترجمها العالم اليوغسلافي عبد الرحمان هوفتيس الى اللغة اليوغسلافية .

● دفعت وزارة الثقافة المصرية 20 الف جنيه لورثة الدكتور طه حسين ثمنا لمكتبته التي تم نقلها الى متحف أحمد شوقي الذي يجري تحويله الآن الى مجمع الآداب .

● اصدر الكاتب توفيق الحكيم « مختار تفسير القرطبي » في مجلد واحد يقع في 896 صفحة . اختار توفيق الحكيم من العشرين جزءا وهي التفسير الكبير للقرطبي ، القضايا والموضوعات والاحكام ، بنص القرطبي ولفظه .